

الْكَوْفَةُ مُتَّقَةٌ
جَعْدٌ

بَيْنَ الْعُمَقِ الْتَّارِيْخِيِّ وَالْمُطْهَرِ الْعَلَمِيِّ

تألِيف
الْأَسِنْدَادِ الْدَّكْتُورِ
حِسَنِ عَلِيِّيِّ الْحَكِيمِ



جميع الحقوق محفوظة للناشر

اسم الكتاب: الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العلمي.

تأليف: الأستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم.

الغلاف والإخراج الفني: نجاح الدجيلي.

الطبعة: الأولى (مزيدة ومنقحة).

الكمية: ٢٠٠٠ نسخة.

الناشر: أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحة به.

سنة الطبع: ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الأمانة:

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي هدانا لدینه وخصنا بنبيه محمد صلى الله عليه واله خاتم النبيين وسيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى اله الغر الميامين من سيد الوصيين أمير المؤمنين والى المهدى المنتظر أمل المستضعفين.

في البداية احيي القاريء الكريم وأضع بين يديه كتاب الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العلمي للأستاذ الدكتور حسن الحكيم الذي وقع عليه الاختيار من قسم الشؤون الثقافية في أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحة به ليكون ضمن سلسلة إصداراتها التي تهدف إلى أحبياء ونشر تراث أهل البيت وما يرتبط بهم من شخصيات إسلامية خالدة أو من تخرج من مدرستهم أو طبع بحبهم وسار على نهجهم او تاريخ وحضارة مدن شرفها أقدام أهل البيت فوطئتها وأخذت منها موطنها وسكنها والكوفة واحدة من تلك المدن حيث اتخذ منها أمير المؤمنين مقرًا ومركزا للخلافة الإسلامية التي امتدت لتصل حدود الصين شرقاً وببلاد الأندلس غرباً ولابد من وجود دواع لاختيارها أو أن لها من المقومات ما جعل الإمام عليه السلام يشير إليها بعد واقعة الجمل ولعل من الأسباب المهمة هو ان الإمام وجد من الكوفة الأرض الخصبة الطيبة التي يمكنه إذا ما هاجر إليها ان يطبق بها أيدلوجيته ونظريته الإسلامية التي تعلمها من النبي الأكرم صلى الله عليه واله إذ أدرك سلام الله عليه ان المدينة المنورة لم تعد تتقبل المفاهيم التي يحملها بعد تلك الفترة التي حصلت بين شهادة الرسول الأكرم وبين ان اتجه الناس إليه كعرف الضبع ليما يعودوه فهي فترة ربع قرن تعطلت بها بعض تعاليم النبي الأكرم واستجذت نظريات أبعد المسلمين عن تعاليم السماء لاسيما في الجانب الاقتصادي وهو ما يتاغم مع النفس البشرية التي تتوق إلى الاستحواذ على المال فعادت الطبقية في المجتمع حيث أثرت طبقة على حساب أخرى حرمت من حقوقها ولم تعد ترغب هذه الطبقة الثرية ان تعود إلى ما كانت عليه في عهد النبي صلى الله عليه واله حيث الزهد والمساواة وخير شاهد على

ما تقول موقف طلحة والزبير من الإمام علي عليه السلام وهم أول من بايعه ظناً منها ان ينالا الحضوة عنده ولكن الإمام الذي لا تأخذ في الله لومة لائم اصطدم مع هؤلاء في اليوم الأول من تسلم الخلافة التي قال فيها (لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر لأنقيت جبلها على غاربها ولأنفسيتم دنياكم عندي ازهد من عفطة عنز)، إذن لابد للنظيرية من تطبيق ولا بد من مكان جديد مهياً لتلقي هذه المباديء ولا بديل عن الكوفة حسب نظر الإمام المعصوم وهي المدينة التي أسست على الولاء للإمام علي عليه السلام فان الجيوش التي قصدت العراق لتحريره جلها من تعتقد بأحقية الإمام علي بخلافة النبي صلى الله عليه وآله إذ وعى وصايا الرسول بحقه وهي ذاتها التي امتنعت عن إعطاء الزكاة و التي استقرت في الكوفة عند تصريحها وهي التي استقبلت عمارة بن ياسر واليها من قبل الخليفة الثاني الرجل الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وآله (مليء عمارة إيماناً من قرنه إلى قدمه) وهو من حواري أمير المؤمنين فكان له دور في تهيئة المناخ الملائم لاستقبال الإمام علي عليه السلام. وفي أجواء هذه المدينة التي يبحث تاريخها والمفاصل المهمة من حياة رجالها كتابنا الذي بين يديك وبكل صدق وموضوعية وهذه سمة البحوث التي يتناولها فضيلة أستاذنا الدكتور الحكيم ونحن نقدم له شكرنا وتقديرنا إذ أتاح الفرصة لأمانة المسجد العظيم ان تتبنى إعادة طبع ونشر الكتاب وفي نفس الوقت نطمئن القاريء الكريم ان مشروع التحقيق والطبع والنشر للكتاب سيظل من أولويات قسم الشؤون الثقافية في أمانة المسجد وهناك العديد من العناوين الهامة في طور الإعداد لتأخذ نصيبها في إعادة الطبع والنشر في القريب العاجل إن شاء الله آملين أن تكون سلسلة الإصدارات السابقة قد لاقت استحسانكم وأثرت العناوين الجديدة التي قدمت جانباً من المكتبة الإسلامية.

في الختام شكري وتقديرني لكل من ساهم في إصدار هذا الكتاب سائلاً المولى أن يتقبل أعمالنا جميعاً وان يمن علينا برضاه ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

السيد موسى تقي الخلخالي
أمين المسجد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

تحتاج مدينة الكوفة إلى دراسة تاريخية مستفيضة، تتناسب مع عصورها التاريخية ومدرستها العلمية وحوادثها السياسية وحياتها الاجتماعية وأعلامها الذين تواصلوا مع العلوم والمعارف والآداب والفنون، وإذا أردنا التوغل في هذه الجوانب، فإنه يستلزم كتابة موسوعة شاملة تلتقي فيها الخطط بالأحداث، ودور الأعلام في الحياة العلمية والسياسية والاجتماعية، ولم ينهض بهذا المشروع إلا المؤسسات العلمية والجامعية، ولعل كتابنا يكون حافزاً للباحثين والمسؤولين في المؤسسات والمراكز العلمية على انجازه، وإن مشروعنا البحثي هذا يغطي جوانب من تاريخ الكوفة ورجالها، وقد أقيمت بعض فصول الكتاب في مؤتمرات وندوات علمية وثقافية، وهي تلقي ضوءاً على تاريخ الكوفة قد يستفيد منها الباحثون، وطلبة الدراسات العليا في الجامعات. وقد يتوجل الباحثون في أعماق التاريخ لاستخراج الغامض منه أو الغاطس في بطون المخطوطات لإبرازه إلى الوجود، وهذا مما يكمل المسيرة العلمية ويكشف عن جوانب جديدة، إذ إن كثيراً من المخطوطات لم تتحقق، وكثيراً من الأحداث لم تفسر تفسيراً علمياً دقيقاً، يتافق مع فلسفة التاريخ، وقد تحدد بحثنا عن الكوفة وفق حدودها، دون التوغل في دراسة (ظاهرها)، إذ أنها مع الحيرة والنجد تشكل المثلث التاريخي الحضاري، فالحيرة بحاجة إلى دراسة تاريخية مستقلة، لأن عمقها التاريخي والحضاري في عصر ما قبل الإسلام، ذو مساحة واسعة، وإن مدينة النجف الأشرف، التي تشكل (ظهر الكوفة أو ظاهرها) لها خصائص تاريخية عبر العصور والأزمنة وإن كتابنا (المفصل في تاريخ النجف الأشرف) سوف يستوعب فصول التاريخ النجفي، وإننا بعد الانتهاء من كتابة تاريخ الكوفة، نعود إلى الحيرة لنكشف عن جوانب من تاريخها وحضارتها، ولاشك إن في (المثلث التاريخي الحضاري) تداخل في

الأحداث، ومشتركات في كثير من الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية، وان الكشف التاريخي عن أغوار المثلث التاريخي الحضاري قد يساعد على الكشف عن تاريخ العراق وارض السواد، فقد قادت الحيرة المجتمع العراقي في عصر دولة المناذرة اللخمين، وقادت الكوفة المجتمع الإسلامي في عهد أمير المؤمنين عليهما السلام، وتسلمت مدينة النجف الأشرف مسؤولية القيادة العلمية في عصريها الإسلامي والحديث، وتشير النصوص التاريخية بأن الإمام المهدي عليهما السلام سوف يشكل حكومته المرتبة في مدينة النجف الأشرف، ويتخذ من الكوفة عاصمة حكومته. ومن مدينة جده أمير المؤمنين عليهما السلام ينطلق لتحرير العالم، وإقامة حكومة الإسلام الحقة، والتي وضع أسسها وأرسى قواعدها رسول الإنسانية الأعظم، نبينا الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام^(١). ونسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد لإكمال مشروعنا العلمي، خدمة للحقيقة والكلمة الصادقة، ووفاءً لعاصمة أمير المؤمنين عليهما السلام الكوفة الغراء وتقديراً لأرض النجف الأشرف الطاهرة المعطاء والتي تشرفت بجسده الشريف، واقتبس من علومه مبادئ الدين الحنيف.

د. حسن عيسى الحكيم
النجف الأشرف - ٢٠٠٨ / ١٤٢٩ م

(١) حسن الحكيم: حكومة الإمام المنتظر عليهما السلام وتنظيماتها المرتبة في النجف الأشرف، مجلة الانتظار، العدد الثامن، السنة الثالثة ١٤٢٨هـ.

**الكوفة
والأمانة العلمية**

أنا والكوفة - مشاريع وبحوث

بدأ عملي بالكتابة عن الكوفة منذ انتقال عملي الوظيفي من وزارة التربية إلى وزارة التعليم العالي عام ١٩٧٦م، فبدأت أحاضر في المؤتمرات والندوات، واكتب في الصحف والمجلات، وأقدم مشاريع ومقترنات تنصب على مدينة الكوفة، بعد أن رأيت فراغاً واضحاً في الكتابة عنها، قياساً للمدن الأخرى، وقد كانت تلزمني أفكار وآراء للنهوض العلمي لمدينتي النجف الأشرف والكوفة، وتوسعت الفكرة لإلخاق الحيرة بهما، فقد أصدرت موسوعتي بعنوان ((المفصل في تاريخ النجف الأشرف)) وتأتي هذه الدراسة عن مدينة الكوفة، مكملة للمفصل، وان شاء الله تعالى تأتي الحيرة ليصبح (المثلث الحضاري) قد أخذ نصبيه بالبحث والدراسة، وكانت مشاريعي ومقترناتي التي قدمتها للمسؤولين في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ولرئيسة جامعة الكوفة بما يلي:

١- الاحتفال بيوم الجامعة:

كلفني مجلس جامعة الكوفة عام ١٩٨٨م بتحديد يوم تاريخي ليصبح يوماً للجامعة تحفل به مؤسسات الجامعة في كل عام، وبعد التقريب والبحث في المصادر والمراجع، وقفت عند أهم حدث له أهمية تاريخية وفكرية هو الثاني عشر من رجب عام ٣٦هـ. وهو اليوم الذي دخل فيه الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة قادماً إليها من البصرة بعد فراغه من موقعة الجمل، وأصبحت الكوفة عاصمة للعالم الإسلامي، وقائدة للأمة، وقد أخذ مجلس الجامعة بالمشروع وافق من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وأصبح الرابع من كانون الثاني من كل عام عيداً جامعياً تحفل به الجامعة رسمياً، ويكرم فيه الأساتذة والطلاب.

٢- إحياء المثلث الحضاري:

توليت إدارة مركز دراسات الكوفة عام ١٩٩٦م، وكانت مهام المركز إعداد الدراسات والبحوث، و كنت أسعى إلى تحديدتها بتاريخ (المثلث الحضاري) الذي يشمل تاريخ الحيرة في عصر ما قبل الإسلام، وتاريخ الكوفة في العصر الإسلامي، وتاريخ النجف عبر عصورها المختلفة، وأصبح مصطلح المثلث الحضاري يأخذ موقعه من الدراسات الجامعية، فأصدرت مجلة (حضارة الكوفة) بعد أن كانت نشرة بسيطة، واعددنا مهرجاناً ضخماً بعنوان (ألف وأربعينية عام على تأسيس الكوفة) والاحتفال بالشخصيات العلمية والأدبية، وهم: السيد احمد الصافي النجفي، والشيخ جعفر محبوبة والسيد محمد سعيد الحبوبي، والسيد سعد صالح جريبو، والشيخ محمد جواد الجزائري، والشيخ محمد رضا المظفر، ووضعنا في القائمة أسماء أخرى، ولكن رئاسة الجامعة أعلمتنا بإيقاف الاحتفال بالشخصيات ويكتفى بالمواضيع العامة، فقمنا بإعداد مؤتمر عن دور النجف بالاحتفاظ باللغة العربية، ومؤتمر الاختلاف المروي في مدينة النجف الأشرف، وأخيراً المؤتمر الكبير الذي خصص لتاريخ الحيرة، وبعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣م، جاء احتفالنا الأول بذكرى الأستاذ الدكتور مصطفى جمال الدين وأصدرنا مجلة (دراسات نجفية) وكتبت عن الكوفة وخططها ورجالها وحوادثها التاريخية بحوثاً علمية وهي على النحو الآتي:

- ١- الثوية موقعها وتاريخها، بحث في مجلة كلية الفقه، العدد الثاني لسنة ١٤٨٣هـ/١٩٨٣م.
- ٢- خندق الكوفة في التاريخ، بحث في مجلة المورد، المجلد (٢٨) العدد الرابع لسنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- ٣- تمصير الكوفة بين الإنسان والأرض، بحث في مجلة الكوفة المجلد الخامس، العدد الأول لسنة ٢٠٠١م.

- ٤- لمحات من تاريخ الطب وعلوم الحياة في الكوفة في العصور العربية الإسلامية،
بحث في مجلة الكوفة، العدد الأول لسنة ٢٠٠٢ م.
- ٥- رئيس جامعة الكوفة في حديث ساخن مع مجلة الصراط المستقيم، العدد (٢٦)
لسنة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- ٦- علماء الكوفة في المدرسة المستنصرية، بحث في مجلة الكوثر، العدد (٥١) لسنة
٢٠٠٢ م.
- ٧- الكوفة من الجامع إلى الجامعة، بحث في مجلة الكوفة، العددان الثالث والرابع
لسنة ٢٠٠٤ م.
- ٨- خطط الكوفة في شعر المنبي، بحث في مجلة الكوفة، العدد السادس لسنة
٢٠٠٥ م.
- ٩- قبيلة مذحج في حاضرة الكوفة، بحث في مجلة السدير، العدد (١١) لسنة ٢٠٠٦ م.
- ١٠- تخطيط المدينة العربية الإسلامية (النجف والكوفة أنموذجاً) بحث في مجلة آداب
الكوفة، العدد الأول لسنة ٢٠٠٨ م.

أما المقالات الصحفية فهي على النحو الآتي:

- ١- تصوير الكوفة، جريدة الثورة، العدد (٦٧٦٧) بتاريخ ٢/٦/١٩٨٨ م.
- ٢- خندق الكوفة، جريدة الثورة، العدد (٦٨٢٣) بتاريخ ١/٣١/١٩٨٩ م.
- ٣- خطط الكوفة في شعر المنبي، جريدة القادسية، العدد (٤٨٠) بتاريخ
١٩٩٥/٩/٣ م.
- ٤- البراقى النجفي وكتاب تاريخ الكوفة، نشرة حضارة الكوفة العدد الثاني لسنة
١٩٩٦ م.
- ٥- جريدة الفرات تحاور الدكتور حسن الحكيم (استعدادات متواصلة لإقامة
الاحتفالية العلمية لأنفية الكجرى بذكرى تأسيس الكوفة) العدد (١٨) بتاريخ
٢٠٠٠/٨/٢٣ م.

- ٦- مسجد الكوفة أول مؤسسة علمية في تاريخ الكوفة، نشرة حضارة الكوفة العدد الثالث لسنة ٢٠٠١ م.
- ٧- الشيخ علي البازبي، الشاعر الذي أرخ لمدينتي النجف والكوفة، مجلة السمنت الجنوبيّة، العدد الرابع لسنة ٢٠٠٢ م.
- ٨- جامعة الكوفة صرح علمي استهدفه الحاقدون، جريدة الرابطة، العدد الثاني بتاريخ ٢٠٠٣/٥/٨.
- ٩- يوم الجامعة، يوم الإمام علي عليه السلام، جريدة أصوات الجامعة، العدد الثالث لسنة ٢٠٠٤ م.
- ١٠- في يوم الجامعة نستذكر أول عاصمة في العراق، جريدة أصوات الجامعة، العدد الخامس لسنة ٢٠٠٥ م.
- ١١- جامعة الكوفة وطموحات المستقبل، جريدة أصوات الجامعة، العدد السادس لسنة ٢٠٠٥ م.
- ١٢- منتدى الكوفة الثقافي عود على بدء، جريدة العراق، العدد (٢١٧٠) بتاريخ ١٩٩٤/٨/٢.
- ١٣- حوار مع الأستاذ الدكتور حسن الحكيم (رئيس جامعة الكوفة) جريدة مهرجان الجواهري، العدد الرابع بتاريخ ٢٠٠٥/٢/٢٩ م.
- ١٤- العراقان البصرة والكوفة في روایات سیف بن عمر، جريدة الزمان، العدد (٢٢٥٨) بتاريخ ٢٠٠٥/١١/١٤.
- ١٥- آثار الكوفة في دراسات المستشرقين، جريدة الزمان، العدد (٢٤٥٣) بتاريخ ٢٠٠٦/٧/١٧.
- ١٦- جامعة الكوفة ومسيرة التحدى والصمود، جريدة أصوات الجامعة العدد الرابع لسنة ٢٠٠٤ م.
- وقد قمت بتقديم البحوث العلمية الخاصة بمدينة الكوفة والمرسلة إلينا من الجامعات العراقية وهي:

- ١- أسباع الكوفة، بحث مرسل من كلية التربية للبنات بجامعة الكوفة بتاريخ ٢٩/١٢/١٩٩٣ م.
- ٢- روایات ابن اعثم الكوفي دراسة تحليلية في العلاقات العسكرية العربية - الخزرية، بحث مرسل من كلية التربية بجامعة القادسية بتاريخ ٩/١/١٩٩٤ م.
- ٣- من رواد الفكر في الكوفة، بحث مرسل من كلية التربية للبنات بجامعة الكوفة بتاريخ ١٥/٢/١٩٩٤ م.
- ٤- أمير الكوفة سعيد بن العاص ودوره السياسي والإداري والعسكري بحث مرسل من كلية البنات بجامعة الكوفة بتاريخ ١٥/٢/١٩٩٤ م.
- ٥- الصحابي حذيفة بن اليمان العبسي وجهاده في الكوفة، بحث مرسل من كلية الآداب بجامعة الكوفة بتاريخ ٢٨/١/١٩٩٥ م.
- ٦- الكشف عن الملقطات السطحية في درب الكوفة - مكة على ضوء المسيح الاثاري، بحث مرسل من كلية الآداب بجامعة الكوفة بتاريخ ١٢/٣/١٩٩٥ م.
- ٧- اثر علماء الكوفة على الحياة الفكرية في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، بحث مرسل من جامعة الكوفة بتاريخ ١٠/٢/١٩٩٦ م.
- ٨- الصحابي سلمان بن ربيعة الباهلي أول قاضي على الكوفة، بحث مرسل من كلية الآداب بجامعة الكوفة بتاريخ ٢٧/٢/١٩٩٦ م.
- ٩- المدرسة التاريخية في الكوفة خلال القرنين الأول والثاني للهجرة، بحث مرسل من الجامعة المستنصرية بتاريخ ١٠/٩/١٩٩٦ م.
- ١٠- الأبعاد الإدارية في تحظيط الكوفة، بحث مرسل من مجلة الكوفة بتاريخ ١٠/١٠/٢٠٠٦ م.
- ١١- ابن اعثم الكوفي وكتابه الفتوح، بحث مرسل من كلية التربية بجامعة واسط بتاريخ ٩/٢/٢٠٠٢ م.
- ١٢- من رواد الفكر في الكوفة، بحث مرسل من مجلة جامعة الكوفة بتاريخ ٢٨/١/٢٠٠٢ م.

١٣- الكوفة تاريخياً وسياسياً، بحث مرسى من كلية الفقه بجامعة الكوفة بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/١٢م.

وأشرفت على رسائل الدكتوراه والماجستير في التاريخ الإسلامي عن الكوفة وهي:

١- الأبعاد الحضارية لقصر الإمارة في الكوفة حتى نهاية العصر الأموي لطالب الدكتوراه علي محمد مهدي عام ١٩٩٦م.

٢- الكوفة في العصر العباسي من القرن الرابع وحتى منتصف القرن السابع لطالب الماجستير معن صالح مهدي عام ١٩٩٢م.

٣- منطقة الكوفة ودورها في عمليات تحرير العرب للعراق في العصر الراشدي لطالب الماجستير رحيم هادي عبد الله عام ١٩٩٥م.

٤- الكوفة في كتب الرحالة العرب حتى نهاية العصر العباسي لطالب الماجستير عزيز ناظم عبد، عام ٢٠٠٠م.

٥- إبراهيم بن محمد الثقيفي الكوفي مؤرخاً لطالب الماجستير حسن كريم ماجد عام ٢٠٠٢م.

٦- فضل أهل الكوفة وأهلها لأبي عبد الله الحسني - دراسة وتحقيق لطالب الماجستير على جاسم شمخي عام ٢٠٠٢م.

٧- الكوفة في تاريخ ابن عساكر لطالب الماجستير جواد كاظم شايب عام ٢٠٠٤م.
وناقشت رسائل الماجستير في التاريخ عن الكوفة في الجامعات العراقية

وهي:

١- الكوفة في العصر العباسي دراسة في أحوالها السياسية والفكرية (١٣٢-١٥٢٤هـ) لطالب الماجستير جابر رزاق غازي عام ٢٠٠٠م.

٢- الاتجاهات السياسية القبلية في الكوفة في العصر الأموي (٤١-٦٥هـ) لطالب الماجستير أسامة كاظم عمران عام ٢٠٠٥م.

٣- نشأة التيار العلوي في الكوفة إلى نهاية العصر الأموي لطالب الماجستير احمد علاوي عام ٢٠٠٧م.

- ٤- القضاء في الكوفة النشأة والتطور دراسة تاريخية (١٧-١٣٢هـ) لطالب
الماجستير محمود شاكر مشعان عام ٢٠٠٧م.
- ٥- حركة التوابين (٦١-٦٥) لطالب الماجستير خالد راسم أمير عام ٢٠٠٧م.
- ٦- هشام بن الحكم الكوفي ودوره في الحياة الفكرية في العصر العباسي الأول،
لطالب الماجستير مخلد ذياب فيصل عام ٢٠٠٧م.
- ٧- مدرسة الكوفة الحديثية في القرنين الأول والثاني الهجريين لطالبة الماجستير
هناه حسين علوان عام ٢٠٠٧م.

الكوفة
والعمق التاريخي والحضاري

الكوفة في اللغة والاشتقاق

الكوفة بالضم كما وردت في كتب اللغة والبلدان، وسميت بهذا الاسم لاستدارتها أو اجتماع الناس بها^(١). ويقول اللغوي قطرب: سميّت الكوفة من قولهم: تکوف الرمل، أي ركب بعضه ببعضًا، والکوفان: الاستدارة، ويقول أبو حاتم السجستاني: إن الكوفة رملة مستديرة، يقال لأنّهم في کوفان^(٢). وتکاد تجمع المصادر على القول: إن كل رمل خالطه حصى فهو کوفة^(٣). وقد أعطى الجغرافي البكري للكوفة بعداً تارينيا وجغرافياً بقوله: إنما سميت الكوفة، لأن سعد بن أبي وقاص بعد موقعة القادسية، نزل في منطقة الانبار، ومعه المقاتلة من المسلمين، ثم ارتاد لهم موضع الكوفة، وقال لهم: تکوفوا في هذا الموضع، أي اجتمعوا فيه^(٤). وحدد المؤرخون هذا الحدث في عام ١٧هـ، وذلك في عهد عمر بن الخطاب، وبناء على طلبه اختط سعد بن أبي وقاص الزهري مدينة الكوفة^(٥). ونستفيد من نصوص التاريخ والبلدان واللغة إن مصطلح الكوفة مشتق من تکوف القوم وتجمعهم، أو من الرملة الحمراء المستديرة، وان کلاهما ينطبقان على تخطيط الكوفة، ومن ثم تحويلها إلى مصر إسلامي كبير، يناظر مدينة البصرة التي خططت عام ١٤هـ. وأشار المقدسي إلى الكوفة بقوله: أنها قصبة جليلة، حفيفة حسنة البناء، جليلة الأسواق، كثيرة الخيرات، جامعة رفقة^(٦). وقد لحق بالکوفة (الخط الكوفي) و(النحو الكوفي) و(ظهر الكوفي) ولباس الكوفية^(٧). وهذه الألفاظ العلمية

(١) البغدادي: مراصد الاطلاع ١١٨٧/٣.

(٢) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص ١٦٢.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم ص ١١٦.

(٤) البكري: معجم ما استعجم ١١٤٢/٤.

(٥) اليعقوبي: البلدان ص ٥.

(٦) المقدسي: أحسن التقاسيم ص ١١٦.

(٧) الطريحي: مجمع البحرين ١١٦/٥.

والخططية والحضارية تعطي للكوفة أهمية تفوقها على الأمسار الأخرى، وان الامتداد الجغرافي للكوفة جعل لها ظهراً أو ظاهراً، ربطه جغرافيا بظاهر الحيرة، وهي الأرض المرتفعة ويقال لها طريق وهو أشارات إلى ما خرج عن خندق الكوفة^(١). وتحتل منطقة الشوية، ومنطقة الغري جزءاً من ظهر الكوفة، وان هاتين المنطقتين تشكلان ارض النجف الاشرف ويعود تاريختهما إلى عصر ما قبل الإسلام، فبنيت في ظهر الكوفة أو ظهر الحيرة القصور والأديرة والقلاع والمحصون والمقابر، ومنها (الغريان) حيث مرقد أمير المؤمنين عليه السلام بينهما. وقد أطلق على هذه الأرض لفظ (نجف الحيرة) أي ما ارتفع من ارض الحيرة، كما أطلق لفظ (نجف الكوفة) ويلتقي اللفظان في معنى واحد، وهو ما ارتفع من ارض هاتين المدينتين، ولما أراد سعد بن أبي وقاص تحطيط الكوفة، خرج ومعه المقاتلة من المسلمين إلى منطقة الظهر التي كانت تسمى (خد العذراء) التي ينبت فيها الشيخ والقيصوم والأقحوان، وأنواع الورود والأزهار، فقال سعد لأصحابه (اختطوها)^(٢). فبدؤوا بالمسجد ودار الإمارة، ثم اختط الناس مساكنهم حولهما. وجاء اختيار الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة عاصمة للعالم الإسلامي بعد المدينة المنورة، يعود لأسباب عديدة وفي مقدمتها الموقع الجغرافي، لأن الكوفة تتوسط بين المدينة المنورة والبصرة من جانب، واقرب منطقة لبلاد الشام، وبعد فراغ الإمام علي عليه السلام من معركة الجمل، تفرغ لمنازلة خصمه والتمرد على السلطة الشرعية معاوية بن أبي سفيان، لأن الرجوع إلى المدينة سوف يفسح المجال لمعاوية للتقدم نحو العراق وبخاصة مدينة الكوفة، وان بعد الجغرافي والعسكري والسياسي والاجتماعي للكوفة جعلها مؤهلاً للقيادة، وهذا الرأي هو الأقرب إلى واقع الحال لاختيار الكوفة عاصمة للدولة، وأورد بعض المؤرخين سبباً آخر لاختيار هو وجود التنافس بين مكة والمدينة من جانب، وبينهما والبصرة من جانب آخر حتى

(١) الطوسي: الامالي ١٩١، ابن طاووس: فرحة الغري ص ٢٠.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٧٧.

قيل: ((لا يرضى أهل المدينة بما يرضى أهل مكة)) وقيل: ((لا يرضى أهل الكوفة بما يرضى هؤلاء وهؤلاء)) ولا ننسى وجود التنافس بين الكوفة والبصرة قد اخذ في التوسيع بعد انتصار أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل عام ٣٦هـ، مما عزز من مفاخرة الكوفيين على البصريين، لأن الكوفة وقفت إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام ونصرته، في حين إن البصرة وقفت إلى جانب أعدائه، ولكن موقف بعض الكوفيين ولا سيما القبائل اليمنية قد تغير، كما تشير خطب الإمام عليه السلام المودعة في كتابه الخالد (نهج البلاغة)، وان الشواهد التاريخية تؤيد هذه الحقيقة، فان كثيراً من الكنديين والاشعريين لم يثبتوا على عقيدتهم العلوية وإيمانهم الإسلامي، مما خلقوا أزمة في الموقف السياسي في المدة الواقعة بين (٣٦ - ٤٠هـ)، وبخاصة عند منازلة أمير المؤمنين عليه السلام للتمرد الأموي وللتمرد الخارجي، وقد خسرت الكوفة موقعها القيادي البارز بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام.

اختيار الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة عاصمة للعالم الإسلامي

لقد كثر الحديث حول أسباب اختيار الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة دون سواها عاصمة للعالم الإسلامي بعد المدينة المنورة، وقد طرحت آراء عدة أوردها المؤرخون منها: التنافس بين مكة والمدينة والكوفة، حتى قيل: ((لا يرضى أهل المدينة بما يرضى أهل مكة)) وقيل: ((ولا يرضى أهل الكوفة بما يرضى هؤلاء وهؤلاء)) أما الرأي الثاني: هو وجود التنافس بين البصرة والكوفة في الإدارة والفكر، وبما إن البصرة قد ناصرت أعداء الإمام علي عليه السلام في يوم الجمل، وان الكوفة قد وقفت مع الإمام في حربه للخارجين على خلافه، فأصبح لها المقام المتقدم، أما الرأي الثالث يقول: أراد الإمام علي عليه السلام اختيار الموقع القريب من الشام لمنازلة خصمه معاوية بن أبي سفيان، فكانت الكوفة هي الأقرب من غيرها، ولدى المتخصص للنصوص الدقيقة يجد الرأي الأخير هو الأقرب لمجريات الأحداث، فقد أراد الإمام علي عليه السلام قطع الطريق أمام معاوية، والخلولة دون تقدمه نحو العراق، وقد أراد عليه السلام أن تكون الكوفة قائدة الأمة من جانب، وان تكون الأنصار الإسلامية بما فيها الشامتابعة للكوفة. وحينما أنهى عليه السلام حركة التمرد في البصرة، وجد الكوفة مؤهلاً للاختيار عاصمة للعالم الإسلامي، لوجود أعداد غفيرة من جيشه من الكوفيين، وقربها الجغرافي من الشام، وهذا بعد العسكري والسياسي جعله يتبع عن المدينة وعن البصرة، ولو انه سحب جيشه إلى المدينة لاستغل معاوية الفرصة وتقدم نحو العراق، ولذلك فوت الفرصة أمام معاوية، ويجب أن لا ننسى إن للكوفيين دوراً في مقتل عثمان بن عفان من جانب، وقتلهم المرير في يوم الجمل. ويبدو إن موقف الكوفيين قد تغير في السنوات الأخيرة من حكم الإمام علي عليه السلام حتى انه وصف أهل الكوفة بالأسود الرواغة والثعالب الرواغة. وفي تقديرني إن تغيير الموقف كان من قبل اليمانيين الذين سكنوا الكوفة

منذ تنصيرها عام ١٧هـ، ومشاركتهم في عمليات الفتوح منذ عهد عمر بن الخطاب، ولم نجد لكثير من اليمنيين استقراراً على رأي ثابت، كما هو الحال عند بعض الأشعريين والكنديين، وإن المدة الزمنية التي أصبحت بها الكوفة عاصمة للعالم الإسلامي بين (٣٦-٤٠هـ) لم تكن كافية لإدارة الأمصار الإسلامية في المشرق، لانشغال الإمام علي عليهما السلام في إنهاء التمرد الداخلي بعد موقعة الجمل، إذ كانت صفين والنهر وان عائقاً من تنفيذ مشروعه لنشر الإسلام في المشرق واستحالته في المغرب بعد استشهاد مالك الاشتراط ومحمد بن أبي بكر على الحدود المصرية، ووقف معاوية في بلاد الشام لمنع أي تقدم من جهة العراق. وكانت هذه الظروف الصعبة قد واجهت الإمام الحسن عليهما السلام بعد استشهاد أمير المؤمنين عليهما السلام، مما اضطر إلى مغادرة الكوفة والعودة إلى المدينة المنورة بعد عقد الاتفاقية مع معاوية. ويكوننا القول: إن الكوفة فقدت مركزها القيادي بعد استشهاد الإمام علي عليهما السلام عام ٤٠هـ، وسيطرت الشام على زمام الأمور، وأصبحت الكوفة مصرًا بعيدًا عن القيادة، وقد أضعفها بصورة أكبر بناء الحجاج بن يوسف الثقفي لمدينة واسط عام ٨٣هـ.

خطط الكوفة

تخطيط المدينة العربية الإسلامية مدينة الكوفة أنموذجاً

المقدمة:

يعد تخطيط المدن في عصر الإسلام مظهراً حضارياً وعربياً إسلامياً، وقد كان العراق أول بلد قد حظي بهذا المظهر الحضاري في التاريخ العربي الإسلامي، وكانت أرض السواد من العراق قد خططت فيها مدینتا البصرة والكوفة في عامي ١٧١٤ هجرية، وذلك في العصر الراشدي، وخططت مدينة واسط عام ٨٣ هـ في العصر الأموي، وخططت مدینتا بغداد والنجف الأشرف في عامي ١٤٥ و ١٧٠ هجرية في العصر العباسي، وتلقي تخطيطات المدن العراقية في كثير من الخصائص عدا بعض المزايا التي تتصف بها هذه المدينة عن تلك، فقد يكون العامل العسكري أو السياسي أو الديني في مقدمة العوامل الأخرى، فقد ارتبط تأسيس الكوفة بعملية فتح العرب المسلمين للعراق، وبعد طرد الفولول العسكرية الساسانية من أرض السواد، شعر العرب المسلمون بال الحاجة إلى إنشاء دار هجرة على تخوم البلاد المفتوحة، تكون بمثابة المعسكر والمركز للهجرة في الوقت نفسه^(١)، وأصبحت مدينة الكوفة وغيرها من الأمصار العربية الإسلامية محطة المجاهدين، ومستقر القبائل، وحلقة الوصل بين المدينة المنورة (عاصمة المسلمين) والمناطق المحررة والمفتوحة، وقد اتخذ المجاهدون من مدينة الكوفة خطاً مفتوحاً، يؤمن رجعتهم في حالة تعرضهم للخطر، فيحتمون بها عندما يضايقهم العدو، كما أنها كانت مركزاً تموينياً للجيوش التي تحارب في الجبهات العسكرية في العراق والمناطق الشرقية^(٢)، وإذا كان العامل العسكري قد احتل مركز الصدارة في تأسيس مدينة الكوفة فإن العامل الديني كان في مركز الصدارة في تأسيس مدينة النجف الأشرف، فقد تحدد موقع المدينة بتصريح الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام، حيث تمحور

(١) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية، ص ٦.

(٢) مصطفى الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، ص ٨٦-٨٧.

الناس حول مرقده الشريف، ودفن موتاهم بالقرب منه، استناداً لأحاديث شريفة ومرويات مأثورة تحذّذ ذلك، وفي تأسيس مدینيـة الكوفـة والنـجف ظـاهـرـة اـشـتـرـكـتـ فيها هـاتـانـ المـديـنـيـاتـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ الفـارـقـ الزـمـنـيـ فـيـ تـأـسـيـسـهـمـاـ وـهـوـ ((ـالـإـرـثـ التـارـيـخـيـ))ـ فـقـدـ تـأـسـسـتـ مـدـيـنـةـ الـكـوـفـةـ عـلـىـ أـنـقـاضـ مـدـيـنـةـ الـحـيـرـةـ،ـ تـلـكـ الـمـدـيـنـةـ الـعـرـبـيـةـ الـعـرـيقـةـ الـتـيـ كـانـتـ عـاصـمـةـ لـدـوـلـةـ الـمـاذـرـةـ فـيـ عـصـرـ ماـ قـبـلـ إـسـلـامـ،ـ فـأـصـبـحـتـ الـكـوـفـةـ وـرـيـثـةـ الـحـيـرـةـ وـقـدـ بـنـيـتـ مـنـ حـجـارـتـهـاـ،ـ وـتـأـسـسـتـ مـدـيـنـةـ الـنـجـفـ عـلـىـ أـنـقـاضـ الـكـوـفـةـ تـلـكـ الـمـدـيـنـةـ الـتـيـ اـحـتـلـتـ مـرـكـزـ الـوـلـاـيـةـ وـمـنـ ثـمـ عـاصـمـةـ لـدـوـلـةـ إـسـلـامـيـةـ،ـ فـقـدـ بـنـيـتـ النـجـفـ مـنـ حـجـارـةـ الـكـوـفـةـ وـأـنـقـاضـهـاـ وـوـرـثـتـ مـدـرـسـتـهاـ الـعـلـمـيـةـ وـالـفـكـرـيـةـ مـنـ الـقـرـنـ الـثـالـثـ الـهـجـرـيـ/ـالـتـاسـعـ الـمـيـلـادـيـ وـسـوـفـ يـتـرـكـ بـحـثـاـ عـلـىـ تـخـطـيـطـ مـدـيـنـةـ الـكـوـفـةـ وـبـيـانـ خـصـائـصـهـاـ الـعـمـرـانـيـةـ وـالـحـضـارـيـةـ.

كـانـتـ مـدـيـنـةـ الـكـوـفـةـ كـأـخـتـهـاـ مـدـيـنـةـ الـبـصـرـةـ الـتـيـ سـبـقـتـهـاـ فـيـ التـأـسـيـسـ ثـلـاثـ سـنـينـ،ـ فـقـدـ تـأـسـسـتـ مـدـيـنـةـ الـبـصـرـةـ عـامـ ١٤ـهـ،ـ وـمـدـيـنـةـ الـكـوـفـةـ عـامـ ١٧ـهـ فـيـ أـصـحـ الـرـوـاـيـاتـ وـتـجـمـعـتـ فـيـ تـأـسـيـسـ مـدـيـنـةـ الـكـوـفـةـ سـتـةـ عـوـاـمـلـ هـيـ:

- ١ـ العـاـمـلـ الـعـسـكـرـيـ.
- ٢ـ العـاـمـلـ الـجـغـرـافـيـ.
- ٣ـ العـاـمـلـ التـارـيـخـيـ.
- ٤ـ العـاـمـلـ الـفـكـرـيـ.
- ٥ـ العـاـمـلـ الـاجـتـمـاعـيـ.
- ٦ـ العـاـمـلـ الـاـقـتـصـادـيـ.

وـكـانـ العـاـمـلـ الـعـسـكـرـيـ فـيـ مـقـدـمـةـ الـعـوـاـمـلـ،ـ لـذـاـ أـطـلـقـ عـلـىـ الـكـوـفـةـ لـفـظـ ((ـكـوـفـةـ الـجـنـدـ))ـ،ـ وـقـدـ اـخـتـيـرـتـ لـتـكـونـ نـقـطـةـ اـرـتـكـازـ يـسـتـرـيـعـ عـنـهـاـ الـجـنـدـ مـنـ عـنـاءـ السـفـرـ وـعـنـاءـ الـقـتـالـ،ـ ثـمـ أـصـبـحـتـ مـعـسـكـراـ ثـابـتاـ،ـ فـقـدـ أـشـارـتـ الـمـصـادـرـ إـلـىـ أـنـ الـكـوـفـةـ ((ـدارـ هـجـرـةـ وـمـنـزـلـ جـهـادـ))ـ وـ((ـدارـ هـجـرـةـ وـقـيـرـوانـ))ـ،ـ وـمـعـنـىـ الـقـيـرـوانـ

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/٤٩١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٢.

معظم الكتبية^(١)، وأطلق لفظ ((المقاتلة)) على المرابطين على حدود الكوفة والزاحفين نحو العراق من شبه الجزيرة العربية، وهذا مما جعل مدينة الكوفة تشكل ثرة مباشرة لعملية من عمليات الفتح الخاطف معللة إياها ومشكلة بدورها امتداداً لها^(٢)، وقد أعطى موقع الكوفة أهمية جغرافية وذلك لتربعها على كتفين هما: الصحراء من جانب، والماء من جانب آخر، وهذا مما ساعد على جذب السكان إليها، ويقول المستشرق ماسنيون: إن تصير الكوفة وثبتت القبائل البدوية الفاتحة المتصرفة واستقرارها على حافة الصحراء في ريف ماس إلى لسان من الرمل اليابس النافذ في منطقة تروي بعياه شط عظيم وهو نهر الفرات^(٣)، إضافة إلى قرب الكوفة من مدينة الحيرة (عاصمة المناذرة) تلك المدينة المتربعة على ساحل بحر النجف، واتصالها بريف العراق وسواهه وبأرض شبه الجزيرة العربية والشام، وقد ورثت مدينة الكوفة هذه الخصائص، كما ورثت خصائصها العلمية والفكرية فقد كانت (عاقولاً) مركز الثقافة قبل الإسلام، وقد عدت مدينة الحيرة في عصرها الذهبي أحدى المدن العلمية الخمس التي تدرس الفلسفة اليونانية وهي: الراها، نصيбин، حران، جنديسابور، وقد ترعرع فيها الشعر العربي، واحتفظ النعمان بن المنذر (ملك الحيرة) بدواوين الشعراء العرب وقد امتدت هذه الحركة العلمية إلى الكوفة منذ تأسيسها عام ١٧هـ/٦٣٨ م حيث جمع العرب المسلمين بين العلم والجهاد، وقد أشار عمر بن الخطاب إلى الكوفة بقوله ((الكوفة رمح الله، وكنز الإيمان وججمة العرب يحيزن ثورهم ويمدون الأمصار))^(٤)، فقد هبط على رجالها سبعون بدرياً وثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وهم من صحابة رسول الله ﷺ، وفي عام ٣٦هـ تحولت الكوفة إلى عاصمة الدولة وقائدة الأئمة، ويشكل هذا الحدث نقطة تحول في تاريخ مدينة الكوفة وأشار إليها الإمام علي عليه السلام بقوله:

(١) الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مادة ((قرن)).

(٢) هشام جعيط: الكوفة نأسأ المدينة ص ٦.

(٣) ماسنيون: خطط الكوفة، ص ١٥.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٦/٥.

((الكوفة جمجمة الإسلام وكنز الإيمان وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء وأيم الله لينصرن الله بأهلها من مشارق الأرض ومغاربها كما انتصر بالحجارة))^(١)، وأراد عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بذلك ((حجارة السجيل)) التي حملها طير الأبايل التي أمطرت الأحباش عند غزوهم للküبة الشريفة.

وقد مرت مدينة الكوفة منذ تأسيسها بخطط إدارية واجتماعية ودينية وغيرها، وقد أعطت لمدينة الكوفة خصائص عمرانية وحضارية وهي:

الخطط الدينية:

بعد مسجد الكوفة أحد المساجد الأربع في الإسلام التي لها قدسيّة ومكانة وروحية كبيرة واليه أشار الإمام علي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بقوله: (انه أحد المساجد الأربع التي تعظم ولأن أصلّي فيه ركعتين أحبّ ألي من أصلّي عشرة في غيره إلا في المسجد الحرام ومسجد رسول الله ﷺ، وقد شيد المسجد في وسط المدينة ((وبذلك يكون مسجد الكوفة هو محور المدينة ومركزها الرئيس))^(٢)، وقد قام بناؤه على أرض مربعة الشكل تقرّباً بالحراف قليل عن زاوية القبلة بمقدار سبعة عشرة درجة وكان طول الضلع المواجه للقبلة (١١٠مترًا) والجدار المقابل للقبلة يبلغ (١٠٩مترًا)، أما الضلعان الآخرين فيبلغ طول كلّ منهما (١١٦مترًا) ودللت الدراسات الآثرية إن الجدران كانت نازلة في الأرض إلى عمق خمسة أمتار ونصف وإن الجدران كانت مدعومة من الخارج بأبراج نصف دائريّة ترتفع بارتفاع الجدران إلى حدود عشرين متراً^(٣)، ولم يكن بمسجد الكوفة عند تخطيطه أروقة أو مجنّبات باستثناء جانب فكان بالإمكان مشاهدة ((دير هند)) الواقع على

(١) م. ن. ٦/٦.

(٢) حسين أمين: (مسجد الكوفة في التاريخ) مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول لسنة ٢٠٠١م، ص. ٤٠.

(٣) م. ن.

خندق الكوفة من صحن المسجد وكانت باب الجسر في اتجاه الفرات^(١)، وهذا يعني أنه لم تكن هناك جدران مرتفعة لكن كان سياج من قصب أو جدار صغير من لبن على أكثر تقدير^(٢)، وقد حدد المؤرخ الطبرى موقع مسجد الكوفة بقوله:- ((فأول شيء خط في الكوفة وبني حين عزموا على بناء المسجد، فوضع في موضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق))^(٣)، وكان المسجد يتسع لأربعين ألف نسمة في العصر الراشدي، ثم أصبح يتسع لستين في العصر الأموي، وقد حدد برمية سهم لرام، وأبعادها ((الغلوة)) وهي: تقدر برمية سهم^(٤)، ويقول الطبرى: ((فترك المسجد في مربعة غلوة من كل جوانبه، وبني ظلة في مقدمه، ليست لها مجنبات ولا مواخير))^(٥).

وبنيت في مدينة الكوفة مساجد أخرى لبطون القبائل، قد اكتسب بعضها صفة القدسية كمسجد السهلة، وهو مسجد القرى لعبد القيس ومسجد جعفى نسبة لجابر بن يزيد الجعفي المذحجى، ومسجد غنى، وهو لرجل مؤمن من القيسيين ومسجد الحمراء، وهم جماعة قد تحالف مع قبيلة عبد القيس، وفي الكوفة مساجد أخرى قد اتخذت مكانا للتأمر والدسائس والتي أطلق عليها لفظ (الملعونة) وهي أربعة: مسجد ثقيف، ومسجد الأشعث، ومسجد جرير بن عبد الله البجلي، ومسجد سماك بن مخرمة الهالكي الأسدى^(٦).

(١) الطبرى: التاريخ ٤٧/٤.

(٢) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة، ص ٩٩.

(٣) الطبرى: التاريخ ٤٤/٤.

(٤) ابن منظور: لسان العرب ١٣٢/١٥.

(٥) الطبرى: التاريخ، ٤٤/٤.

(٦) ماسنيون: خطط الكوفة ص ١١٧، ١١٨.

الخطط الإدارية:

اختط العرب المسلمين دار الإمارة بعد المسجد الجامع في الكوفة ويقع في جهته القبلية، ومن جهة الجنوب الشرقي، وقد حده المؤرخ الطبرى بقوله:- ((وبنوا لسعد بن أبي وقاص داراً بجىال مسجد الكوفة بينهما طريق منقب مائى ذارع، وجعل فيها بيت الأموال، وهي قصر الكوفة اليوم))^(١)، ولما تعرض بيت المال للسرقة اثر ثقب احدث في جداره، كتب سعد إلى عمر بن الخطاب واصفاً له موضع الدار وبيت المال فأجابه بما يلي:- ((أن انقل المسجد حتى تضنه إلى جنب الدار قبلته فان للمسجد أهلاً بالنهار والليل وفيهم حصن لمالهم))^(٢)، ولم يكن عمر راضياً على إجراءات سعد الإدارية بعد بنائه قصر الإمارة والذي أطلق عليه أيضاً لفظ (قصر سعد) لأنّه جعل بينه وبين الناس باباً فكتب إليه قائلاً:- ((بلغني أنك بنيت قصراً واتخذته حصنناً ويسّمى قصر سعد وجعلت بينك وبين الناس باباً فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال، أنزل منه منزلةً مما يلي بيته الأموال وأغلقه، ولا تجعل على القصر باباً تمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم، ليوافقوا مجلسك ومخرك من دارك إذا خرجت))^(٣)، وأطلق الإمام علي عليه السلام على قصر الإمارة لفظ ((قصر الخبال)) عند دخوله مدينة الكوفة في ١٢ رجب ٣٦هـ فقيل له أي القصرين نترك ؟ قال: قصر الخبال لا تنزلونيه^(٤)، وقد أراد علي عليه السلام النزول في الرحبة^(٥)، وتقع الرحبة في الجهة الغربية من دار الإمارة وقد عرفت فيما بعد باسم ((الرحبة على))^(٦)، وبعد تأسيس الدولة الأموية عام ٤١هـ، اتخاذ ولاتها قصر

(١) الطبرى: التاريخ، ٤٥/٤.

(٢) م.ن. ٤٦/٤.

(٣) م. ن ٤/٤٧، البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٧.

(٤) نصر بن مراحى: وقعة صفين، ص ٦.

(٥) الدينوري: الأخبار الطوال ص ١٥٢.

(٦) اليعقوبى: البلدان ص ٧٥.

الإمارة مقرأ لهم حتى عام ٧١ هـ حيث أمر عبد الملك بن مروان بهدم الطاق الذي وضع تحته رأس مصعب بن الزبير، ومن الثابت أن هذا الطاق قد وضع تحته رأس الحسين عليهما السلام، ورأس عبيد الله بن زياد، ورأس المختار بن أبي عبيد الثقفي، ورأس مصعب بن الزبير، فقال عبد الملك بن عمير: وأنا أعيذ أمير المؤمنين من شر هذا المجلس فارتعد عبد الملك فقام من فوره وأمر بهدمه^(١).

الخطط الاقتصادية:

بنيت في مدينة الكوفة دار الرزق وهو مخزن كبير لحفظ أموال الصدقات أو الغنائم قبل توزيعها بين المقاتلة وقد جدد بناء الدار عدة مرات وذلك لارتباطها الإداري بالولاية، ولأهميةها الاقتصادية ويبدو أن دار الرزق تقع على بعد من مسجد الكوفة وقصر الإمارة وقد جعلها المستشرق (ماسنيون) عند مخرج الجسر المنصوب على نهر الفرات، فيقول:- وبعد تأسيس دار الرزق نصب سلسلة على رأس الجسر مقام مركز الكمرك على عهد الساسانيين بالقرب من المشنة التي صلب عليها أبو الخطاب (محمد بن مقلactual الأسي)^(٢)، أما الأسواق فأنها كانت تتمتد من قصر الإمارة ومسجد الكوفة إلى دار الوليد بن عقبة من جهة، والقلائين من الجهة الأخرى، إلى منازل ثقيف وأشجع من الجانب الآخر، وكانت سقوف الأسواق في بادئ الأمر من الخصر، وظلت كذلك حتى زمن الوالي خالد بن عبد الله القسري، حيث عقدت بالأحجار^(٣)، وكانت أسواق الكوفة مخصصة للمهن المعروفة والصناعات التي اشتهرت في المدينة وهي^(٤):

١- سوق الصاغة، وتقع محلاتهم في جنوب المسجد.

٢- سوق الخز والقصارين، وتقع محلاتهم في أطراف دار الوليد.

(١) المسعودي: مروج الذهب ١١٧/٣، سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص، ص ١٤٨.

(٢) ماسنيون: خطط الكوفة ص ٩٣.

(٣) ماسنيون: خطط الكوفة ص ٩٥.

(٤) م. ن: ص ١٠٤ - ص ١٠٥.

٣- سوق الحدادين، وتقع محلاتهم في غرب المدينة.
 ٤- سوق القلائين، يقع على امتداد الكناسة.
 ٥- البقالون وباعة التمر.
 ٦- باعة الصابون.
 ٧- سوق السراجين، وهو على مقرية من سوق القصارين.
 ٨- الصيارفة، وتقع محلاتهم بالقرب من المسجد في جهة القبلة.
 ٩- الوراقون، وتقع محلاتهم في شمال المسجد.
 ١٠- أصحاب الأنماط.
 ١١- الجزارون.
 ١٢- الحناطون.
 ١٣- السواقون، وهم باعة السوق، وهو طحين الشعير.
 ١٤- باعة الأزهار كالبنفسج والرثيق الأبيض.
 ١٥- سوق الغنم ويقع إلى شرق الكناسة.
 واشتهرت مدينة الكوفة بصناعة الوشي والخز والعمائم والمناديل والسيوف والرماح والخزف والدهان، ويقول أين الفقيه: إن للكوفة مكانة في صناعة النسيج منذ تأسيسها حتى العصر العباسي^(١).
 وفي مدينة الكوفة خطتان لهما في الحياة التجارية والاقتصادية موقع مهم هما: الأري والكناسة، ويطلق لفظ ((الأري، على المساحة الكبيرة المخصصة للخيل، ويقول اليعقوبي: هو فضاء كانت فيه خيل المسلمين))^(٢).
 أما الكناسة فأنها تمتد من قصر الإمارة ومسجد الكوفة إلى دار الوليد بن عقبة من جهة، وإلى القلائين ودور ثقيف وأشجع من الجهة الأخرى.^(٣)

(١) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص ٢٥٢.

(٢) اليعقوبي: البلدان، ص ٣١٠.

(٣) اليعقوبي: البلدان، ص ٣١١.

أما الكناسة، فقد كانت لبني أسد، ترمى فيها الأنقاض، ثم أصبحت تجارة للنقليات ومناخة للإبل، ووضعاً لتحميل البضائع وتفریغها، ويقع إلى جنب الكناسة ((سوق الحدادين)) وعلى شرقها ((سوق الغنم))^(١).

وقد سكن الكناسة عدد من القبائل، لهم فيها مساجد بأسمائهم، وعلى العموم إن أسواق مدينة الكوفة تشكل عنصراً أساسياً في المساحة المركزية إلى جانب الرحبة^(٢).

الخطط الاجتماعية:

تعد الخطط القبلية في مدينة الكوفة أول مظاهر التحول الاجتماعي لهذه القبائل حيث حددت مناطق معينة لسكناتهم، وكانت خطة كندة في مقدمة الخطط القبلية، وكان أهل اليمن أثني عشر ألفاً، ونزار ثانية آلاف غير إن سكان الكوفة سرعان ما ازداد من عشرين ألفاً إلى أربعين يضاف لهم تسعة عشر ألفاً من أدرك (الولادات) وازداد عدد سكانها حسب إحصاء أجراء زياد بن أبيه بين (٤٥-٥٣هـ) فبلغ عدد المقاتلة في العطاء ستين ألفاً وعيالاتهم ثمانين ألفاً، وهذه الإحصائيات تتعلق بالجندي غير أن الإحصاء الشامل ورد عن بشر بن عبد الوهاب القرشي وحسب روايته كان في الكوفة خمسون ألف دار للعرب من ربيعة ومصر، وستة وثلاثون ألف دار لليمن وعشرون ألف دار لسائر العرب، ولاشك إن هذا الإحصاء متاخر لأن بشر بن عبد الوهاب قد توفي عام ٢٥٤هـ، غير أنه يعكس لنا النمو المستمر للمدينة وتبقي الإحصائيات لا تعكس صورة دقيقة للموقع فهي لم تذكر الموالي وغير المسلمين والذين لدينا عنهم معلومات كثيرة في القرن الأول الهجري على الأقل^(٣).

(١) ماسنيون: خطط الكوفة ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة ص ١١٢.

(٣) نزار الحديشي: (ملاحظات أولية عن مدرسة العلم في الكوفة) مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول، ٢٠٠١، ص ٣٠.

وقد خطت الكوفة وفق نظام الأسباع، وكان الغرض منه أحكام الأشراف على القبائل وتنظيم العطاء، وكانت منازل الصحابة تتركز حول المسجد، وكانت من القصب ثم بنيت من اللبن، وقد حدّدت المصادر إحدى وعشرين خطة قبلية في الكوفة وهي^(١):

- | | | |
|------------|-------------|---------------|
| ١٧ - عبس. | ٩ - كندة. | ١ - سليم. |
| ١٨ - قيس. | ١٠ - الازد. | ٢ - ثقيف. |
| ١٩ - بكر. | ١١ - مزينة. | ٣ - همدان. |
| ٢٠ - طيء. | ١٢ - تميم. | ٤ - بجيلة. |
| ٢١ - اشجع. | ١٣ - محارب. | ٥ - تيم الات. |
| | ١٤ - عامر. | ٦ - تغلب. |
| | ١٥ - جديلة. | ٧ - أسد. |
| | ١٦ - جهينة. | ٨ - النخع. |

ويقول الأستاذ ماسنيون: إن أول المساكن بنيت في الكوفة في محلة كندة وهي منازل مراد، والخرج من الأنصار الذين كانوا قد سكروا مع كندة في محلة واحدة عقب تحالفهم معها^(٢)، وكان لكل سبع من أسباع الكوفة أمير، وهو الوسيط بين السلطة والقبيلة، وقد أقر الإمام علي عليه السلام هذه الأسباع في فترة خلافته وهي^(٣):

- ١- صارت كنادة وحلفاؤها من الأحابيش وغيرهم، وجديلة هم بنو عمر بن قيس عيلان سبعاً.
- ٢- صارت قضاعة ومنهم غسان شبار، وبجيلة وخشم وكندة وحضرموت والازد سبعاً.
- ٣- صارت مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم سبعاً.

(١) اليعقوبي: البلدان ص ٣١٠ - ٣١١، الطبرى: التاريخ ٤/١٩٢.

(٢) ماسنيون: خطط الكوفة ص ٣٨ - ٤٠.

(٣) الطبرى: التاريخ ٤/١٩٤.

- ٤- صارت تميم وسائر الرباب وهوازن سبعاً.
- ٥- صارتأسد وغطfan ومحارب والنمر وضبة وتغلب سبعاً.
- ٦- صارت أياد وعك وعبد القيس وأهل هجر والحرماء سبعاً.
- ٧- صارت طيء سبعاً.

وتعد الأسباع هذه مجموعات سكنية وفق القيادات القبلية، وتفصل بين هذه الأقسام السبعة طرق رئيسية تسمى بالناهج، وكان عددها حين تنصير الكوفة خمسة عشر منهاجاً وهي التي أقطعها سعد بن أبي وقاص للقبائل المختلفة، وهذه المناهج قد اختطت من المسجد باعتباره مركزاً لها^(١)، والقيادات لهذه الأسباع هي^(٢):

- ١- قيس وعبد القيس بقيادة سعد بن مسعود الثقفي.
- ٢- تميم وضبة والرباب وقريش وكنانة وأسد بقيادة معقل بن قيس اليربوعي.
- ٣- الازد وبجالة وخشم والأنصار وخزاعة بقيادة مخنف بن سليم.
- ٤- كندة وحضرموت وقضاء ومهرة بقيادة حجر بن عدي الكندي.
- ٥- مذحج والأشعريون بقيادة زياد بن النصر.
- ٦- همدان وحمير بقيادة سعيد بن قيس بن مرة الهمданى.
- ٧- طيء بقيادة عدي بن حاتم الطائي.

ولما ولّ زياد بن أبيه ولاية الكوفة في عهد معاوية بن أبي سفيان خطط مدينة الكوفة إلى أربعاء هي^(٣):

- ١- أهل المدينة ربعاً وعليها عمرو بن حرث.
- ٢- تميم وهمدان ربعاً وعليها خالد بن عرفطة.
- ٣- ربيعة ربعاً وعليها قيس بن الوليد.
- ٤- مذحج وأسد ربعاً وعليها أبو بردة بن أبي موسى الأشعري.

(١) الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن ص ٢٢٩.

(٢) نصر بن مزاحم: واقعة صفين ص ١١٧.

(٣) الطبرى: التاريخ ٦/١٠٥.

وكان غرض زياد بن أبيه من هذا التحول الإداري في الكوفة ضم كل ربع في هذه الأرباع إلى مجموعات قبلية متباعدة، ولا ينسجم بعضها بعضاً من ناحية النسبة^(١)، أما التوزيع الجغرافي للقبائل العربية في مدينة الكوفة كان على التحول الآتي^(٢):

- ١- جهة الشمال (من الشرق إلى الغرب) وقد سكنتها قبائل سليم وثقيف وهمدان وبجبلة وتميم اللات وتغلب.
- ٢- جهة الجنوب (من الشرق إلى الغرب) وسكنها قبائل الازد وكندة والنخع وأسد.
- ٣- جهة الشرق (من الشمال إلى الجنوب) وسكنها قبائل الأنصار ومزينة وتميم ومحارب وأسد وعامر.
- ٤- جهة الغرب (من الشمال إلى الجنوب) وسكنها قبائل بجبلة وجديلة وجهينة. وكانت بين أفنية البيوت ((رحب ومفردها رحبة، وهي ظاهرة خططية تمثل في ترك فضاء ما أمام البناء العمومية، وهي توحي بالاتساع حيث تستوعب عدداً كبيراً من الناس، وقد اختطت كل قبيلة مع رئيسها جبانة))^(٣)، وقد أشارت المصادر إلى جبارات الكوفة وتحديد مواضعها وهي^(٤):
 - ١- جنابة كندة وتقع في الجنوب.
 - ٢- جبانة السبيع، وقد ورد ذكرها في شعر المتنبي.
 - ٣- جبانة بشر وتقع في الشمال وهي لقبيلة طيء.
 - ٤- جبانة خشم.
 - ٥- جبانة مراد في الجنوب وتقع في خطة مذحج.
 - ٦- جبانة عثير الاسدي وكانت لقبيلة عبس.

(١) ناجي حسن: القبائل العربية في المشرق ص ٨٥.

(٢) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٣) اليعقوبي: البلدان ص ٣١٠.

(٤) البراقى: تاريخ الكوفة، ص ١٤٣.

- ٧- جبانة مخنف بن سليم الازدي.
- ٨- جبانة الصائدين في الجنوب الشرقي.
- ٩- جبانة سليم وهي لبني سلول.
- ١٠- جبانة سالم وهي لبني عامر من قيس.
- ١١- جبانة عزم الفزارى.

وتعبر جنابات الكوفة عن الوجود القبلي، وبفضل عددها وتنوعها وظائفها وما كان لها من دور اجتماعي وعسكري وسياسي^(١)، وكانت لمدينة الكوفة جبانة كبرى تدعى ((الثوية)) وتقع في ظهر الكوفة^(٢)، وباتجاه مدينة النجف الأشرف، إذ يطلق على المنطقة الواقعة غرب خندق الكوفة بالظهر، فالجزء الأول منه، وهو الملاصق لمدينة الكوفة يسمى ((الثوية)) والجزء الآخر يسمى ((الغربي)) ويكتنوا القول إن الثوية هي امتداد طولي يبدأ من الخندق وينتهي بمدينة النجف الأشرف^(٣)، وتضم الثوية مقابر قبائل الكوفة وقد دفن فيها عدد من الصحابة والتابعين، ومن المحتمل إن الفضاء الصحراوي الواسع الواقع غرب خندق الكوفة قد امتلكته قبائل عربية معروفة في الكوفة وقد أطلق عليه لفظ ((الصحاري)) كما مبين أدناه^(٤):

- ١- صحراء شبت وهي لبني قيم.
- ٢- صحراء البردخت وهي لبني ضبة.
- ٣- صحراء بني قرار وهي لبني ضبة أيضاً.
- ٤- صحراء عبد القيس وهي لبني ربيعة.
- ٥- صحراء بني عامر وهي لعامر بن صعصعة.

(١) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٢) ابن خلkan: وفيات الأعيان، ٢/٥٦.

(٣) حسن الحكيم: (الثوية موقعها وتاريخها) مجلة كلية الفقه، العدد الثاني ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ص ١١٣ - ١٣٤.

(٤) البراقى: التاريخ الكوفة، ص ١٤٤.

٦- صحراء عثير.

٧- صحراء أم سلمة.

٨- صحراء سالم.

٩- صحراء عرزم.

١٠- صحراء أثير.

ويذهب السيد البراقى إلى إن الصحارى هذه عبارة عن قطاعات تتعلق برحاب وسطحها دور وإقطاع^(١)، وقد أخذت خطط الكوفة في التدهور والضمور من نهاية القرن الثاني للهجرة، الثامن للميلاد، وذلك لانتقال الخلافة العباسية إلى مدينة بغداد ومعها انتقل كثير من العلماء والأدباء والمفكرين إلى بغداد، وتزامن مع هذا الحدث بروز المرقد العلوى الشريف في عهد هارون الرشيد، وأخذت مدينة النجف الاشرف تبرز كحاضرة إسلامية جديدة، وقد ساعد اقترابها من الكوفة إلى هجرة الناس إليها وفي مقدمتهم العلويون الذين أشرفوا على رعاية المرقد الشريف، ولم يبق في الكوفة من خططها ما يقاوم عوادي الزمن سوى مسجدها الكبير، وقد وصف ابن جبير مدينة الكوفة عام ٥٨٠ هـ بقوله: ((هي مدينة كبيرة عتيقة البناء، قد استولى الخراب على أكثرها، فالضامر منها أكثر من العامر، ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها، فهي لا تزال تضر بها، وكفاك بتعاقب الأيام والليالي محياً ومتيناً، وبناء هذه المدينة بالأجر خاصة، ولا سور لها، والجامع العتيق آخرها مما يلي شرقى البلد، ولا عمارة تصل به من جهة الشرق))^(٢)، وأخذت هذه الحالة في التدهور وقد صورها الرحالة الأوروبيون بادق وصف، فيقول السير وليس بدرج عند زیادته للكوفة عام ١٨٩١-١٨٩٠ م: ((كانت حالة البليدة تاسعة وبيوتها متداعية، كما إن الأرض المحيطة بها لا تعود أن تكون بلقعاً خراباً))^(٣)، ووصفت غرتزود لا ثيان بيل الكوفة بقولها: ((وهي الآن قرية

(١) البراقى: التاريخ الكوفة، ص ١٤٤.

(٢) ابن جبير: الرحلة ص ١٦٧-١٦٨.

(٣) وليس بدرج: رحلات إلى العراق ٢/١٧٧.

صغريرة بائسة تتخذ شكلاً عنقودياً حول الجامع الكبير)^(١)، وذلك في العقد الأول من القرن العشرين.

(١) طارق الحمداني: (نشوء مدينة الكوفة الحديثة وتطورها) مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول ٢٠٠١م، ص ٩١.

تمصير الكوفة بين الإنسان والأرض

تأسست مدينة الكوفة عام ٦٣٨هـ/١٧م لتكون معسكراً ثابتاً للجيش العربي الإسلامي الذي تولى مهمة تحرير أرض السواد من السيطرة الفارسية، ولذا أطلق عليها لفظ ((كوفة الجند))^(١)، وقد اختير موقع الكوفة ليكون نقطة ارتكاز يستريح عندها الجند من عناء السفر وعناء القتال، ومن ثم أصبحت معسكراً ثابتاً^(٢)، وينذهب كثير من الباحثين على إن اختيار موقع الكوفة يعود إلى العامل العسكري، دون الوقوف على العوامل الأخرى، ويقول ابن قتيبة: إن المدائن لا تبني إلا على ثلاثة أشياء هي^(٣):

- ١- على الماء.
- ٢- على الكلأ.
- ٣- على المخطب.

ولم ينطلي ابن قتيبة العامل الاقتصادي لنشأة المدن، كما لم ينطلي غيره العامل العسكري، ولكن لدى التتبع في النصوص والمصادر نجد إن مدينة الكوفة قد أسست وخططت وفق عدة عوامل فيها، وتضافرت عند نشأتها وهي:

- ١- العامل العسكري.
- ٢- العامل الجغرافي.
- ٣- العامل التاريخي.
- ٤- العامل الفكري.
- ٥- العامل الاجتماعي.
- ٦- العامل الاقتصادي.

(١) ياقوت: معجم البلدان .٤٩١/٤

(٢) الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن ص ٨٣.

(٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار ٢١٣/١

وتتفاوت أهمية هذه العوامل عند تأسيس الكوفة، ويتدخل بعضها بالبعض الآخر ويتقدم العامل العسكري على بقية العوامل فقد كانت الضرورة العسكرية أن تكون الكوفة ((دار هجرة ومنزل جهاد)), وبخاصة بعد موقعة العرب الفاصلة مع الفرس في يوم القادسية عام ١٥٦هـ. فنزلها القائد العربي سعد بن أبي وقاص، وخطتها خططاً لقبائل العرب، وابتلى بها دارا^(١)، وذلك تنفيذاً لأوامر الخلافة بأن يكون للمسلمين ((دار هجرة وقيروان)), ونجد في هذين المفردتين سمات العسكرية الحالصة، فالهجرة في معناها الخروج من أرض إلى أرض، وإن كل من فارق بلده من بدوي أو حضري وسكن بلد آخر فهو مهاجر^(٢)، وقد أريد بدار الهجرة في العصر الراشدي (٤٠-١١هـ) مركز القتال، وهو المكان الذي يرابط فيه الجندي، أما ((القيروان)) فهو يعني الجماعة من الخيول، ومعظم الكتبية^(٣)، ويقول ابن منظور: إن القيروان معظم الكتبية والقاولة من الجماعة^(٤)، وقد أكد عمر بن الخطاب برسالة أرسلها إلى سعد بن أبي وقاص على الجانب العسكري بان يتخد المسلمون الكوفة دار هجرة وقيروانا^(٥)، ولذا أطلق على المرابطين على خطوط القتال لفظ ((المقاتلة)) ويلتقي العامل العسكري لتأسيس مدينة الكوفة بالعامل الجغرافي، ويلتحم معه بصورة متكاملة، فان الجندي الزاحفين من شبه الجزيرة العربية من ارض السواد قد اخترقوا جرفاً صحراء، وحطوا ركابهم في موضع يواجه الصحراء ولم تكن بيئه الكوفة بعيدة عن بيئه الجزيرة العربية أو تفصلها حواجز طبيعية أو معاير معقدة، وهذه البيئة الجديدة سوف تحفظ للجيش حيوته وقوته، تعينه على المضي في الرسالة الكبرى التي

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى .٦ / ١٢.

(٢) ابن منظور: لسان العرب مادة هجر.

(٣) الفيروزآبادي: القاموس المحيط ((مادة قرن)).

(٤) ابن منظور: لسان العرب ((مادة قرن)), ينظر الزبيدي: تاج العروس ١٣/٥٠١.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٧٤.

غادر العرب صحراءهم من أجلها، وهي الجهد في سبيل الله^(١)، وأعطي موقع الكوفة تميز عنصر القوة والمنعة، فهي تربع على كتفين: الصحراء من جانب، والمياه من جانب، وأصبح هذا الموقع نقطة جذب سكاني ساعد الكوفة إن تكون فيما بعد ذات مكانة علمية وسياسية. ولم يكن موقع الكوفة بعيداً عن مدينة الحيرة عاصمة المناذرة اللخميين تلك المدينة التي تربعت على سواحل بحر النجف، وارتبطة بريف العراق وسواهاته بروابطوثيقة وكانت مسالكها تصل إلى الجزيرة العربية والشام بسهولة ويسر، وقد أعطى البعد التاريخي لهذه المنطقة أهمية امتدت إلى الكوفة فأصبحت الوراثة التاريخي لمدينة الكوفة^(٢)، فقد كانت الحيرة والكوفة قد نشأتا في بيئه عربية خالصة بعيدة عن المؤثرات الأجنبية. فقد استوطن العرب المسلمون مدينة الكوفة عند تأسيسها، واتجه إليها سكان الحيرة بعد ذلك، فالجذر السكاني للكوفة يعود إلى قبائل عربية حجازية أو قبائل عربية حيرية، ولم يكن أهالي الحيرة بعيدين عن البداية، فهم على اتصال دائم بشبة الجزيرة العربية، ومحطة للقوافل التجارية^(٣)، وقد ساعدت هذه الخصائص التي تميزت بها مدينة الحيرة في رفد مدينة الكوفة بما تمتلك من تراث فكري وحضاري، ومن تجمع سكاني ساهم في تخطيط الكوفة وفق الأصول القبلية وما حمل هؤلاء من تراث فكري قد امتدت جذوره إلى حقبة بعيدة من الزمن. فقد كانت الحيرة قد اعتنت المسيحية بعد وثنية امتدت مدة من الزمن وأصبح للسريان والكنيسة النسطورية موقع بارز في ثقافة الحيرة، وهذا ما جعل للثقافة الإغريقية اتصالاً وثيقاً بالحريين^(٤)، وكانت الكنيسة النسطورية تستعمل اللغة السريانية، ومنها نفذوا إلى

(١) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص ٢٣.

(٢) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص ٢٣٢.

(٣) IRFAN- "AL-HIRA", E. ١٢, Leiden, ١٩٨٦. Vol. III, pp. ٤٦٣-٤٠٢.

SHAHIP. عوض عبد الكريم: إسهامات علماء الكوفة ص ١٧.

(٤) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص ٢٣٣ نقلاً عن: Arabid before:

O' Muhamad, p. ١٣٥: Leary

أخذ الكثير من الثقافة الإغريقية^(١)، ويقول الدكتور يوسف خليف: إن اللغة اليونانية كانت تدرس إلى جانب اللغة السريانية في الأديرة المسيحية^(٢)، وقد أوجدت هذه الثقافة في حياة الحريرين بعدها فكريياً كبيراً، فقد سئل الصحابي عبد الله بن عباس عليه السلام: معاشر قريش من أين أخذتم هذا الكتاب العربي قبل أن يبعث محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه، تجمعون منه ما اجمع، وتفرقون منه ما افرق مثل الألف واللام ؟ قال: أخذناه من حرب بن أمية. قال: فمن أخذها حرب؟ قال: من عبد الله بن جوعان، قال فمن أخذها ابن جوعان؟ قال: من أهل الانبار، قال: فمن أخذ أهل الانبار؟ قال: من أهل الحيرة^(٣)، وكانت مدينة الحيرة أحدى المدن الخمس التي كانت تدرس الفلسفة اليونانية إلى جانب الرها ونصيبين وحران وجند يسابور^(٤)، وقد ترعرع في أرض الحيرة الشاعر العربي، فأنشدت القصائد في بلاط المنادرة، وتغنى الشعراء في القصور والأديرة، وتباروا في المجالس الأدبية، ومن هذه الأرض كانت الجماعة العربية توالي اللغة والأدب عنایتها، وكانت تقول الشعر، وكانت تستمع إلى الشعر الذي يأتيها من الجزيرة، وكانت تنتاج أدباً، وكانت تعتز بهذا الأدب، وكانت فوق ذلك تهتم بجمع هذا الشعر وتسجله وتحفظه في قصور الأمراء^(٥)، وقد احتفظ النعمان بن المنذر بديوان من الشعر العربي، مدح فيه الشعراء ملك الحيرة وأهل بيته^(٦)، وبقي هذا الخزین من الشعر يتتردد على السنة الكوفيين بعد انهيار دولة المنادرة في الحيرة، ففي عام ٦٦هـ، كشف المختار بن أبي عبيد الثقفي عن هذا الخزین فوجد فيه كنوز العرب

(١) احمد أمين: فجر الإسلام ٢٨-٢٩.

(٢) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص ٢٣٤.

(٣) السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٢/٣٤٩.

(٤) جلال شمس الدين: التحليل اللغوي عند الكوفيين ص ٨-٧، عوض عبد الكريم: إسهامات علماء الكوفة ص ١٧.

(٥) شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص ١٠٧.

(٦) ابن قتيبة: طبقات الشعراء ص ١٠ (لدين).

الأدية^(١)، ويقول ابن جني: إن هذه الكنوز وجدت في القصر الأبيض - وهو أحد القصور الواقعة على جرف بحر النجف - وذلك في عهد النعمان بن المنذر^(٢)، ومن الثابت إن مدينة الكوفة قد خططت على مقربة من مركز فكري حيري يسمى "عاقولاً" قد اتخذه السريان معقلاً لهم، وأصبح له شأن علمي بعد تنصير الكوفة، ويقول السيد حسين البراقى النجفى: إن الكوفة من أساريرها خد العذراء ذلك النشر الذى ازدهر فيه الأدب العربى أيام الحيرة، وعلى عهد المناذرة^(٣)، وقد ذهب بعض الباحثين إلى إن الخط الكوفي تمتد جذوره إلى الخط الحيري، فقد كان السريان يكتبون بالخط "السطرنجيلي" الذى هو جزء من الخط السريانى، الذى تكتب فيه الأسفارنصرانية، ويقال إن السريان والكنيسة النسطورية كانوا على اتصال وثيق بالثقافة الاغريقية، ومن الظن إن عرب الحيرة قد عرفوا الكتابة السريانية^(٤)، وبعد أن مصرت الكوفة عام ١٧هـ أخذت اللغة العربية تكتسح لغة الكتابيين من أهل الذمة، وأخذ الدين الإسلامى ينتشر في ربوع بلاد الرافدين وارض السواد وقد أشار عمر بن الخطاب إلى ذلك بقوله: إن أهل الكوفة هم رأس أهل الإسلام أو رأس العرب، ويقول: إن الكوفة رمح الله وكنز الإيمان وجمجمة العرب يحيزنون ثغورهم ويمدون الأمصار^(٥)، ويذكر المؤرخ الطبرى حديثاً لعمر بن الخطاب عن الكوفيين فيه: ((جزى الله أهل الكوفة خيراً يكفون حوزتهم، ويمدون أهل الأمصار))^(٦)، وقد تعانق الفكر في الكوفة مع الجهاد في سبيل الله فقد هبط على أرضها سبعون بدرياً، وثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وهم صحابة رسول الله ﷺ، الأوائل، وفي مقدمتهم الصحابيان الجليلان عمارة

(١) البراقى: تاريخ الكوفة ص ١٤٩.

(٢) ابن جني: الخصائص ص ٣٨٧/١.

(٣) البراقى: تاريخ الكوفة ص ١٤٩.

(٤) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص ٢٣٣.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥/٦.

(٦) الطبرى: التاريخ ٤/٥٢.

بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وقد قال فيهما عمر بن الخطاب في رسالة بعثها لأهل الكوفة: ((همما النجاء من أهل بدر خذوا عنهم، واقتدوا بهما، وقد أثرتكم بعد الله بن مسعود على نفسي))^(١)، وفي نص آخر جاء فيه: ((أما بعد فاني بعثت إليكم عمارا أميرا وعبد الله معلما وزيرا، وهما النجاء من أصحاب رسول الله ﷺ فاسمعوا لهما، واقتدوا بهما، واني أثرتكم بعد الله على نفسي أثرة))^(٢)، وأطلق على الذين التفوا حوله لفظ ((سرج الكوفة))^(٣) وكان هؤلاء الصحابة النازلين في ارض الكوفة نواة مدرستها العلمية، والتي أخذت في الاتساع عندما اتخذها أمير البلاحة والبيان الإمام علي عليه السلام عاصمة للمسلمين (٣٦-٤٠هـ). وقد ألقى في مسجدها الكبير قسما من خطبه البلغة التي ضمها كتابه الخالد ((نهج البلاغة)) تلك الخطب التي تعد من روائع الأدب العربي، والفكر الإسلامي وقد أشار عليه السلام إلى الكوفة بقوله: ((الكوفة جمجمة الإسلام، وكنز الإيمان، وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء، وایم الله لينصرن الله بأهلها من مشارق الأرض و مغاربها كما انتصر بالحجارة)) وقد أراد عليه السلام بذلك ((حجارة السجيل)) التي حملها طير الأبابيل، وأمطر بها الأحباش عندما غزوا الكعبة، فجعلتهم كعصف ماكول، ويقول عليه السلام: ((والله إن الكوفة للهجرة بعد الهجرة، وأنها لقبة الإسلام))^(٤)، وأصبحت الكوفة مدرسة علمية تناظر شقيقتها مدرسة البصرة، وامتد شعاعها فيما بعد إلى النجف الأشرف، وبغداد، والشام، والأندلس، ومصر، وبلاد المشرق. وقد حمل لواء مدرستها الصحابة الكرام، والتابعون للأجلاء، بحيث أصبح لكل صحابي مدرسة من التابعين تأخذ عنه، وتلتئف حوله^(٥)، فأصبح لتفسير القرآن الكريم مدرسة، ولل الحديث الشريف

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٩٣/٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١١-١٤.

(٣) النووي: تهذيب الأسماء واللغات ٨٨/٦.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٦ ، الطبرى: التاريخ ٤/٥٩.

(٥) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص ١٨٧.

مدرسة وللقه الإسلامي مدرسة، وللغة العربية مدرسة، وللعلوم الأخرى مدارس، فتعقد في مسجد الكوفة المنازرات، وتعاظم المحاججات، ويلتقي الدارسون حلقات حول شيوخهم، وكان لهم دوي كدوبي النحل، ومثال ذلك ما حصل بين الكميت بن زيد، وحماد الراوية من مناظرة حول أشعار العرب وأيامها، فقال الكميت ل Hammond: أتظن إنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها؟ فقال حماد: هذا هو اليقين. فغضب الكميت، وما زال ينقاشه ويسائله حتى أفحمه^(١)، وكان إبراهيم النخعي (فقيه الكوفة) في عصره يتحدث عن المرجئة، ويحذر الناس منهم^(٢)، وأصبح للكوفيين في فن المناظرة والجدل مقام معروف، فذكر ابن الفقيه: إن الحسن بن زيد قال في مناظرة بين ابن عياش الكوفي، وأبي بكر المذلي البصري: يا أبا بكر لا تغالب أهل الكوفة ولا تفاخرهم فإنهم أكثر فقهاء وأشرافاً منكم^(٣)، وكان بين الكوفة والبصرة خصام فكري، وتبادل علمي ساعد على بلورة الفكر العربي الإسلامي فكان الكسائي والفراء والقاسم بن سلام، من أعلام الكوفة البارزين في النحو، قد ذهبوا للبصرة للمناظرة أو الاستماع لعلمائها، واستقطبت الكوفة في أثناء مكوث الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فيها، علماء الحجاز والبصرة وواسط إليها، وكان الفقيهان الكبيران، أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ)، ومالك بن انس (ت ١٧٩هـ) قد تلتمذا على الإمام الصادق عليه السلام، واليه أشار أبو حنيفة: ((ما رأيت افقه من جعفر بن محمد))^(٤)، ويقول مالك بن انس: ((جعفر بن محمد اختلفت إليه زماناً. مما كان أراه إلا على أحد ثلاثة خصال: أما مصل وأما صائم، وأما يقرأ القرآن، وما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً)) ويقول الفقيه عمرو بن المقدام: ((كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد

(١) احمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية ص ٩٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٧٣-٢٧٤.

(٣) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص ١٦١.

(٤) الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/١٥٧.

علمت انه من سلالة النبيين)^(١)، وأشار الحسن بن علي الوشاء إلى اثر الإمام الصادق عليه السلام في مدرسة الكوفة بقوله: ((أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول حدثي جعفر بن محمد))^(٢)، وقد حفظ تلاميذ الإمام الصادق الفكر العربي الإسلامي وتراثه الخالد الكبير، وأبرزهم:

- ١- أبو حنيفة، النعمان بن ثابت، إمام مدرسة الرأي في العراق.
- ٢- مالك بن انس، إمام مدرسة الحديث في الحجاز.
- ٣- أبان بن تغلب صاحب كتاب "معاني القرآن".
- ٤- المفضل بن عمر، صاحب كتاب "التوحيد".
- ٥- جابر بن حيان، صاحب كتاب "الكيمياء".
- ٦- سفيان الثوري، الفقيه الكبير.
- ٧- هشام بن الحكم، الفيلسوف الكبير.
- ٨- محمد بن إسحاق، صاحب كتاب "السيرة المغازي".
- ٩- محمد بن السائب الكلبي، صاحب الأنساب.

أما العامل الاجتماعي في نشأة الكوفة، فإنه يتزامن مع العوامل الأخرى التي ذكرناها، فالكوفة اتخذها العرب المسلمون مصرًا في الفترة بين ١٧-٣٦هـ، وعاصمة للخلافة الإسلامية بين ٣٦-٤٠هـ، وعادت مصرًا بين ٤١-١٣٢هـ، واستعادت مركزها الإداري عاصمة للعالم الإسلامي بين ١٣٢-١٣٦هـ، وبقيت تحتفظ بمركز الولاية في العصر العباسي بعد تأسيس مدينة بغداد. وقد نزلت مدينة الكوفة القبائل العربية المقاتلة، وخططت منازلها بعد تخطيط المسجد، ودار الإمارة فأسهم في أول الأمر بين نزار وأهل اليمن بسهمين، على أنه من خرج بسهمه أولًا فله الجانب الأيسر وهو خيرهما، فخرج سهم أهل اليمن، فصارت خططهم في جانب الشرقي.

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/١٠٤.

(٢) النجاشي: الرجال ص ٣١.

وصارت خطط نزار في الجانب الغربي^(١)، ثم أخطت كل قبيلة مع رئيسها خططة وهي^(٢):

- | | | |
|------------|------------|---------------|
| ١٥- جديلة. | ٨- التخع. | ١- سليم. |
| ١٦- جهينة. | ٩- كنده. | ٢- ثقيف. |
| ١٧- عبس. | ١٠- الازد. | ٣- همدان. |
| ١٨- قيس. | ١١- مزينة. | ٤- بجيلة. |
| ١٩- بكر. | ١٢- تميم. | ٥- تميم الات. |
| ٢٠- طيء. | ١٣- محارب. | ٦- تغلب. |
| ٢١- أشجع. | ١٤- عامر. | ٧-أسد. |

ويذكر الشعبي: إن عدد من سكن مدينة الكوفة عند تأسيسها عشرون ألفا، اثنا عشر ألفا من اليمن، وثمانية آلاف من نزار^(٣)، وقد خطت الكوفة وفق نظام الأسباع، وكان الغرض منه أحکام الأشراف على القبائل، وتنظيم العطاء، والأسباع على النحو الآتي^(٤):

- ١- صارت كنانة وحلفاؤها من الاحابيش وغيرهم، وجديلة. هم بنو عمر بن قيس عيلان سبعاً.
- ٢- صارت قضاعة ومنهم غسان شمام، وبجيلة وخشعم وكندة وحضرموت والازد سبعاً.
- ٣- صارت مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم سبعاً.
- ٤- صارت تميم وسائر الرباب وهوزان سبعاً.
- ٥- صارت أسد وغطفان ومحارب والنمر وضبة وتغلب سبعاً.
- ٦- صارت إياد وعك وعبد القيس وأهل هجر والحراء سبعاً.

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٨٦.

(٢) اليعقوبي: البلدان ص ٣١٠ - ص ٣١١، الطبرى: التاريخ ١٩٢/٤.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٧٦.

(٤) الطبرى: التاريخ ١٩٤/٤.

٧- صارت طيء سبعاً.

وجعل على كل سبع من هذه الأسباع أمير^(١)، وهذا يشكل الوسيط بين السلطة وهذه القبائل، وفي حقيقته الأداة التي تستطيع السلطة بواسطته أن تفرض سلطانها على تلك القبائل ولا تشترط فيه أن يكون من القبيلة نفسها^(٢)، وفي عهد الإمام علي عليه السلام (٣٦-٤٠هـ) في الكوفة كانت الأسباع على النحو الآتي^(٣):

- ١- قيس وعبد القيس ورأسهم سعد بن مسعود الثقفي.
- ٢- تميم وضبة والرباب وقريش وكناة وأسد وعليها معقل بن قيس اليربوعي.
- ٣- الازد وبجية وخشم والأنصار وخزانة وعليها مخنف بن سليم.
- ٤- كندة وحضرموت وقضاءه ومهره وعليها حجر بن عدي الكلبي.
- ٥- مذحج والأشعريين وعليها زياد بن النصر.
- ٦- همدان وحمير وعليها سعيد بن قيس بن مرة الهمданى.
- ٧- طيء وعليها عدي بن حاتم.

وحينما ولّ زياد بن أبيه ولاية الكوفة في عهد معاوية بن أبي سفيان (٤١-٤٦هـ)، حول خطط الكوفة إلى أربعاء هي^(٤):

- ١- أهل المدينة رباعاً وعليها عمرو بن حرث.
- ٢- تميم وهمدان رباعاً وعليها خالد بن عرفطة.
- ٣- ربيعة رباعاً وعليها قيس بن الوليد.

٤- مذحج وأسد رباعاً وعليها أبو بردة بن أبي موسى الأشعري.

وكان غرض زياد بن أبيه من هذا التحول الإداري في الكوفة ضم كل ربع في هذه الأرباع إلى مجموعات قبلية متباعدة ولا ينسجم بعضها بعضاً من ناحية النسبة^(١).

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/١٩٢.

(٢) ناجي حسن: القبائل العربية في المشرق ص ٧٨.

(٣) نصر بن مزاحم: واقعة صفين ص ١١٧.

(٤) الطبرى: التاريخ ٦/١٥٠.

أما العامل الاقتصادي الذي تمتت به مدينة الكوفة عند تأسيسها فإنه يرتبط بعض العوامل التي ذكرناها وفي مقدمتها العامل العسكري والعامل الجغرافي. وقد أشار ابن قتيبة إلى أهمية العامل الاقتصادي في نشأة المدن بقوله: المدائن لا تبني إلا على ثلاثة أشياء: على الماء، وعلى الكلأ، وعلى المحتطب^(٢)، وقد أعطى موقع الكوفة القريب من نهر الفرات مورداً زراعياً، إذ أنه يروي سواد الكوفة الذي يحيط بها من الشرق والجنوب لاسيما إن ماء هذه المنطقة قد امتاز بالعذوبة والنقاوة والبرودة^(٣)، وقد شجعت هذه الطبيعة على السكن في أرض الكوفة. وهكذا التقى التاريخ بالجغرافية في تأسيس الكوفة وتمصيرها والتقوى الإنسان بالأرض عندما أصبحت الكوفة أحد العراقين في سواد العراق.

(١) ناجي حسن: القبائل العربية في المشرق ص ٨٥.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار ٣١٣/١.

(٣) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص ١٥٥، الاصطخري: المسالك والممالك ص ٥٨، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٥.

خطط الكوفة في فكر الإمام الصادق عليه السلام

اتفقت المصادر على إن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أستاذ الفقهاء والمجتهدين، ورائد الحكم والفلسفة، وقد نقل الناس عنه ما سارت به الركبان حتى انتشر ذكره في البلدان^(١). وأشار الشهرياني إلى علمه عليه السلام بقوله: ((كان ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشبهات))^(٢). وقد تلمنذ عليه أعلام المسلمين وروى عنه فقهاء الأمة، وأئمة الفقه وهم: أبو حنيفة النعمان بن ثابت ومالك بن انس وشعبة بن الحجاج وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وجابر بن حيان والمفضل بن عمر، وروى عنه بالواسطة الإمام الشافعي والحسن بن صالح وابن أيوب السجستاني واحمد بن حنبل وغيرهم من فقهاء المسلمين. ويقول الأستاذ احمد أمين: إن الإمام الصادق أوسع الناس علمًا واطلاعًا، وأقواله تدل على حكمته، وبعد نظره، وسعة علمه^(٣). وكان عليه السلام قد قصد مدینتي الحيرة والكوفة في عهدي أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور، وزار مرقدي الإمامين علي والحسين عليهما السلام، واستدعاه المنصور إلى مدينة بغداد، وكان في تجوله في المدن والأماكن يصف الخطط والواقع ويحدد المعالم التاريخية والدينية بدقة، وهذا ما ذكرناه في كتابنا ((الخطط والبلدان في فكر الإمام جعفر بن محمد الصادق)) وكانت مدينة الكوفة، أحدى المدن التي مكث فيها الإمام الصادق عليه السلام مدة من الزمن، وأسس فيها مدرسته العلمية، يقول الحسن بن علي بن زياد الوشاء: ((أدركت في هذا المسجد - ويقصد مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد))^(٤). وان وأشارت

(١) المفید: الإرشاد ص ٢٧٠، الاربلي: كشف الغمة ٢/٣٧٩.

(٢) الشهرياني: الملل والنحل ١/٢٢٤.

(٣) احمد أمين: ظهر الإسلام ٤/١١٤ - ١١٥.

(٤) النجاشي: الرجال ص ٢٣١.

الإمام الصادق عليه السلام لخطط النجف الأشرف وكرباء ومكة المكرمة والمدينة المنورة لها أهمية تاريخية كبيرة، لأنه وقف عليها بنفسه، وحدد معالمها، وقد أزال النقاب عن بعض المعالم المجهولة، وزار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، مرات عديدة، وقد شخص معالم القبر الشريف بدقة وفق المؤثر عن آبائه عليهم السلام^(١). وحدد الشواخص الطبيعية من منطقة (الغري) وفي الطريق الذي سلكه إلى أرض النجف الأشرف. وشخص عليه السلام معالم قبرى الحسين والعباس عليهما السلام، وأطلق لفظ (صاحب كربلاء) على الإمام الحسين عليه السلام^(٢). أما مدينة الكوفة فانه قصدها في بداية سقوط الدولة الأموية، وتأسيس الدولة العباسية عام ١٣٢هـ، وأطلق عليها لفظ (حرم علي)^(٣).

وقد حدد خططها وهي:

- ١- مسجد الكوفة.
- ٢- مسجد السهلة.
- ٣- المساجد التي نهي عن الصلاة فيها.
- ٤- الكناسة.
- ٥- طاق الزياتين.
- ٦- منطقة السراجين.
- ٧- الجودي.

وأعطى الإمام الصادق عليه السلام لمسجد الكوفة أهمية تاريخية ودينية، بحيث انه من دخل مدينة الكوفة ((لابد أن يصلى في مسجدها))^(٤). وقال: في الكوفة موضع التتور وهو يقع في بيت عجوز مؤمنة في دير ميمنة الكوفة^(٥). وهذا

(١) حسن الحكيم: الخبط والبلدان في فكر الإمام الصادق ص ٩٢.

(٢) ابن قولويه: كامل الزيارات ص ١٣٧، ١٤١، ص ١٤١.

(٣) الفتال: روضة الراعظين ٤٠/٢.

(٤) الطوسي: الامالي ٤٢/٢.

(٥) الطبرسي: مجمع البيان: ١٦٣/٥.

التحديد يبعدنا عن كون التنور في باحة مسجد الكوفة، ولعل الإمام عليه السلام أراد بذلك ارض النجف التي ضمت اديرة الحيرة، وهي في الوقت نفسه تقع في ميمنة الكوفة، وهي ((الجوادي)) الذي استوت واستقرت عليه سفينة نوح عليه السلام، وقال: أن السفينة استوت على الجوادي هو فرات الكوفة^(١). وكان الإمام الصادق ومعه صفوان الجمال قد اشرفوا على النجف من جهة القادسية فقال عليه السلام فلما اقتربا من النجف قال عليه السلام ((هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدي نوح عليه السلام)) فقال: ساوي إلى جبل يعصمني من الماء)، وقال لصفوان: اعدل بنا، قال فعدلت به فلم ينزل سائراً حتى أتى الغري، فوقف على القبر وساق السلام من آدم على نبي بعد نبي عليه السلام، ثم خر على القبر فسلم عليه وعلا نحييه ثم قال: فصلى أربع ركعات^(٢). وأشار الإمام إلى بعض المواضع القرية من مسجد الكوفة، كما أشار إلى ((طاق الزياتين)) وهو آخر ((السراجين)) فقال له: ((انزل فان هذا الموضع كان مسجد الكوفة الأول الذي خطه آدم))^(٣). أما مسجد السهلة فقد أعطى له الإمام الصادق عليه السلام عدة مسميات هي: السهلة، الشرى، الروحاء، سهيل، فيقول ((المسجد الذي عندكم وتسمونه السهلة ونحن نسميه الشرى))^(٤). وقد أطلق عليه لفظ ((السهلة الروحاء)) و((مسجد سهيل))^(٥). ونقل ياقوت الحموي عن أبي حمزة الثمالي قوله: قال لي أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يا أبي حمزة هل تعرف مسجد سهيل ! قلت: عندنا مسجد يسمى السهلة، وقال: أما إنني لم أرد سواه لو إن زيداً أتاه فصلى فيه واستجار ربه من القتل لأجاره، إن فيه موضع البيت الذي كان يخبط فيه إدريس عليه السلام، ومنه رفع إلى السماء، ومنه كان إبراهيم

(١) الطبرسي: مجمع البيان ١٠٨/٧، العياشي: التفسير ١٤٩/٢ - ١٥٠.

(٢) الصدوق: من لا يحضره الفقيه ٣٥١/٢.

(٣) العياشي / التفسير ١٤٤/٢.

(٤) الحميري: قرب الإسناد ص ٩٢.

(٥) ابن قولويه: كامل الزيارات ص ٢٩ - ٣٠.

يخرج إلى العمالقة وفيه موضع الصخرة التي صورة الأنبياء فيها، ومنه الطينة التي خلق الله الأنبياء منها، وهو موضع مناخ الخضر وما أتاه مغموم إلا فرج الله عنه^(١). وإذا كان في الكوفة مسجدها الكبير، ومسجد السهلة العظيم، كان فيها أيضاً ((مساجد ملعونة)) نهى أمير المؤمنين عليه السلام عن الصلاة فيها، لأنها اتخذت للتأمر على الإسلام، وقد أشار إليها الإمام الصادق عليه السلام بقوله: ((إن أمير المؤمنين عليه السلام نهى عن الصلاة في خمسة مساجد بالكوفة: مسجد الأشعث بن قيس الكندي، ومسجد جرير بن عبد الله البجلي، ومسجد سماك بن مخرمة، ومسجد شبيث بن ربيع، ومسجد تيم، وقال: كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا نظر إلى مساجدهم قال: هذه بقعة تيم ومعناه إنهم قدعوا عنه لا يصلون معه عداوة وبغضنا بغضهم الله))^(٢).

وحدد الإمام الصادق عليه السلام موضع ((الكناسة)) وهي المكان الذي قاتل يوسف بن عمر الثقفي زيد بن علي بن الحسين^(٣). وقال تلميذه المفضل بن عمر ((كنت مع أبي عبد الله عليه السلام بالكوفة أيام قدومه على أبي العباس فلما انتهينا إلى الكناسة فنظر عن يساره ثم قال: يا مفضل هاهنا صلب عمي زيد رحمه الله))^(٤). وذكر الإمام الصادق عليه السلام بعض المواقع القرية من الكوفة ومنها ((قبور آل الحسن)) فيقول: ((إن قبر عبد الله بن الحسن بن الحسن وأهل بيته على شاطئ الفرات)) ويقول ((فحملهم أبو الدوانيق فقبروا على شاطئ الفرات))^(٥). وقد أطلق على جغرافية الكوفة الواسعة لفظ ((حيرة الكوفة وسواتها))^(٦).

(١) ياقوت: معجم البلدان ٢٩١/٣.

(٢) الصدق: الخصال ١/٢٧٤، الفتال: روضة الوعاظين ٢/٣٣٦، الكاظمي: الرجال ١/٤٩٣.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ٤/٤٨١.

(٤) العياشي: التفسير ٢/١٤٤.

(٥) الطوسي: اختيار معرفة الرجال ص ٢١٢.

(٦) الطبرسي: مجمع البيان ٧/١٠٨.

خندق الكوفة في التاريخ

يُرد لفظ (الخندق) في مصادر اللغة باسم (الخفي) الذي يحيط بسور المدينة^(١)، ويتحدد عرضه بين مترين إلى ستة أمتار، وعمقه بين ٢٤ متراً إلى ٣٦ متراً^(٢)، وتمتد عليه جسور أو قناطر، وقد تكون في بعض الأحيان غير ثابتة، ويذهب بعض الباحثين إلى أن لفظ الخندق فارسي الأصل، وتعرييه (كندة)^(٣)، ولكن الخندق ورد في الشعر العربي، فيقول الشاعر^(٤):

مائدة تمسن سيفها بين المزاد وبين جزع الخندق

ويأتي خندق الكوفة في المصادر والمارجع بالألفاظ ثلاثة هي: خندق الكوفة، وخندق سابور، كري سعد (سعدة)، ويأتي في بعض النصوص مجرداً عن الإضافة وتشكل إطلاه في الوقت الحاضر الحدود البلدية بين النجف والكوفة، فإن المنطقة الواقعة خلف الخندق باتجاه مدينة النجف تدعى بظهر الكوفة، أو طرف البر وطفة، وتتصل هذه الباذية بطريق الحج البري الذي كانت القوافل تسلكه منذ العصور الإسلامية حتى التاريخ المعاصر، وتدعى المنطقة التي تجاور الخندق باسم ((الثوية))^(٥)، وهي تمتد امتداداً طولياً ابتداءً من شرق النجف وانتهاءً بالكوفة والحيرة، فالموضع القريب لكل من الكوفة والحيرة عرف باسمها، ولذا قيل: الثوية بالحيرة أو الكوفة ويأخذ الخندق باحتضان هذه المنطقة الواسعة، والتي أطلق عليها في عصر ما قبل الإسلام باسم ((ظهر الحيرة)) وفي العصور الإسلامية ((ظهر الكوفة)) وقد أخذ خندق الكوفة بعدين أساسيين هما:

(١) ادي شير: الألفاظ الفارسية المعربة ص ٥٧.

(٢) البستاني: دائرة المعارف ٤٧٩/٧.

(٣) الجواليلي: المعرب ص ١٧٩ - ص ١٨٠، المنذري: التكميلة ٣٥٥/٥، فنسنک: دائرة المعارف الإسلامية (مادة خندق) ٤٦٣/٨.

(٤) الجواليلي: المعرب ص ١٧٩ - ص ١٨٠.

(٥) الحكيم: (الثوية موقعها وتاريخها) بحث في مجلة كلية الفقه، العدد الثاني لسنة ١٩٨٣ م.

البعد الجغرافي:

اختلف الباحثون والبلدانيون في تحديد طول الخندق وامتداده الجغرافي فقيل: انه يبدأ من مدينة هيـت في أعلى نهر الفرات، ويختـرق الـبـادـيـة عـلـى الحـدـود العـرـاقـيـة، ويـنـتـهـي بـالـخـلـيجـالـعـرـبـيـ قـرـبـ مـصـبـ بـوـيـانـ عـلـى بـعـدـ عـشـرـينـ مـيـلـاـ من شـطـ العـرـبـ غـربـاـ، ويـعـرـجـ هـذـاـ خـنـدـقـ بـعـدـ أـنـ يـمـرـ مـنـ غـربـ الـحـبـانـيـةـ مـارـاـ بـجـلـ سـعـدـةـ ثـمـ وـادـيـ أـبـوـ فـروـجـ إـلـىـ الـجـنـوبـ الشـرـقـيـ بـاتـجـاهـ غـدـيرـ المـالـحـ، ويـسـلـكـ وـادـيـ الغـضـاوـيـ ثـمـ هـورـ أـبـيـ دـبـسـ إـلـىـ بـحـرـ النـجـفـ مـلـازـمـاـ لـلـضـفـةـ الـغـرـيـةـ قـرـبـ الـكـوـفـةـ، ثـمـ يـقـطـعـ مـسـافـةـ إـلـىـ هـورـ الـحـمـارـ حـيـثـ يـتـهـيـ بالـقـرـبـ مـنـ جـبـلـ سنـامـ^(١)، ويـقـولـ يـاقـوتـ الـحـمـويـ (تـ ٦٢٦ـهـ) إـنـ يـبـدـأـ مـنـ هيـتـ، ويـشـقـ طـفـ الـبـادـيـةـ إـلـىـ كـاظـمةـ ما يـلـيـ الـبـصـرـةـ، ويـنـفـذـ إـلـىـ الـبـحـرـ^(٢)، وـهـذـاـ التـحـدـيدـ يـجـعـلـ طـوـلـ خـنـدـقـ ما يـقـرـبـ مـنـ تـسـعـمـائـةـ كـيـلـوـمـترـ^(٣)، أـمـاـ أـبـعادـهـ فـيـ الـوقـتـ الـحـاضـرـ فـقـدـ أـخـذـتـ بـالـاخـفـاءـ بـعـدـ اـنـدـرـاسـ مـعـالـهـ، حـيـثـ حـدـدـ مـنـ أـطـرـافـ مـدـيـنـةـ كـرـبـلـاءـ، وـمـرـرـوـاـ بـالـكـوـفـةـ. وـمـنـهـاـ إـلـىـ الـحـمـيرـةـ^(٤)، وـيـذـهـبـ الـعـمـيدـ طـهـ الـهـاشـمـيـ إـلـىـ القـوـلـ: إـنـ خـنـدـقـ فـيـ الـوقـتـ الـحـاضـرـ يـبـدـأـ مـنـ جـنـوـبـيـ النـخـيلـةـ إـلـىـ غـربـيـ الـكـوـفـةـ فـيـ مـواـزـةـ نـهـرـ الـفـرـاتـ، وـيـتـدـ شـرـقاـ إـلـىـ قـصـرـ الـخـورـنـقـ وـيـنـعـطـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـىـ الـغـرـبـ فـيـتـصـلـ بـالـأـرـاضـيـ الـمـخـضـةـ بـيـنـ مـدـيـنـةـ أـبـيـ صـحـيرـ وـبـحـرـ النـجـفـ^(٥)، وـيـقـولـ الـعـمـيدـ صـالـحـ مـهـدـيـ عـمـاـشـ: إـنـ يـبـدـأـ عـلـىـ مـسـافـةـ كـيـلـوـمـترـيـنـ جـنـوبـ خـانـ الـحـمـادـ (نـاحـيـةـ الـحـيـدرـيـةـ)^(٦)، وـهـذـاـ التـحـدـيدـ الـأـخـيرـ

(١) البراقـيـ: تـارـيـخـ الـكـوـفـةـ صـ ١٤٧ـ، الـجـنـابـيـ: تـخـطـيـطـ الـكـوـفـةـ صـ ٤١ـ.

(٢) يـاقـوتـ: معـجمـ الـبـلـدـانـ ٣٩٢ـ/٢ـ.

(٣) اـحمدـ عـادـلـ كـمالـ: فـتوـحـ الـشـرـقـ بـعـدـ الـقـادـسـيـةـ صـ ٢١٩ـ.

(٤) جـامـعـةـ الدـوـلـ الـعـرـبـيـةـ: الـمـعـالـمـ الـأـثـرـيـةـ فـيـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ ١٧٨ـ/١ـ.

(٥) الـهـاشـمـيـ: (خـالـدـ بـنـ الـوـلـيـدـ فـيـ الـعـرـاقـ) بـحـثـ فـيـ مـجـلـةـ الـمـعـجمـ الـعـلـمـيـ الـعـرـاقـيـ، الـجـزـءـ الـأـوـلـ، الـمـجـلـدـ الـثـالـثـ صـ ٨٢ـ.

(٦) صـالـحـ مـهـدـيـ عـمـاـشـ: مـنـ ذـيـ قـارـ إـلـىـ الـقـادـسـيـةـ صـ ١٦٨ـ.

صحيح فيما لو تبعنا آثار الخندق في الوقت الحاضر، إذ لم يبق من معالمه إلا المنطقة المخصوصة بين ناحية الحيدرية إلى الكوفة، ومن ثم إلى الحيرة، وقد زحفت الأكتاف الرملية المحيطة به نتيجة العواصف الترابية القادمة من البادية وبخاصة المناطق المواجهة للصحراء بصورة مباشرة، ولعل الجغرافيين العرب كانوا قد حددوه بتعبير دقيق بالقول: انه في برية الكوفة^(١)، فقد ضيق الرمال الزاحفة إليه من هذه البرية الشاسعة إلى تحديد عمقه في بعض المناطق في الوقت الحاضر إلى خمسة أمتار، وبعضاها أقل من ذلك إلى أن يصل في بعض المناطق إلى مستوى الأرض المجاورة^(٢)، ويكون الخندق أكثر وضوحاً في المنطقة الواقعة بين النجف والكوفة، يطلق عليه الناس لفظ ((كري سعدة)) ولعل هذا اللفظ نسبة إلى ((جبل سعدة)) الذي كان يمر به خندق الكوفة، أو انه تصحيف من اسم سعد، ويروي الأستاذ الأمريكي جون بيترز حكاية عن أصل هذه التسمية وهي أن تاجراً غنياً من تجار مدينة البصرة قد أحب امرأة جميلة اسمها ((سعدة)) من أهالي المنطقة الواقعة بين هيت وعابة، وكانت هذه المرأة تهوي ضفاف الأنهار، فاشترطت عليه حينما خطبها من أهلها أن تنقل إلى البصرة في طريق النهر الذي يمر بالأماكن التي يجدها الظل، فما كان إلا أن يحفر لها هذا النهر ويندرس الأشجار على ضفافه^(٣)، وما يضعف من صحة هذه الحكاية، إن خندق الكوفة لم يستخدم لإرساء في تاريخه إلا لتصريف مياه نهر الفرات إليه في أثناء الفيضان في بعض الأحيان، ولم نجد آثار الأشجار على جانبيه، وربما أن حكاية ((سعدة)) هذه قد انتشرت بين الناس فأطلقوا على الخندق لفظ ((كري سعدة)) ويبدو إن الأستاذ جون بيترز كان معتقداً إن الخندق هذا كان نهراً يعود إلى أزمنة قديمة فيقول: انه الجدول الكبير الذي حفره نبوخذنصر، فحده من موقع يقرب من هيت إلى الخليج

(١) ياقوت: معجم البلدان ٣٩٢/٢، البغدادي: مراصد الاطلائع ٤٨٤/١، المنذري: التكميلة . ٣٥٥/٥

(٢) الجبوري: تاريخ الكوفة الحديث ١١٨/١

(٣) الخياط: (النجف في المراجع) بحث في موسوعة العتبات المقدسة/قسم النجف ٢٤٤/١

العربي ليحيى به مساحات شاسعة من الأرضي الموات^(١)، ولكن النصوص التاريخية لا تؤكد هذا الرأي، كما سوف نوضحه في البعد التاريخي.

البعد التاريخي:

أطلقت المصادر التاريخية على خندق الكوفة لفظ ((خندق سابور)) نسبة إلى الملك الساساني سابور ذي الأكتاف (٣٧٩ - ٣٠٩ هـ) الذي أمر بحفره، ويعود إلى سبب سياسي ليكون حاجزاً بينه وبين العرب في الجزيرة، ولذا يقول ياقوت الحموي: إنما حفره خوفاً من شر العرب^(٢)، على حد تعبير ياقوت، لأنَّه كان يعتقد أنَّ العرب سوف يقتربون عليه ملكه، لذا صب غضبه عليهم، وقتل كثيراً منهم، ونزع أكتاف رؤسائهم، وقد لقب بذي الأكتاف، ونفي جماعة منهم إلى منطقة ((بقة والعقير)) وبنى مدينة ((هفة)) واسكنها قبيلة أيداد^(٣)، ويقول قدامة بن جعفر: إن سابوراً حفر الخندق بين العرب والفرس، وقطع الأرضي من غير أن يلزم خراجاً لها^(٤) وما يؤيد حذر الفرس من العرب، هو إنَّ كسرى لما بلغه ظهور الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام في الجزيرة العربية، وتلقى الناس رسالته الإسلامية بالقبول، وضع على الخندق المراصد والصومع المعززة بالحرس^(٥)، كما بنيت على الخندق المناظر والجواSQ والمصالح^(٦)، وما يؤيد إن الخندق هذا قد حفر لأغراض سياسية وعسكرية هو إنَّ الملك الفارسي أنوشروان (٥٨٩ - ٥٣١ م) لما تولى زمام الحكم أمر بتجديـد سور مدينة ((النسـر)) التي بناها سابور ذو الأكتاف. وجعلها مسلحة تحفظ ما يقرب من الـبـادـيـة^(٧).

(١) ن. م.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٣٩٢/٢.

(٣) الطبرى: التاريخ ٦٠/٢.

(٤) قدامة بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة ص ٣٦٩.

(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٣٠٦/١ - ٣٠٧.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٩٦، البغدادي: مراصد الاطلague ٤٨٤/١.

(٧) سعاد ماهر: مشهد الإمام علي في النجف ص ٩٠.

وقد لعب الجانب العسكري لخندق الكوفة دوراً في عمليات الفتوح العربية الإسلامية للعراق في المدة الواقعة بين ١٥-١٢هـ، ففي موقعة القادسية صف القائد سعد بن أبي وقاص المسلمين على حائط القدس، وكان الخندق من ورائهم. ووقف المسلمون والفرس بين الخندق والعتيق^(١)، وورد ذكر الخندق في رسالة بعثها سعد إلى عمر بن الخطاب جاء فيها: ((إن القادسية بين الخندق والعتيق، وإن ما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين، فأما أحدهما فعلى الظهر، وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى الخضوض يطلع بن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة، وما عن يمين القادسية إلى الوجلة فيض من فيوض مياهم))^(٢)، ويوضح هذا النص المساحة التي وقعت فيها موقعة القادسية. فقد ورد فيه اسم ((الخندق)) و((الخورنق)) و((الظهر)) و((البحر)) والمقصود بالبحر هنا ((بحر النجف)) وتشير بعض النصوص انه دفن في الخندق ستة آلاف بعد موقعة القادسية^(٣)، وهذا له دلالة على أن الخندق كان حفيراً لا ماء فيه، وقد قام سعد بن أبي وقاص بكريه بعد تخطيط مدينة الكوفة عام ١٧هـ، وذلك للحفاظ على أنها، وحمايتها من الأعداء، ويكون الخندق كالسور المحيط بها من جهة الbadia، يقول أبو عبيدة: لما كانت فتنة ابن الأشعث حفر عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة الخندق، فقال له حميد الارقط^(٤):

يَا أَعْوَرَ الْعَيْنِ فَدِيتُ الْعُورَا
لَا تَحْسِبَنَّ الْخَنْدَقَ الْمَفَرِّغَ وَرَا
يَرْدَ عَنْكَ الْقَدْرَ الْمَقْدُورَا

(١) ابن خلدون: التاريخ .٩٦/٢

(٢) الطبرى: التاريخ .٤٩٢/٣

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ .٤٨٢/٢

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن .٣٠٦-٣٠٧/١

وفي عهد الخليفة العباسى الثانى أبي جعفر المنصور جدد حفر الخندق عام ١٤٥هـ، وقيل: عام ١٥٥هـ^(١)، ويقول البلاذري (ت ٢٧٩هـ): إن المنصور أخذ أهل الكوفة بحفر الخندق، وألزم كل فرد للنفقة عليه أربعين درهماً، وذلك عقوبة لهم نتيجة ميلهم للطالبيين وارجافهم بالسلطة العباسية^(٢)، ويشير الطبرى (ت ٣١٠هـ): انه في عام ١٥٥هـ حفر الخندق والي الكوفة عمرو بن زهير الضبى، لما عزم المنصور على بناء سور الكوفة، فأمر بقسمة خمسة دراهم على جميع الناس، وذلك لضبط أعدادهم، ولما نجح في مهمته، أمر بجبايتهم أربعين درهماً، فأخذ المبالغ هذه وأنفقها في بناء السور، وقد قال أحدهم^(٣):

يَا قَوْمِي مَا رأيْنَا فِي أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ
قَسْمَ الْخَمْسَةِ فِينَا وَجَانَّا الْأَرْبَعِينَ

ويقول المحدث يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ): إن عبيد الله بن زياد بن لقيط، كان من ثقاة الناس، وعريف قومه، قد صير إليه حفر الخندق بالковفة^(٤)، ويشكك الدكتور كاظم الجنابي في أن خندق الكوفة قد حفر في عهد سابور ذي الأكتاف أو قبله، وإنما الذي حفره هو أبو جعفر المنصور، فان التنقيبات قد كشفت عن منخفض يمتد بموازاة كري سعدة، ويقترب من أبنية الكوفة الحديثة^(٥)، ولكن الذي نذهب إليه إن أبو جعفر المنصور قد قام بإجراءات جديدة في الخندق، فأعاد حفره أو كريه، ومن ثم أجرى الماء فيه. وقد ذهب العميد طه الهاشمى إلى أن جدولًا

(١) الطبرى: التاريخ ٤٧/٨، الأزدي: تاريخ الموصل ص ٢٢٣. ابن الجوزى: المتنظم ٨/ورقة ٨٢، ابن كثير: البداية والنهاية ٩/١١٣، الاربلي: خلاصة الذهب المسبوك ص ٨٨.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٨٧.

(٣) الطبرى: التاريخ ٤٦/٨-٤٧، الأزدي: تاريخ الموصل ص ٢٢٣.

(٤) يحيى بن معين: التاريخ ٢/٢٨١.

(٥) الجنابي: تخطيط الكوفة ص ١٧٠.

من الفرات قد شق إلى الحيرة عبر الخندق^(١)، ويقول الحاج عبد المحسن شلاش: أن المنطقة الواقعة في القسم الغربي من الحيرة وبحيرة النجف كانت تستقي من كري سعد الذي يتصل بنهر العلقمي القديم الذي يقوم مقامه جدول الحسينية في كربلاء وجدول بني حسن^(٢)، ولم يحدد الباحثون تاريخ استخدام خندق الكوفة أو كري سعدة للإرواء. سوى أنه استخدم في بعض العصور التالية للعصر العباسي كمحاولة لإيصال الماء إلى مدينة النجف الأشرف، ففي العصر المغولي حاول الصاحب علاء الدين جويني إيصال الماء للنجف عن طريق الخندق^(٣)، وحاول أمين الدولة إيصال الماء إلى النجف من منطقة ((أبو فشيبة)) إلى الخندق، وأقام من الأجر قنطرة عليه.^(٤)، وما زالت هذه القنطرة قائمة حتى الوقت الحاضر. وفي عام ١١٣٢هـ/١٧١٩م حاول الشاه عباس الصفوي حفر جدول في خندق الكوفة، وقد جدد هذا المشروع الملك فيصل الأول بعد اعتلاءه عرش العراق عام ١٩٢١م. في محاولة لإيصال الماء إلى مدينة النجف عن طريق الخندق، وقد رصدت المبالغ لهذا المشروع، ولكنه لم ينفذ على الرغم من أهميته الاقتصادية الكبيرة^(٥)، وهذه المحاولات تؤكد على عدم جريان الماء في خندق الكوفة بصورة دائمة، إذ يغلب على الظن أنه استخدم لدرء أخطار الفيضان، وتحفيض المياه في نهر الفرات حماية للمدن الواقعة عليه من الغرق^(٦).

(١) الهاشمي: (خالد بن الوليد في العراق) بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الأول، المجلد الثالث ص ٧٩.

(٢) عبد المحسن شلاش: (فيصل والعتبات المقدسة) بحث في المجلة الاعتدال، العدد التاسع، السنة الأولى ص ٤٦٨.

(٣) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٢٠١/١٩٧.

(٤) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١٩٧/١.

(٥) عبد المحسن شلاش: (فيصل والعتبات المقدسة) بحث مجلة الاعتدال، ص ٤٦٨.

(٦) الجنابي: تحطيط الكوفة ص ٤١.

ويستفاد من الأحداث التاريخية التي أشارت إلى خندق الكوفة إلى وجود موقع مجاورة له سواء في المنطقة المعروفة باسم ((الظهر)) أو المنطقة الواقعة في الكوفة، ففي عام ٣١٥هـ كان القرامطة بقيادة أبي طاهر الهجري قد نزلوا أرض النجف، واعدوا العدة للهجوم على الكوفة، ولما علم يوسف بن أبي الساج بخبرهم تقدم لقتالهم. وقد نزل في دير هند الواقع بحضره خندق الكوفة^(١)، ويحدد المؤرخون والبلدانيون موقع دير هند بأنه يقارب خطبةبني عبد الله بن درام بالكوفة مما يلي الخندق.^(٢) ويبدو إن المقصود بدير هند هو ((دير هند الصغرى)) وهو نسبة لهند بنت النعمان بن المنذر التي بنته بعد أن ترهبت، وسكتته دهراً طويلاً ثم عميت^(٣)، وعند الفتح العربي الإسلامي للعراق دخل خالد بن الوليد دير هند والتقي بصاحبته وقد عرض عليها الزواج بعد إسلامها فرفضت^(٤)، ويقول قدامة بن جعفر: انه في عام ١٤هـ، اجتمع المسلمين بدير هند، وقد بعث الفرس إليهم مهران بن مهر بنداد الهمданى في اثنى عشر ألفاً^(٥)، وفي أحداث عام ١٧هـ، يقول أبو محمد موسى بن إسحاق بن طلحة: كنت اجلس في المسجد الأعظم قبل أن يبنيه زياد، وليس له محببات ولا مواخير فأرى منه دير هند وباب الجسر^(٦)، فان المسافة بين مسجد الكوفة والخندق ليست بعيدة، فلا بد أن يكون للدير سور وبناء مرتفع يرى من مسافة، وكان المختار بن أبي عبيد الثقي قد نزل هذا الدير عام ٦٦هـ، وخرج أبو عثمان النهدي وهو ينادي: يا لثارات الحسين،

(١) ابن الجوزي: المنتظم .٢٠٨/٦

(٢) الشابستي: الديارات ص ٢٤٤، ياقوت: معجم البلدان ٥٤٢/٢. البغدادي: مراصد الاطلاق ٥٧٩/٢، العمري: مسالك الأ بصار ٢٤٤/١.

(٣) الشابستي: الديارات ص ٢٤٤، البغدادي: خزانة الأدب ١٨٢/٢

(٤) ياقوت: معجم البلدان ٢/٥٤١-٥٤٢، البكري: معجم ما استعجم ٦٠٤/٢

(٥) قدامة بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة ص ٣٥٨.

(٦) الطبرى: التاريخ ٤/٤٧.

ألا إنَّ أميرَ آلِ محمد خرج، فنزل دير هند، وبعثني إِلَيْكُمْ داعِيَاً فاخرجوا يرحمكم الله^(١).

وقد عسکر المختار في ظهر دير هند مما يلي بستان زائد في السبحة^(٢)، وفي أحداث عام ١٠٥هـ دخل الشعبي على الحجاج بن يوسف الثقفي وقال: كنا مع المغيرة بن شعبة في ظهر الكوفة، فقيل له: هذا دير هند، فقال: لو دخلناه، فدخلنا فإذا هند وأختها جالستان وعليهما ثياب صوف سود^(٣)، وقد استخدم الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي هذا الدير عام ١٢٧هـ مقرأً لأنصاره، ومنه تقدم نحو الكوفة^(٤)، وبقي دير هند الصغرى يتبع الأحداث التاريخية طيلة العصرین الأموي والعباسي، أما في العصر المغولي فيذكر السيد ابن طاووس (ت ٦٩٣هـ) في أحداث القرن السابع الهجري: إن إيلغازي أمير الخلة أرسل سرية لمطاردة العرب. وقد وصلت هذه السرية إلى خندق الكوفة^(٥)، وبعد هذا التاريخ يختفي ذكر الخندق بعد أن أخذت الكوفة تفقد أهميتها الإدارية والسياسية، وتأخذ مدينة النجف بالبروز على الصعيدين الاجتماعي والديني.

(١) ابن الجوزي: المنتظم ٦ / ورقة ٢٣ ب.

(٢) الطبری: التاریخ ٢٣ / ٦، ابن الأئمہ: الكامل ٤ / ٢١٩.

(٣) الیافعی: مرآة الجنان ١ / ٢١٨.

(٤) الطبری: التاریخ ٧ / ٣٢٠ - ابن الأئمہ: الكامل ٥ / ٣٢٥.

(٥) ابن طاووس: فرحة الغری ص ١٢٥.

موقع منازل الصحابة والتابعين من خطط الكوفة

خططت مدينة الكوفة عام ١٧هـ، بعد الفراغ من موقعة القادسية، وقد وضع القائد سعد بن أبي وقاص خططاً لقبائل العرب، وابتني بها داراً^(١)، ولم تحدد المصادر موقع الدار التي سكنتها سعد، ولكن يبدو إنها بنيت قبل تخطيط قصر الإمارة. وكانت المدة الزمنية بين تخطيط الكوفة، وبين تحويلها إلى عاصمة للدولة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (١٧-٣٦هـ) قد استوطنها عدد من الصحابة رضي الله عنهم، وتولى بعضهم مناصب إدارية، وفي مقدمتهم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، الذي نزل داراً تقع إلى جنب مسجد الكوفة، بعد أن تسلم المسلمون رسالة من عمر بن الخطاب جاء فيها: ((أني بعثت إليكم بعد الله بن مسعود، معلماً وزيراً، وأثرتكم به على نفسي، فخذوا عنه))^(٢)، وفي رسالة أخرى أضاف الصحابي الجليل عمار بن ياسر جاء فيها: ((أما بعد: فاني بعثت إليكم عماراً أميراً، وعبد الله معلماً وزيراً، وهما من النجاء من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاسمعوا لهما واقتدوا بهما، واني قد آثرتكم بعد الله على نفسي اثرة))^(٣)، ويستفاد من هذين النصين، إن بدايات الإدارة والعلم في مدينة الكوفة تعود للصحابيين: عبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، رضي الله عنهم، وكان معهما عدد من الصحابة، فيقول المؤرخ محمد بن سعد: هبط الكوفة ثلاثة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أصحاب بدر. وهذا ما اكتسب الكوفة أهمية بين الأمصار الإسلامية، بحيث أطلق عليها المؤرخون ألفاظاً تدل على هذه الأهمية منها: رمح الله، وكنز الإيمان، ورأس أهل الإسلام، ورأس العرب وجمجمتهم، وغيرها من الألفاظ الدالة على الجهاد، والتضحية في نشر الإسلام. وقد أشار الإمام علي

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٢.

(٢) المصدر نفسه ٦/١٤.

(٣) المصدر نفسه ٦/٧.

إلى ذلك في بعض خطبه وأحاديثه، ويقول الصحابي الجليل سلمان الفارسي طرحت عليه: ((الكوفة قبة الإسلام، وأهل الإسلام))^(١) وقد توزع الصحابة على خطط الكوفة، وحول مسجدها الكبير، والمساجد الأخرى، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى إلها بقوله: ((إن بالكوفة أربع بقاع قدس مقدسة فيها أربعة مساجد))، وقد سأله، الحاضرون: ((سمها يا أمير المؤمنين)) فقال: احدها مسجد ظفر، وهو مسجد السهلة، إن أطناها من الأرض لعلى ياقوتة خضراء، ومسجد جعفى لا تذهب الأيام والليالي حتى تتبع منه عين، ومسجد غنى، ومسجد الحمراء، وفيه قبر أخي يونس بن متى^(٢)، ولما قصد الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة، بعد فراغه من موقعة الجمل، يوم ١٢ رجب عام ٣٦ هـ فنزل من الرحمة التي سميت فيما بعد باسم ((رحمة علي)) ولم ينزل عليه القصر الذي كانت تنزله الولاة قبله^(٣)، ويقول ابن سعد: إن بعض الصحابة نزلوا في قبيلة اسلم كبعد الله بن أبي أوفى، واهب بن الأكوع، ونزل في كندة زيد بن الارقم، والأشعث بن قيس الكندي، ولهمما في هذه المحلة بيتان، وفي محلة الكناسة تقع دوربني أسد، وقد اشتري سمرة بن جندب دوراً فيها^(٤)، وشهدت ((جبانة السبيع)) في الكوفة أحاداثاً خطيرة في العصر الأموي (٤١-١٣٢ هـ)، وقد نسب إليها، الكثير من الأعلام^(٥)، ويقول ابن سعد: إن عمرو بن محمد العنقرزي كان جاراً لأبي داود الخفري بالكوفة، وهما يصليان في منزلهما في حفر السبيع وتقع في ((الحفر)) مطمورة قرب منزل محمد بن العلاء^(٦)، ونسبت جبانات في الكوفة لبعض الأعلام كجبانة بشر بن ربيعة، ولكن جبانة الكوفة الكبرى التي تسمى ((الثوية)) فإنها تقع

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٦.

(٢) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص ١٧٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٢/٦.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٠٢/٤، ٣٠٩، ١٨/٦، ٢٢، ٥٠/٧.

(٥) ابن دريد: الاشتقاد ص ٤٢٧.

(٦) ابن سعد: الطبقات ٤٠٣/٦، ٤١٤.

وراء الخندق، وتسمى المنطقة باسم ظهر الكوفة، وقد أطلق عليها الشاعر المتنبي
اسم ((البسطة)) بقوله:

بسطة مهلاً سقيت القطارا
 تركت عيون عبيدي حياري
 فظنوا النعام عليك النخيل
 وظنوا الصوار عليك المنارا
 وأشار إلى الشوية بقوله^(١):

وليلاً توسلنا الشوية تحته كأن ثراها عنبر في المرافق
 وكانت مساجد الكوفة قد احتلت جانباً من خطط المدينة، وقد نسبت إلى
 قبائل وأشخاص، فقد كان لبني قرن الأزدية مسجد، ولقبيلة جهينة مسجد
 باسمها^(٢)، وكان لعمران بن سليمان القبي (المسجد الجامع)^(٣)، وذكر ابن
 سعد ((مسجد الجماعة)) في الكوفة. دون أن يحدد موقعه^(٤)، أما خطط القبائل
 العربية فأنها أخذت مساحات من المدينة، ففي خطة جهينة تقع دار ليلي بلال بن
 بليل^(٥)، وكانت لمسروق بن يزيد خطة، وان يوسف بن علي القطان قد نزل في
 ((طاق حيان)) وان مؤمن الطاق، يقع دكانه في ((طاق المحامل))^(٦)، ومن خلال
 كتب التراجم والرجال نجد أشارات إلى خطط الكوفة، ومنها ((دار القصارين))
 العائدة للوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكانت تسمى الدار الكبيرة، وكان علي بن
 ربيعة يسلك طريق الحناطين^(٧)، ويشار إلى بعض المهن والصناعات والأسوق من
 خلال تراجم الرجال، إضافة إلى القبائل العربية وانتماء بعض الرجال إليها ففي
 الكوفة ((منطقة الأنصار)) حيث بنى فيها قرظة بن كعب والحارث بن زياد

(١) اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ٤٩٤/٢.

(٢) ابن دريد: جمهرة اللغة ٤٠٨/٢.

(٣) ابن معين: التاريخ ٤٣٨/٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٣٠.

(٥) المصدر نفسه: ٦، ٥٤.

(٦) ابن دريد: الاشتقاء ص ٣٦٦، الخوئي: معجم رجال الحديث ٢٠/٢٠٦.

(٧) ابن سعد: الطبقات ٦/٢٥، ٢٢٦.

داريهما فيها، وكانت لقبيلة عبس محله عرفت باسمها^(١)، وقد أشار المصادر إلى دور قبيلة طيء التي نزل فيها عدي بن حاتم الطائي، ودور قبيلة بجبلة التي فيها دار جرير بن عبد الله البجلي، وقبيلةبني سواء التي فيها دار جابر بن سمرة السوائي، وقبيلة خزاعة التي فيها دار سليمان بن صرد الخزاعي^(٢)، وكان الصحابي خباب بن الارت يمتلك داراً في منطقة ((جهاز سوج خنيس))^(٣). وكانت منطقة ((ظهر الكوفة)) قد شهدت أحداثاً في العصرين الأموي والعباسي، ونسب إلى خططها بعض الرجال ومنها ((حمام عمرو))، وهي قرية قرية من الكوفة وفيها اجمة^(٤)، وكانت منطقة ((باخرم)) الواقعة بين الكوفة وواسط قد شهدت معركة حاسمة استشهد فيها السيد إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن عليه السلام، وذلك في أثناء حكم أبي جعفر المنصور^(٥)، ونسب إلى صحراء أجرم)) بعض الرجال فقيل لهم الصحراوي، وقد سكن فيها أبو عبد الله محمد بن خالد التميمي الطيالسي، المتوفى عام ٢٥٩هـ^(٦)، وذكر الجوالقي: أن ((طن الغميس)) قريب من الكوفة^(٧)، ويكتنا الوقوف على خطط أخرى لمدينة الكوفة إذا استعرضنا تراجم الصحابة والتابعين، والعصور التالية، وما يصاحبها من جوانب علمية واجتماعية واقتصادية.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٨/٦-١٧، الزبيدي: تاج العروس ٤/١٨٣.

(٢) ابن سعد: طبقات الكبرى ٦/٢٢، ٦/٢٤، ٦/٢٥.

(٣) المصدر نفسه ٦/١٤.

(٤) التتوخي: الفرج بعد الشدة ٢/٨٦.

(٥) الازدي: تاريخ الموصل ص ١٨٩، ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢/٢٨.

(٦) المنذري: التكملة لوفيات النقلة ٥/٣٩٠، القمي: الكنى والألقاب ٢/٤١٦.

(٧) الجوالقي: أدب الكاتب ص ٢٨٨.

الثوية - مقبرة الكوفة الكبرى

اعتداد الناس في مدينة الكوفة دفن موتاهم في مقابر واقعة في خطط القبائل، وقد عرفت باسم (الجبانات)، وهناك مقبرة كبيرة تقع خلف خندق الكوفة تسمى (الثوية) فقد كانت الثوية تشكل مساحة شاسعة من الأرض، تمتد بين الكوفة والخيرة إلى ظهريهما، تؤلف المنطقة ((طرف البر)). حيث تعد مدينة النجف في الوقت الحاضر جزءاً منها، وقد سكن في هذه الصحراء أو البرية عدد من القبائل العربية ومنها قبيلة طيء قال ابن الأثير: إن أنوشاروان قد طلب الحارث بن عمرو، بلغه ذلك وهو بالأنبار. فخرج هارباً في صاحبته وما له وولده، وقد مر بالثوية^(١).

أما في التاريخ الإسلامي، فقد ارتبطت الثوية بأحداث مدينة الكوفة، التي لاشك أنها ورثة الخيرة في عصر ما قبل الإسلام. وقد نص بعض المؤرخين إن الثوية موضع بالковفة أو في ظاهراها، كما تشير إلى ذلك المصادر، وهي تقع بعد الخندق، باتجاه مدينة النجف، حيث يقع فيها مرقد كمبل بن زياد النخعي (ت ٨٢هـ) وما زال قبره ماثلاً حتى الوقت الحاضر.

وقد خصصت الثوية لأموات أهل الكوفة، فتحولت إلى مقبرة واسعة وقد احتلت قبيلة ثقيف وقرىش جزءاً منها^(٢). وقد أكدت المصادر إن المغيرة بن شعبة (ت ٥٠هـ) قد دفن في الثوية^(٣). وفي مقابر ثقيف مع أفراد قبيلته ولكن بعض المؤرخين لا سيما الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) قد خلط بين ((الثوية)) ((الغربي)). ولعل مرجع وهمه، هوان المنقطتين تقعان في ظهر الكوفة أولاً، ومتجاورتان ثانياً ولكن الثوية هي أقرب إلى الكوفة من الغربي، ومن ثم لا أهمية لما ذكره الخطيب البغدادي إن أبي جعفر الحضرمي كان ينكر إن يكون القبر الواقع بظاهر الكوفة هو قبر علي بن أبي طالب. وكان يقول: لو علمت الرافضة قبر من

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٣٥/١.

(٢) ماسنيون: خطط الكوفة ص ١٩، البراقى: تاريخ الكوفة ص ١٢٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب ١٤/١٢٧، الزبيدي: تاج العروس ١٠/٦٤.

هذا لرجمته بالحجارة، هذا قبر المغيرة بن شعبة^(١). وذلك إن الخطيب البغدادي نفسه كان متناقضاً في روايته إذ انه ذكر في موضع آخر من ((تاریخ بغداد)) فيقول: ((حدثني أبو حسان الزیدی قال: سنة خمسين فيها مات المغيرة بن شعبة في شعبان، ودفن بالکوفة بموضع يقال: له الثویة))^(٢). وفي الوقت نفسه ذكر عدة روايات عن موضع قبر الإمام علي عليه السلام، فقال: دفن بالکوفة عند قصر الإماراة، أو في موضع القصر، أو في الرحبة التي تنسب إليه، أو في البقع مع فاطمة بنت رسول الله عليه السلام، أو إن الإمام الحسن قد حمله ودفنه بالثویة^(٣). وما يؤكّد إن الخطيب البغدادي لم يكن واثقاً من موضع قبر الإمام علي عليه السلام، وذلك لعدم ترجيحه إحدى الروايات، ولكن المصادر الموثوقة الأخرى تؤكّد موضع قبر الإمام علي في منطقة الغري، خارج منطقة الثویة التي دفن فيها المغيرة بن شعبة وغيره من الصحابة والتابعين الذين عاشوا في مدينة الكوفة، وذكر السيد ابن طاووس (ت ٦٩٣ھ) عن زيد بن طلحة قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام – يقصد بذلك الإمام جعفر بن محمد الصادق – وهو بالحیرة أما ت يريد ما وعدتك قال: قلت: بل يعني الذهاب إلى زيارة قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام.

قال: فركب وركب إسماعيل معه، وركبت معهم حتى إذا جاز الثویة، فكان بين الحیرة والنّجف عند ذکوات بيض، ونزل إسماعيل، ونزلت معهم، فصلى إسماعيل وصلیت^(٤). وقد حدد الإمام الصادق عليه السلام بعض صحابته موضع قبر الإمام علي عليه السلام لبعض صحابته من منطقتي الثویة والغري بقوله: ((إذا خرجم، فجزتم الثویة والقائم، وصرتم على النجف على غلوة أو غلوتين.رأيتم ذکوات يضايّنها قبر جرفه السیل، فذاك قبر أمير المؤمنین))^(٥). وهذا التحديد الذي ذكره الإمام

(١) الخطيب البغدادي: تاریخ بغداد ١٣٨/١.

(٢) ن. م ١٩٣/١.

(٣) ن. م ١٣٨/١.

(٤) ابن طاووس: فرحة الغري ص ٥٢.

(٥) ن. م ص ٨٣.

الصادق عليه السلام كان دقيقاً، لأن الإنسان إذا اجتاز الشوية والقائم، وهي منطقة الخنامة في الوقت الحاضر، قد وصل إلى حدود الغري أو النجف، تراءت له المرفقات التي هي الذكوات البيض التي يقع بينها قبر الإمام عليه السلام^(١). وقد أزال المؤرخ المعتزلي ابن أبي الحميد (ت ٦٥٦هـ) الخلط والوهم الذي وقع فيه الخطيب البغدادي وغيره من المؤرخين بالقول: قال أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون الرسي المقرئ المتوفى عام ٥١٠: مات بالكوفة ثلاثة صحابي ليس قبر أحد منهم معروفاً إلا قبر أمير المؤمنين، وهو هذا القبر الذي يزوره الناس الآن، جاء جعفر بن محمد عليهما السلام، وأبواه محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام فزاره، ولم يكن إذ ذاك قبراً معروفاً ظاهراً، وإنما كان به سرح عصباء، حتى جاء محمد بن زيد الداعي صاحب الدليل فاظهر القبة، وسالت بعض من أثق به من عقلاً شيخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبو بكر في تاريخه: إن قوماً يقولون: إن هذا القبر الذي تزوره الشيعة إلى جانب الغري هو قبر المغيرة بن شعبة، فقالوا أغلطوا في ذلك قبر المغيرة وقبر زياد بالشوية من أرض الكوفة ونحن نعرفهما ونقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا^(٢). إن من الصواب، وبعد النظر، أن يوصي الإمام علي عليه السلام، بنيه بالدفن في منطقة الغري خارج منطقة الشوية، وان يعفى موضع قبره خشية من امتداد يد العابثين من أعدائه، إذ انه لم يدر بخلد أحد من الناس. أو من الكوفيين بالذات، انه قد دفن بالغري، لأن المتعارف عليه أن الموتى من أهل الكوفة، يدفعون في الشوية، أو في جبانات الكوفة، وقد بقى مرقد الإمام عليه السلام مخفياً طيلة العهد الأموي (٤٠-١٣٢هـ) وجزءاً من العهد العباسي، يقول ابن أبي الحميد: ((ولم يعلم دفنه على الحقيقة إلا بنوه والخواص المخلصون من أصحابه، فإنهم خرجوا به عليه السلام وقت السحر في الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان فدفونه على النجف بالموقع المعروف بالغري بوصاة منه عليه السلام إليهم في ذلك وعهد كان إليه وعمي موضع قبره على الناس))^(٣).

(١) ابن منظور: لسان العرب ١٣٢/١٥.

(٢) ابن أبي الحميد: شرح نهج البلاغة ٦٤/٢.

(٣) ن. م ٣٦٤/١.

ومن المحتمل إن تكون منطقة الحنطة حدا فاصلاً بين الغري والثوية، وقد مر جثمان الإمام عليه السلام بهذه المنطقة وهو في طريقه إلى الغري، يقول ماسنيون: إن مسجد الحنطة هو الموضع الذي وضع فيه جثمان علي^(١). كما انه وضع فيه رأس الحسين عليه السلام، ورؤوس أبنائه وأصحابه قبل الدخول بها مدينة الكوفة، وقد روى محمد بن أبي عمير عن المفضل بن عمر قوله: ((جاز الإمام الصادق عليه السلام بالقائم المائل، في طريق الغري، فصلى ركعتين فقيل له: ما هذه الصلاة؟ فقال: هذا موضع رأس جدي الحسين بن علي عليه السلام وضعوه هنا توجهوا من كربلاء ثم حملوه إلى عبيد الله بن زياد))^(٢). وذكر ابن طاووس: إن الإمام الصادق عليه السلام أوصى المفضل إن يصلّي في ((الجبانة)) ركعتين لأنّها موضع رأس الحسين عليه السلام، كما ورد في النص نفسه كلمة ((الجبانة))^(٣). واني أرى إن الحنطة المعترف عليها بين الناس، هي مصحفة من الجبانة على اعتبار أنها جزء من الثوية التي هي في الأساس مقبرة أو جبانة الكوفة أما مرقد أمير المؤمنين عليه السلام فانه فوق الثوية قليلاً كما يقول أبو القاسم جعفر بن محمد المعروف بابن قولويه (ت ٣٦٨ هـ) فان المسافة بين المرقد الشريف ومسجد الحنطة لا يزيد عن كيلو مترين في الوقت الحاضر، أما مرقد المغيرة بن شعبة فهو في الثوية لا في الغري كما أوضحته المصادر الموثوقة، كما دفن في الثوية أيضاً أبو موسى الأشعري^(٤). وقد ذكرت بعض المصادر إن المغيرة بن شعبة مات بالكوفة عام خمسين للهجرة، وذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان. دون أن تحدد موضع قبره^(٥). قال ابن أبي الحميد: سالت قطب الدين نقيب الطالبيين أبا عبد الله بن الحسين الاقصاسي عن ذلك، فقال: صدق من أخبرك

(١) ماسنيون: خطط الكوفة ص ٦.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ١٠٠ / ٢٨٢.

(٣) ابن طاووس: مصباح الزائر ص ٦١.

(٤) ابن منظور: لسان العرب ١٤/١٢٧، الزبيدي: تاج العروس ٦٤/١٠، الطريحي: مجمع البحرين ١/٧٩.

(٥) الحكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين ٣/٤٤٨.

ونحن وأهلها كافه – يقصد أهل الكوفة – نعرف مقابر ثقيف بالثوية، وهي إلى اليوم معروفة، وقبور المغيرة فيها، ألا أنها لا تعرف قد ابتعلها السبغ وزبد الأرض وفورانها فطمت، واختلط بعضها ببعض^(١). وقد أورد أبو الفرج الأصفهاني نصا جاء فيه: انه كان بين المغيرة بن شعبة، وبين مصقلة بن هبيرة الشيباني تنازع، الأمر الذي دعا مصقلة أن يغادر الكوفة، ولا يقيم ببلدة فيها المغيرة، فخرج إلىبني شيبان إلى أن توفي المغيرة، فعاد إلى الكوفة فسأل عن مقابر ثقيف فأرشدوه، وقد ظن الناس انه سوف يرجم قبر المغيرة بالحجارة، ولكنه وقف على قبره وقال: والله لقد كنت ما عملت نافعا لصديقك صابرا لعدوك وما مثلك إلا كما قال مهلهل في أخيه كلبي^(٢).

إن تحت الأحجار حزما وعزماء
حيّة في الوجار اربد لا ينفع منه السليم نفث الرافي
إن مثل هذه النصوص تقطع في تحديد موقع مرقد المغيرة بن شعبة في الثوية مع قبور الثقفيين والقرشيين وغيرهم، من أمثال: أبي موسى الأشعري وزياد بن أبيه^(٣). وقد أشار حارثة بن بدر الغداني في رثائه للمغيرة وإلى قبره في الثوية قائلا^(٤):

وان من غرت الدنيا لمغرور	أبا المغيرة والدنيا مغيرة
وكان عندك للنكراء تنكير	قد كان عندك للمعروف معرفة
إن كان قبرك أمسى وهو مهجور	وكنت تؤتي فتوتني الخير من سعة
دون الثوية يسعى فوقه المور	صلى الإله على قبر بمحنية

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٦٤/٢.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ١٤٤/١٤.

(٣) البغدادي: مراصد الاطلاع ٣٠٢/١.

(٤) الجاحظ: الحيوان ١٥٩/٧، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤٦/٢، ياقوت: معجم البلدان ٩٤٠/١.

ويقول المؤرخ الطبرى: لما حضرت زيادا الوفاة قال له ابنه: يا أبى قد هيأت لك ستين ثوبا اكفنك فيها، قال: يا بنى قدنا من أبيك لباس خير من لباسه هذا أو سلب سريع، فمات دفون بالثوية إلى جانب الكوفة^(١). ويقول المسعودي: انه دفن بالثوية من أرض الكوفة^(٢). ومن الجدير بالذكر إن زياد بن أبيه توفي عام ٥٣ هـ، وقد تولى ولاية الكوفة من قبل معاوية بن أبي سفيان، قد دفن بالقرب منه في الثوية الأحنف بن قيس عام ٦٧ هـ^(٣).

ومن الثابت إن كثيرا من الصحابة والتابعين قد دفنتوا بالثوية، يقول ابن خلkan: إن في موضع الثوية قبور جماعة من الصحابة وغيرهم^(٤). ويقول المجلسى: إن في الثوية قبور خواص أمير المؤمنين علیہ السلام^(٥). ويقول القزويني: إن أصحاب أمير المؤمنين جملة في قلعة الخنانة من الغري^(٦). وفي الحقيقة إن الخنانة هي في نهاية الثوية ومنها تبتدئ منطقة الغري، وقد ذكرت بعض المصادر: إن قسما من الصحابة قد دفنتوا بظهر الكوفة، ولعل المراد بذلك منطقة الثوية التي تعتبر بداية لظهور الكوفة ما وراء الخندق، ومن هؤلاء الصحابي خباب بن الارت المتوفى عام ٣٧ هـ. وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاته، فالمؤرخ الطبرى يذكر رواية عن قدامه بن العجلان الازدي انه قال للإمام علیہ السلام: يا أمير المؤمنين إن خباب بن الارت توفي بعد مخرجك - أي من الكوفة إلى صفين - فأوصى أن يدفن في الظهر، وكان الناس إنما يدفونون في دورهم وافنيتهم، فدفن بالظهر، ودفن الناس إلى جنبه^(٧). ولكن المصادر الأخرى تقول: إن خباب بن

(١) الطبرى: التاريخ ٢٩٠/٥.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ٣٥/٣.

(٣) ابن قتيبة: المعارف ص ٤٢٤، ابن خلkan: وفيات الأعيان ٢/٥٠٤.

(٤) ابن خلkan: وفيات الأعيان ٢/٥٠٦.

(٥) البراقى: تاريخ الكوفة ص ٦٨.

(٦) القزويني: فلك النجاة ص ٣٣٦.

(٧) الطبرى: التاريخ ٦١/٥، الأصفهانى: حلية الأولياء ١/١٤٧.

الارت مات بعد منصرف الإمام علي عليه السلام من صفين، وكان قد صلى عليه، ودفنه بظهر الكوفة^(١). ودفن في هذه المنطقة قرظه بن كعب^(٢). وسهل بن حنيف^(٣). وعبد الله بن يقطر^(٤). وعبد الله بن أبي أوفى^(٥). وكميل بن زياد النخعي، ولم يبق من قبور هؤلاء الصحابة والتابعين في الوقت الحاضر سوى مرقد كميل بن زياد المتوفى عام ٨٢هـ، وقيل عام ٨٨هـ^(٦). وقد كان كميل بن زياد قد شهد مع الإمام علي عليه السلام موقعة صفين، وأصبح واليه على مدينة هيت، وقد قتل بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي^(٧). وقد استطاع أحد المتصوفة من إبراز قبره وبناء قبة عليه^(٨). ثم أجريت على القبر توسيعات كثيرة حتى أصبح من المساجد العامرة في منطقة الخانة، إحدى الأحياء الجديدة في مدينة النجف الأشرف.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/٦١٧، ٦/١٤، ابن عبد البر: الاستيعاب ٦/٤٢٤ الحسيني: الدرجات الرفيعة ص ٤٠٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٦١٧.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/٦٦٢ - ٦٦٣.

(٤) أبو علي: متهى المقال في أحوال الرجال ص ١٩٥.

(٥) ابن حجر: الإصابة ٢/٢٧٩ - ٢٨٥.

(٦) ن. م ٣/٣١٨.

(٧) ن. م.

(٨) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/٢٤٧.

قصور الكوفة في الإسلام

المقدمة:

كانت منطقة الحيرة وظهرها المعروف اليوم بأرض النجف قد بنيت فيها القصور العائدة لدولة المناذرة في عصر ما قبل الإسلام، ولكن عند تخطيط مدينة الكوفة عام ١٧هـ، بنيت فيها قصور تعود إلى وقت مبكر من تأسيس الكوفة وهي:

١- قصر الكوفة أو قصر الإمارة

شيد هذا القصر سعد بن أبي وقاص بعد موقعة القادسية وتحرير الحيرة من الفنود الفارسي، وذلك عام ١٧هـ، وكان يدعى مرة بقصر الكوفة، ومرة أخرى بقصر سعد وقد بناه بحيال محراب مسجد الكوفة وجعل فيه بيت المال، يقول الطبرى: وقد بنى سعد في الذين خطوا للقصر قصراً بحيال محراب الكوفة، فشيده وجعل فيه بيت المال، وسكن ناحيته ثم إن بيت المال نقب عليه نقباً، واخذ من المال وكتب سعد بذلك إلى عمر، ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن من يلي ودعة الدار فكتب إليه عمر: أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جنب الدار، واجعل الدار قبلته فان للمسجد أهلاً بالنهار وبالليل وفيهم حصن لمالهم^(١)، وكان قد بناه رجل من أهل همدان يقال له روزبه بن بزر جمهر، وقد قال لسعد بن أبي وقاص: ابني لك قصراً فاصلهما ويكون بنياناً واحداً، فخط قصر الكوفة على ما خط عليه ثم أنشأه من نقض اجر قصر كان للأسرة في ضواحي الحيرة على مساحته اليوم^(٢)، ولم يوضح الطبرى أي قصر من قصور الحيرة التي اشرنا إليها قد نقضه سعد وبني باجره قصر الكوفة، ويبدو إن عمر بن الخطاب قد طرقت أسماعه أحاديث تشير إلى اتخاذ سعد هذا القصر حصناً، فكتب إليه كتاباً دفعه إلى محمد بن مسلمة جاء فيه: بلغني أنك بنيت قصراً اتخذته

(١) الطبرى: التاريخ: ٤٦/٤.

(٢) ن.م.

حصنا ويسمى قصر سعد وجعلت بينك وبين الناس بابا فليس بقصرك، ولكنه قصر الخبال انزل منه منزلة ما يلي بيوت الأموال وأغلقه ولا تجعل على القصر بابا تمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ليوافقوا مجلسك وخرجك من دارك إذا خرجم^(١)، ولكن سعدا نفي ما شيع عنه، وعاد محمد بن مسلمة إلى المدينة، ويقول الطبرى: انه كان لعمر أربعة آلاف فرس عدة لكون إن كان، يثبتها في قبلة قصر الكوفة ومسيرته، ومن أجل ذلك يسمى ذلك المكان الاري وبقي هذا الاسم حتى عصر المؤرخ الطبرى (ت ٣١٠ هـ)^(٢).

يقع قصر الكوفة في الواجهة الجنوبيّة من مسجدها الكبير مع انحراف قليل نحو الشرق، وتحيط بالقصر السكك والشوارع كسكة دار الروميين، وتمتد الأسواق من القصر والمسجد إلى الدور والمنازل، ويطل الميدان على القصر من جهة الغرب على رحبة الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام^(٣).

ولما قدم الإمام علي عليهما السلام مدينة الكوفة بعد فراغه من موقعة الجمل في البصرة عام ٣٦ هـ استقبله أهلها وقالوا: يا أمير المؤمنين أين تنزل؟ أتنزل القصر فقال: لا ولكنني انزل الرحمة فنزلها، واقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلى فيه ركعتين^(٤). وبعد ذلك نزل داراً تجاور قصر الإمارة وقد زار هذه الدار كل من الرحالتين العربين ابن جبير وابن بطوطة وحددا دار بيت الإمام علي عليهما السلام انه خارج مسجد الكوفة، وانه البيت الذي غسل فيه^(٥). ولا تزال دار الإمام تجاور دار الإمارة حتى الوقت الحاضر، وكانت بعض المصادر تشير إلى إن زياد بن أبيه هو الذي بنى مسجد الكوفة وقصرها ولكن هذا لا يستقيم مع النصوص التاريخية السابقة لعهد زياد بن أبيه.

(١) الطبرى: التاريخ: ٤٦/٤ - ٤٧.

(٢) ن. م: ٤٢٥.

(٣) ماسنيون: خطط الكوفة ص ٩٤.

(٤) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٣.

(٥) ابن جبير: الرحلة ص ١٦٨، ابن بطوطة: الرحلة ١/١٣٨.

وفي عام ٦٦ هـ كان المختار بن أبي عبيد الثقفي قد أحاط بقصر الإمارة في سبيل انتزاعه من أيدي الزبيرين^(١). وقد تمكن من دخوله والبيت فيه، وقد أصبح الناس في المسجد وعلى باب القصر^(٢).

وكان الوالي الزبيري عبد الله بن مطیع قد حاصره المختار في هذا القصر ومعه ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل فأعطى المختار كل رجل خمسماة درهم وأعطى ستة آلاف من أصحابه الذين أتوه بعدما أحاطوا بالقصر^(٣).

وقد أشار عبد الله بن همام إلى اقتحام المختار بن أبي عبيد الثقفي لقصر الإمارة بقوله:

أضحت سليمي بعد طول عتاب
وتجرم وقاد غرب شباب
قد أزمعت بصرميتي وتجنبي
وتهوك من ذاك في اعتاب
لرأيت القصر أغلاق بابه
وتسلت همدان بالأسباب
وأشار إلى طرد الوالي الزبيري من هذا القصر بقوله^(٤):
فحوصر في دار الإمارة بائياً بذل وارغام له وخضوع
ولكن مصعب بن الزبير في عام ٦٧ هـ تمكن من انتزاع القصر من أيدي
المختار الثقفي، بعد حصار شديد استسلم بعده أنصار المختار فأقدم مصعب على
قتلهم جميعاً بعد أن أعطى لهم الأمان^(٥). وفي عام ٧٧ هـ خرج الحجاج بن
يوسف الثقفي من هذا القصر لقتال الخوارج بعد دخول شبيب الخارجي مدينة
الكوفة^(٦).

(١) أبو يوسف: الخراج ص ٦٠.

(٢) الطبری: التاريخ ٦/١٩-٢٩.

(٣) المصدر نفسه ٦/٣٢.

(٤) الطبری: التاريخ ٦/٣٣.

(٥) المصدر نفسه ٦/٣٥-٣٨.

(٦) المصدر نفسه ٦/١١٥-١١٦.

وكان قصر الإِمارة قد شهد رؤوس عدَّ من الثوار في العصر الأُموي، وكان رأس مصعب بن الزبیر آخرها وقد وضع أمام عبد الملك بن مروان، فدخل عبيد الله بن عمر الليثي مبتسمًا فقال له عبد الملك مم تبسمت فقال: يا أمير المؤمنين أتيت عبيد الله بن زياد في هذا الإِيوان بين يديه رأس الحسين بن علي عليهما السلام ثم رأيت المختار وبين يديه رأس عبيد الله بن زياد في هذا الإِيوان، ثم أتيت مصعب بن الزبیر في هذا الإِيوان وبين يديه رأس المختار بن أبي عبيد، ثم أراك وبين يديك رأس مصعب، فقام عبد الملك فزعًا من كلامه وأمر بهدم الإِيوان فهدم^(١). ويقول القلقشندي^(٢): فتطير منه ففارق مكانه، ولكن من الغريب أنْ نجد البلاذري يقول: إن زياد بن أبيه بنى مسجد الكوفة وبنى دار الإِمارة. وربما قصد بذلك انه قام بتجديدهما، وقد كشف الحفائر في دار الإِمارة، إلى أن بعض مرافقها تعود للعصر الأُموي^(٣). وكان عبيد الله بن زياد قد تحصن بقصر الإِمارة وأمر أعوانه والشرط برمي القوم المويدين لمسلم بن عقيل بن أبي طالب رسول الإمام الحسين عليهما السلام لأهل الكوفة بالمدر والنشاب لغرض منعهم من الدنو من القصر وقال عبيد الله بن زياد لأعوانه: ليشرف كل رجل في ناحية من سور القصر لتخويف القوم^(٤).

ويبدو إن قصر الإِمارة فقد أهميته في العصر العباسى واخذ في الاندرايس وقد وصفه ابن بطوطة عند زيارته للكوفة عام ٧٢٦هـ بالقول: أما دار الإِمارة الذي بناه سعد بن أبي وقاص فلم يبق منه إلا أساسه^(٥). وقد بدأت مديرية الآثار العامة سنة ١٩٣٨م الكشف عنه وعن جدرانه، وقد استطاع الآثاريون الكشف عن

(١) المصدر نفسه ٦-١١٥-١١٦ المقدسي: البدء والتاريخ ٦ / ٢٣-٢٤، العمري: مسالك الأبصار ص ٢٤٨.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى ٤٥٥/١.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٥٧.

(٤) الجنابي: تحطيط الكوفة ص ١٣٥-١٣٦.

(٥) ابن بطوطة: الرحلة ١/١٣٨.

السور الخارجي للقصر والذي يتألف من أربعة جدران تقريريا طوليا 170×170 م و معدل سمكها أربعة أمتار، وتدعى كل ضلع من الخارج ستة أبراج ونصف دائرة باستثناء الضلع الشمالي حيث يدعمها برجان فقط، وتنتهي الأركان الثلاثة الشمالية والجنوبية والغربية بثلاثة أبراج ماعدا الركن الشمالي الغربي فانه يتصل بسور المسجد، أما المسافات بين كل برج وآخر فكانت أربعة وعشرين مترا غير إن الغالب على هذه المسافات كان أربعة وعشرين مترا ويبدو إن ارتفاع هذا السور بأبراجه كان يصل إلى ما يقرب من عشرين مترا^(١). ويتألف دار الإمارة من بناء مربع الشكل طوله 36×110 ، 24×110 ، 110 م و معدل سمك الجدران مترا وثمانون سنتيمتراً، وفي بعض أجزاءه مترا، وهذه الدار مشيدة بالآجر والجص وأضلاعها الأربع تمتد بموازاة أضلاع سور الأربعة، وقد دعم كل ضلع منها بأربعة أبراج نصف دائرة قطر كل منها يبلغ ثلاثة أمتار موزعة على التناظر بحيث كانت المسافة بين كل برج وآخر ثمانية عشر مترا وثلاثين سنتيمترا وأما أركانها الأربع فتنتهي كل منها ببرج مستدير يقرب من ثلاثة أرباع الدائرة على أن مجموع هذه الأبراج الموزعة على جدرانها يصل إلى عشرين برجا^(٢).

٢- قصر طمار:

ترتبط بعض أحداث هذا القصر بقصر الإمارة، ففي عام ٦٠ هـ، أمر الوالي الأموي عبد الله بن زياد بإلقاء مسلم بن عقيل من أعلى القصر إلى الأرض، وقد وصف هذا المشهد عبد الرحمن بن الزبير الأسدي بقوله^(٣):

فإن كنت لا تدررين ما الموت فاظطري	إلى هانئ في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف انه	وآخر يهوي من طمار قتيل
أصحابهما ريب الزمان فأصبحا	أحاديث من يسعى بكل سبيل

(١) الجنابي: تحظيط مدينة الكوفة ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٢) الجنابي: تحظيط الكوفة ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٣) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٢١٩.

ترى جسدا قد غير الموت لونه ونضح دم قد سال كل مسيل
ويبدو إن هذا القصر يجاور قصر الإمارة بدليل إن مرقد مسلم بن عقيل في
الوقت الحاضر يقع خارج مسجد الكوفة ويجاور قصر الإمارة تماما، ولم يحدد
موقع هذا القصر سوى القول: انه قصر بالكوفة^(١).

٣- قصر العذيب:

نزل سعد بن أبي وقاص عام ١٤هـ، قصر العذيب، في الوقت الذي اقبل
رسمت في ستين ألفا، وذلك قبيل موقعة القادسية^(٢). ولما التحم العرب المسلمين
مع الفرس في القتال كان سعد في هذا القصر ينظر إلى مشاهد الحرب ومعه زوجته
سلمى بنت خصبة، ولما جالت الخيل رعبت سلمى فقالت: وامثنiah ولا مشى لي
اليوم، فغضب سعد من كلامها ولطم وجهها فقالت: اغيرة وجنبأ، ولما رأى أبو
محجن ما تصنع الخيل حين جالت وهو في قصر العذيب قال^(٣):

كفى حزناً أن ترتدي الخيل بالقنا واترك مشدودا على وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وأغفلت مصاريع دوني لا تجيئ مناديا
فقد تركوني واحدا لا أخاليا

٤- قصر إسماعيل بن عبد الله بدوران:

يقع هذا القصر خلف مسجد الكوفة وقد نزل فيه خالد بن عبد الله القسري
بعد أن أطلق سراحه هشام بن عبد الملك عام ١٢٦هـ^(٤).

(١) الجنابي: تحظيط الكوفة ص ١٤٧.

(٢) الطبرى: التاريخ ٥٧٣/٣.

(٣) الطبرى: التاريخ ٥٧٥/٣.

(٤) المصدر نفسه ٢٨/٢

درب زبيدة أو طريق الحاج من الكوفة إلى مكة المكرمة

ترتبط مدينة الكوفة بالحجاز والشام بطرق تجارية قديمة، حتى سميت أحدي أبواب الكوفة بباب الشام، وقد أشار الحميري إلى ذلك بقوله: ((أن جزيرة العرب ما يلي الشرق في الخط الذي يخرج من ساحل ايله فيمر مستقبل الشرق في أرض مدين إلى تبوك ودومة الجندي إلى البلقاء وتيماء وماب، وهي كلها من الشام، ويمضي في وادي شيبان وتغلب وبكر ويتصل بالكوفة والنجف والقادسية والخيرة))^(١). وأشار إلى قدم هذا الطريق في عصر ما قبل الإسلام عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغساني بقوله: ((ورأيت المرأة تخرج من الخيرة، وتضع قلتها على رأسها، لا تزود إلا رغيفاً واحداً حتى تأتي الشام))^(٢). وبعد أ Fowler نجم الخيرة وخطيط مدينة الكوفة عام ١٧هـ، حتى أصبحت القوافل تسلك هذا الطريق بدءاً من الكوفة، وبما أنه يؤدي إلى الديار المقدسة في الجزيرة العربية، فقد غلب عليه اسم ((طريق الحاج)) على باقي المسميات الأخرى، ويقول قدامة بن جعفر: ((إن طريق الحاج يبدأ من بغداد إلى الكوفة، فالقادسية فعذيب ومنها إلى الصحراء))^(٣). وقد ذكر هذا الطريق في المصادر بسميات ثلاثة هي:

- ١- طريق الحج.
- ٢- درب زبيدة.
- ٣- الطريق السلطانية.

وكان الحاج العراقي في العصور الإسلامية يسلكون هذا الطريق على هيئة قوافل، وقد عرف باسم (طريق الحاج) حتى العصر العباسي. فأصبح يعرف باسم (درب زبيدة) نسبة إلى السيدة زبيدة بنت جعفر العباسي، زوجة هارون الرشيد، والتي حفرت على طول الطريق آباراً وبركاً، وقد أشار إليها الرحالة

(١) الحميري: الروض المعطار ص ١٦٤.

(٢) الشريف المرتضى: الامالي ٢٦١/١.

(٣) قدامة بن جعفر: الخراج ص ٧٨.

العربي ابن جبیر عام ٥٨٠هـ يقول: ((والمیاه فيها بحمد الله موجودة في المصانع
كثيرة))^(١). وقد وصف هذه الآبار والبرک وصفاً دقيقاً بعد أن اطلع على معالها،
ومسالك الطريق بقوله: ((وهذه المصانع والبرک والآبار والمنازل التي من بغداد
إلى مكة هي آثار زبیدة ابنة جعفر المنصور زوج هارون الرشید وابن عمه،
وانتدبت لذلك مدة حياتها، فأبقيت في هذا الطريق مرافق ومنافع تعم وفدى الله
تعالى كل سنة من لدن وفاتها إلى الآن، ولو لا آثارها الكريمة في ذلك لما سلكت
هذا الطريق. والله كفيل بمجازاتها والرضا عنها))^(٢). وذكر الواقدي: إن السيدة
زبیدة قد حجت عام ١٧٦هـ^(٣). ومن المحتمل إنها سلكت هذا الطريق، واطلعت
بنفسها على آباره وبركه، ولعل أطلاق اسم ((الطريق السلطانية)) عليه لكثرة من
سلكه من الخلفاء والسلطانين والأمراء والقادة في العصور العربية الإسلامية، ففي
عام ٤٨٠هـ، قام السلطان ملكشاه السلجوقي (ت ٤٨٥هـ) بمحفر آبار الطريق، بعد
أن ودع قوافل الحاج، وبنى منارة في منطقة السبيعى عرفت باسم ((منارة
القرون))^(٤). ويقول السيد ابن طاووس (ت ٦٩٣هـ) كان الخلفاء العباسيون
يودعون الحاج بأنفسهم عند مدينة النجف، ففي عام ٥٩٧هـ تم توديع الحاج في
هذه المدينة^(٥). وأشارت بعض المصادر إلى أن بعض الفقهاء والمحدثين كانوا
يؤدون فريضة الزيارة لمقد الإمام علي عليه السلام، ثم يواصلون السير إلى مكة المكرمة
لأداء فريضة الحج، ففي عام ٢٨٦هـ سلك الحدث محمد بن يحيى الشيباني هذا
الطريق، وفي عام ٤٥٢هـ أدى الفقيه أبو عبد الله جعفر بن محمد الدورستي فريضة
الحج عبر هذا الطريق^(٦). وقد قال عنه ابن جبیر: انه في ظهر الكوفة، وهو الحد

(١) ابن جبیر: الرحلة ص ١٦٣.

(٢) ن. م ص ١٦٣ - ١٦٧.

(٣) الطبری:التاریخ ٢٥٤/٨.

(٤) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٤/٥٦٠.

(٥) ابن طاووس: فرحة الغری ص ١١٥، ص ١٣٠.

(٦) الطبری: بشارة المصطفی ص ٧٨، انظر الكلیدار: مدينة الحسين ٢/٩٨.

بيتها وبين الصحراء^(١). وهو يقصد إن السالك هذا الطريق بدءاً من مدينة النجف الأشرف - وهي ظهر الكوفة - يخترق صحراء شاسعة حتى وصوله إلى مكة. ولذا أصبح سلوكه في بعض الأحيان في غاية الخطورة بسبب غارات الأعراب على قوافل الحاج، مما يضطرهم في بعض السنين إلى العودة إلى مدينة بغداد عن طريق الشام كما في الأعوام ٤١٤، ٤١٥، ٥٦٤هـ^(٢). وقد تعطلت فريضة الحج عند تعرض القوافل إلى مضائقات الأعراب كما في السنوات ٣١٥، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٢٩هـ^(٣). فيعود الحاج إلى الكوفة دون مواصلة الطريق إلى مكة. وكانت قبيلة خفاجة قد تصدت لقوافل الحاج، ونهبت الأمتنة والأموال في الأعوام ٢٦٩، ٣٠٢، ٢٨٥، ٣٢٥، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٤٥، ٤٧٩، ٤٨٥، ٥٥٨، ٥٦٣هـ^(٤). ويشار إليها في التصدي جماعات أخرى من الأعراب^(٥). وفي عام ٣٢٣هـ تعرضت قوافل الحاج إلى النهب والسلب من قبل القرامطة، مما عطل أداء فريضة الحج في هذه السنة، وإزاء هذه الحالة كان بعض المتعهدين يأخذون على أنفسهم ضماناً بوصول قوافل الحاج سالمة عبر هذا الطريق. وتقديم الخدمات الالزمة للحجاج كما في السنوات ٣٨٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٥١٦، ٥٧٣هـ^(٦).

وبقي طريق الحاج يسلك بعد العصر العباسي، ففي عام ٧٢٧هـ وصفه الرحالة العربي ابن بطوطة، وأشار إلى الآبار والمياه والمنازل، وهو وصف يلتقي

(١) ابن جبير: الرحلة ص ١٦٧.

(٢) ابن الجوزي: المنظم ٨/١٣، ١٩، ٢١٨/١٠.

(٣) ن. م ٦/٢١٠، ٧/٢٥٢، ٢٦٢، ٢٩٢، ٢٨٤، ٣٠١، ٢٩٢، ٢٨٤، ٢٦٢، ٢٥٢/٧، ٦٢، ٢٢، ٢٢، ٢٥، ٣١، ٣٦، ٤٥، ٥١، ٦٧، ٨٣، ٦٠، ١٠٠.

(٤) الطبرى: التاريخ ٩/٦١٣، ١٠/١٥١، ابن الجوزي: المنظم ٥/٢٥، ٧/٦٥، ٧/٢٦٨، ٩/٦٣، ١٠/٢٦٠، ١٠/٢٠٦، ١٠/٢٢٢.

(٥) ابن الجوزي: المنظم ٧/١٧٠، ٨/٦٩، ٩/٢٣٢، ٩/٦٩، ١٠/٢٧٣.

مع وصف ابن جبير الذي سبقه بما يقرب من قرن ونصف^(١). وفي عهد الدولتين الجلائرية والتركمانية، كانت القوافل تسير عبر هذا الطريق، وهي حاملة الحمل والآية المذهبة، ولكن في عام ٨٥٧ هـ اعترض المولى علي المشعشعبي قوافل الحاج ونهب الأموال والدواب^(٢). ولكن في العصر العثماني تحسنت أحوال الطريق واستتب الأمن فيه، ففي عام ١١٣١ هـ، أمر الوالي العثماني حسن باشا، سقاة الماء بمرافقه قوافل الحاج^(٣). وفي عام ١١٤٩ هـ تم الاتفاق بين الحكومة العثمانية والحكومة الفارسية على سلوك الحاج هذا الطريق بدءاً من مدينة النجف الأشرف بدلاً من الشام، وعلى أن يحرص والي بغداد على امن الحاج وحمايتهم^(٤). واخذ هذا الطريق يمر براحل رئيسية ثلاثة هي:

١- مرحلة النجف - الشبكة :

تقع في المسافة الممتدة بين النجف والشبكة آبار وبرك هي: أم القرون، عائشة، وحمد، ومغيثة، والحمام، والمساجد، والعمية، وقد وصف الرحالة ابن جبير المnarة الواقعة في بركة أم القرون بقوله: إنها في بيداء من الأرض لأنباء حولها قد قامت في الأرض كأنها عمود مخروط من الآجر، قد تداخل فيها من الخواتيم الآجرية مئنة ومربعة، وأشكال بد菊花ة ومن الغريب إنها مجدة كلها بقرون غزلان مثبتة فيها، تلوح كظهر الشيئم، وعلى مقربة من هذه المnarة قصر ذو برج مشيدة، وبإزاره مصنع عظيم وجدر مملوء بالماء^(٥). وبقيت هذه المnarة قائمة بعد ذلك بمنة طويلة، وما زال اسم ((أم القرون)) معروفاً عند سكان المنطقة.

(١) ابن بطوطه: الرحلة ١٠٦-١٠٩.

(٢) جاسم شبر: تاريخ المشعشعين ص ٥١.

(٣) السويدي: حدائق الزوراء ٨٢/١.

(٤) علاء نورس: العراق في العهد العثماني ص ١٨٣.

(٥) ابن جبير: الرحلة ص ١٦٧.

٢- مرحلة الشبكة - حائل:

تبدأ آبار شراف من منطقة الشبكة، وهي آبار عذبة حفر بعضها في عهدى المنصور والرشيد. وآبار واكصة، وهي عذبة أيضاً، وآبار عيدها والجميمة، وتأتي بعدها برُك منها: برُك زبالة، وبرُك العصافير، وبرُك الشيحيات وآبار الشعيبة^(١). وأشار ابن جبير إلى ثلاثة مناهل للمياه في هذه المنطقة هي: زبالة، واكصة، ومنهل من ماء الفرات على مقربة من الكوفة^(٢). وقال إن زبالة قرية معمرة، وفيها قصر مشيد من قصور الأعراب، ووصف واكصة بأنها وهذه من الأرض منفسحة فيها مصانع للماء مملوءة، وقصر كبير وبإزائه اثر بناء، وهي معمرة بالأعراب.

وحدد ابن جبير المسير بينها وبين الكوفة ثلاثة أيام، وبها يلتقي الحاج كثير من أهل الكوفة وهم مستجلبون إليهم الدقيق والخبز والتمر والأدم والفواكه الحاضرة في ذلك الوقت^(٣).

٣- مرحلة حائل - المدينة المنورة:

إن المسير من حائل باتجاه المدينة المنورة لابد من المرور بقرية المهاش وفيها آبار ونخيل وزراعة، ثم المرور بقرى زراعية أخرى حتى الوصول إلى المدينة المنورة^(٤). ومن الجدير بالذكر أن جبل حائل في العصر العثماني، والربع الأول من القرن العشرين كان يحکم من قبل إمارة آل رشيد، وقد تعرضت الكثير من البرك والمنازل إلى الخراب في هذه الفترة على يد الوهابيين، ولم يبق منها الابرکة لأنها كانت مشيدة من الحجر، وقد وصفها ((الجمن)) في مذكراته قائلاً: ((إن

(١) كاظم موسى: تاريخ الاستكشافات الجغرافية ص ١٢٢، ص ١٢٤.

(٢) ابن جبير: الرحالة ص ١٦٤.

(٣) ن. م ص ١٦٦.

(٤) كاظم موسى: تاريخ الاستكشافات الجغرافية ص ١٢٥ - ص ١٢٦.

مساحتها تسعون قدماً وعمقها عشرون قدماً، وينزل إليها بواسطة سلم فيصل إلى العقر لسقي الدواب^(١).

وكان للحجاج في العهد العثماني أمير من أهالي مدينة النجف الأشرف، حيث تولى الإمارة فترة من الوقت الشيخ عبد الواحد الكعبي (ت ١١٥٠ هـ) أو أحد أمراء آل رشيد، أو أمراء حائل، وكان آخرهم ابن سبهان^(٢). ويقول الشيخ جعفر محبوبة: انه في زمن إمارة آل رشيد على جبل طيء، تأتي راية خاصة مع قافلة كبيرة في أكثر من سنة آلاف بعير مع زعيم خاص من يعتمد عليه زعماء آل رشيد لنقل المجتمعين في الحسف^(٣). ولكن على الرغم من هذه الحماية، كان الوهابيون يعرضون القوافل للخطر، وحينما أصبح الطريق غير مأمون المسالك، جعل بعض علماء النجف يصدرون الفتاوي عام ١٩٠٢هـ / ١٣٢٠ م بتحريم السفر فيه^(٤). ويقول الأستاذ الخاقاني: حرم الإمام الشيخ الشرييني على الحجاج العراقيين وغيرهم سلوك الطريق البري بين النجف وحائل بسبب تكرار الاعتداء من البدو على الحجاج، فانقطع الطريق، وامتنع الحجاج مدة ثلاثة سنين، وبعد أن تعهد أمير حائل ابن رشيد للحكومة العثمانية بالمحافظة إلى أرواح الحجاج وأموالهم، وعند ذلك وافق الإمام الشيخ محمد الشرييني وأفتى بإباحة الطريق، فاستؤنف السير فيه^(٥).

وكان لطريق الحاج البري أهمية كبيرة من الجانبيين الديني والاقتصادي لمدينة الكوفة في العصور الإسلامية، ولمدينة النجف الحديثة فقد اكتسبها هذا الطريق نشاطاً اقتصادياً ملحوظاً مما جعلها ميناءاً برياً، وواسطة بين العراق ونجد^(٦).

(١) لجمن: مذكراته، مجلة المورد، المجلد الثالث، العدد الرابع لسنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م.

(٢) الشرقي: الأحلام ص ٦٩.

(٣) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٤٠٥/١.

(٤) عبد الرحيم محمد علي: الرهيمة ص ٥١.

(٥) الخاقاني: مقدمة كتاب ((مشاهدات ومعلومات)) للسيد محمد علي كمال الدين ص ٣.

(٦) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٤٠٥/١.

ويقول الدكتور إبراهيم شريف: ((إذا راعينا من جهة أن النجف كانت أيضا مركزاً رئيسياً للمواصلات مع داخل الجزيرة العربية منذ أوائل القرن التاسع الميلادي على الأقل فإنه يستنتج إن موقعها مزايا خاصة تؤهلها لذلك))^(١). وهذا قد ساعد على توسيع تجاراتها مع حائل بصورة خاصة. وأخذت قوافل البدو تأتي إلى مدينة النجف من وقت لآخر تمتاز منها. وذلك عن طريق الحج البري، وبسبب هذه العلاقة التجارية الوثيقة نزحت بعض الأسر النجفية إلى مدينة حائل. وأنشأت لها محال تجارية فيها. وشغلت في المدينة منطقة سميت بمحلة المشاهدة نسبة لأهالي مدينة النجف^(٢). كما إن مدينة حائل كانت طريقاً إلى مدينة النجف^(٣). وهذا يعني إن جسراً برياً كان يربط النجف بحائل عبر البادية أو الطريق المؤدي إلى الديار المقدسة.

(١) إبراهيم شريف: الموقع الجغرافي للعراق ١٩٤/١.

(٢) الحبوبي: ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي ص ٢٦.

(٣) الريحاناني: الأعمال العربية الكاملة ٥/٢٨٢.

ملامح خططية في مرويات الطبرى عن مدينة الكوفة

خططت مدينة الكوفة عام ١٧هـ، بعد فراغ المسلمين من موقعة القادسية التي أنهت الوجود الفارسي من وسط وجنوب العراق عام ١٥هـ، وكان لابد أن يستقر الجندي في منطقة قرية من ميادين المعركة، فوق الاختيار على موضع الكوفة، المشرف على الصحراء من جانب، وعلى الفرات من جانب آخر، وقد تناول المؤرخ أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) في كتابه ((تاریخ الرسل والملوک)) خطة مدينة الكوفة، فضلاً لأحداثها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فقال: إن منطقة الكوفة هي ((دار جهاد وهجرة)), وقد اعتاد العرب المسلمون عند تخطيط المدن، أن يبدئوا بموضع ((المسجد الجامع)) ومن ثم ((دار الإمارة)) وبيت المال والمؤسسات الخططية الأخرى من أسواق ودورب وسُكُوك ومساجد ومقابر وغيرها، وقد تولى مهمة التخطيط أبو الهياج بن مالك فيقول الطبرى: ((أول شيء خط بالكوفة، وبني حين عزموا على البناء المسجد، ثم قام رجل في وسطه رام شديد النزع فرمى عن يمينه فأمر من شاء أن يبني وراء موقع ذلك السهم، ورمى من بين يديه، ومن خلفه، وأمر من شاء إن يبني وراء موقع السهمين، فترك المسجد في مربعة علوه من كل جوانبه وبنى مظلة في مقدمه ليست لها مجنبات ولا مؤخرة والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا، كذلك كانت المساجد مداخل المسجد الحرام، فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيمًا لحرمتها، وكانت ظلتة مائتي ذراع على أساسين رخام)). وتدل عباره الطبرى ((ليست لها مجنبات)) إن المسجد في بدء تخطيشه لم يكن مبنياً من الأجر، وإنما من القصب، حيث ان الجالس فيه يرى ((دير هند)) الواقع على الخندق. وكان مسجد الكوفة ملتقى المسلمين سواء على صعيد الحلقات العلمية، أو الأغراض العسكرية، أو المشاكل الاجتماعية، أما ((دار الإمارة)) فهو يلاصق المسجد الكبير، فيقول الطبرى: ((وبني سعد بن أبي وقاص قصر الإمارة بجبل محراب مسجد الكوفة، وجعل فيه بيت المال، وقد اخذه مسكنًا، وكتب إلى عمر بن الخطاب بذلك،

وتلقى من عمر رسالة يطلب منه إن يكون القصر في قبلة. المسجد الجامع، وتشير بقایا القصر في الوقت الحاضر إلى حقيقة هذا الموضع، فإنه يقع في الزاوية الجنوبيّة الغربية من مسجد الكوفة، وأمامها رحبة واسعة يطل عليها البيت الذي كان يسكنه الإمام على عليه السلام عند اتخاذ الكوفة عاصمة للمسلمين عام ٣٦ هـ، بعد أن رفض السكن في قصر الإمارة، وقد وقف المستشرق الفرنسي ((لويس ماسنيون)) على آثار مدينة الكوفة وما بقي من خططها، ودونها في كتابه ((خطط الكوفة)) مستعيناً بمرجعيات المؤرخ الطبرى، وغيره من المؤرخين. وكانت ((المناهج)) وهي الفوائل بين صفوف الخيام، تشكل جانباً من خطط مدينة الكوفة، فقد طلب سعد بن أبي وقاص أن يكون المنهج الواحد في أربعين ذراعاً، وما بين منهجه وآخر أكثر من عشرين ذراعاً، أما السكك فتكون في سبعة أذرع، وقد وزعت القبائل العربية على المناهج والسكك، وخصص لقبائل اليمن، الجانب الشرقي من مدينة الكوفة، فيقول الطبرى: انه يقع بين الفرات والمسجد، وكان اختيار أهل اليمن بسكنى الجانب الشرقي يعود لكثره عددهم، وحدد الطبرى خمسة مناهج في شمال مسجد الكوفة، وأربعة في جنوبه، وثلاثة في شرقه، وثلاثة في غربه، وقد وضع كل قبيلة في منهج محدد، فذكر كلاً من: (سليم، ثقيف، همدان، بجبلة، تميم، محارب، عامر، جديلة، جهينة، اللفيف، الأنصار)^(١)، وكان المؤرخ الطبرى دقيقاً في توزيع القبائل العربية على المناهج فيقول: إن المحاربين والقادة حين عودتهم من العمليات العسكرية ومن مناطق الشغور فان لهم منازل محددة وراء المسجد. وكانت السلطة الإدارية قد خولت النسابين من أمثال سعيد بن نمران، ومثلبة بن نعيم بتعديل المناهج عند الضرورة، والاستعانة بذوي الرأي والمشورة، وقد أصبحت بعد ذلك أسباعاً، وقد حدد الطبرى هذه الأسباع وتوزيع القبائل العربية عليها، وبقي هذا التخطيط قائماً بين عامي ١٧-٣٦ هـ، ولكن عند دخول الإمام على عليه السلام مدينة الكوفة، واتخاذها عاصمة للدولة الإسلامية، أجرى تغييراً

(١) الطبرى: التاريخ ٤٥/٣.

على خطط المدينة، وربما يعود الأمر لأسباب عسكرية كما يوضح ((عقد الرايات)) إذ أصبحت كل راية لقبيلتين أو أكثر، وقد أشار الطبرى إلى أسماء القادة الذين حملوا الرايات. وعند تأسيس الدولة الأموية عام ٤١هـ، تحولت الأسباب إلى أربع، وقد أشار المؤرخ الطبرى إلى بعض جبانات مدينة الكوفة منها: (كندة وربيعة) أما جبنة الكبرى التي تسمى الثوية، فإنها تقع في ظاهر الكوفة بعد اجتياز خندقها^(١)، ويذكرنا القول: إن الخطط التي حددها الطبرى فإنها تعطي أهمية للدارسين في تحديد الموضع الجغرافية التاريخية والتي تزامن مع العمق الزمني لمدينة الكوفة.

(١) حسن الحكيم: الثوية موقعها وتاريخها، مجلة كلية الفقه، العدد الثاني لسنة ١٩٨٣-١٩٨٤م.

خطط الكوفة في شعر المتنبي

لا أريد هنا دراسة المتنبي وشعره، فهو أشهر من أن يعرف، وهو مفخرة الأدب العربي، وأشهر شعراء العرب، حتى لقب بالشاعر الحكيم، وبه ختم عهد الشعر العربي العالي^(١)، وإنما جاء هذا البحث مكرساً خطط الكوفة من خلال شعره، لأن المتنبي ابن الكوفة وربها، فهو ولد فيها عام ٩١٥هـ/٣٠٣ م في محلة كندة، ونسب إليها فقيل عنه الكندي الكوفي، وقد عرفت مدينة الكوفة هذا الشاعر العربي الكبير، فقد كان أبوه يبيع الماء فيها، كما ورد في المصادر والمراجع، وقد اختلف الناس في موقع هذه المهنة الاجتماعية وهم بين متحدث بها، وهو يريد أن يرفع من شأن المتنبي الذي انحدر من إنسان حقير، وأنه بعد ذلك قد ملأ الدنيا وشغل الناس، وكان هو يبيع ماء وجهه على المندوحين، فقد هجاه أحد الشعراء بقوله^(٢):

أي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا
عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء وحينماً يبيع ماء المحيانا
وكان ثقافة المتنبي قد تبلورت في مدينة الكوفة، ومدارسها الفكرية، وان
كان غير دائم الاستقرار فيها، فقد كان يغادرها حيناً، ويقصدها حيناً، لأسباب
بعضها سياسية أو ثقافية أو اجتماعية، ولكن هذا التجوال لم يمنعه من أن يسجل
جوانب من الكوفة ويوضح مكانتها الإدارية باعتبارها من المدن الإسلامية المهمة
التي مصرت في التاريخ العربي الإسلامي، فأشار إلى كونها أحد العراقين، وهذا
اللفظ أطلق على الكوفة والبصرة^(٣)، فهو في مخاطبته لأبي الفوارس عام ٣٥٣هـ
يقول^(٤):

(١) فيليب حتى: تاريخ العرب ٢/٥٥١.

(٢) طه حسين: مع المتنبي ٣/٢٠.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/٩٣.

(٤) البرقوقي: شرح ديوان المتنبي ٤/٩.

فلا عدلت أرض العراقين فتنة دعتك إليها كاشف الخوف والمحل
وأشار إلى الكوفة بلفظ ((كوفان)) في مخاطبته لسيف الدولة الحمداني عام
٣٤٥هـ بقوله^(١):

ابن المفتر في نجد فوارسه بسيفه وله كوفان والحرم
وكان المتنبي قد أشار في شعره لبعض سمات منطقة ((ظهر الكوفة))
والمراد منها ما ارتفع من أرض الكوفة، فان الإنسان القاصد مدينة النجف
الاشرف يشعر بالصعود أو الارتفاع التدرجي، فقد ورد في مصادر اللغة: أن
الظهر ما غلط من الأرض وارتفع، وانه طريق البر^(٢)، وقد حدد المؤرخ الطبرى
(ت ٣١٠هـ) في تاريخه منطقة ظهر الكوفة بأنها تقع من وراء خندقها^(٣)، وقد
اشتهرت هذه المنطقة بالشقائق، وهو ورد مختلف الألوان ينبت في فصل الربيع وقد
رأه النعمان بن المنذر - ملك الحيرة - فأعجبه منظره وطلب حمايته، فسميت تلك
الورود - شقائق النعمان - ويقول الشاعري خرج النعمان يوماً إلى منطقة الظهر
متنزهاً، وقد أخذت الأرض زخرفها وازينت بالشقائق فاستحسنها وقال احموها
فحimitت باسمه^(٤)، وهو في المعنى ((جمع شقيقة وهو زهر أحمر مبقع بنقط سوداء
كبيرة، إلا إن الزهر الواحد منها ارق من الآخر^(٥)، وقد أشار المتنبي إلى هذه
الشقائق الجميلة بقوله^(٦):

ولا ترد الغدران إلا ومؤها من الدم كالريحان تحت الشقائق

وفي مدحه للحسين بن إسحاق التنوخي يقول:

وقد صارت الأجنان قرحي من البكا وصار بهاراً في الخدود الشقائق

(١) ن. م ١٤٢/٤.

(٢) ابن منظور: لسان العرب ٤/٥٢٣، الزيدى: تاج العروس ٣/٣٧١.

(٣) الطبرى: التاريخ ٩/٢٦٨.

(٤) الشاعري: ثمار القلوب ص ١٤٤.

(٥) البستانى: البستان ١/١٢٤٧.

(٦) البرقوقي: شرح ديوان المتنبي ٣/٧١، ٧٢.

وقد احتوت منطقة ظهر الكوفة على الحصى والدرر الجميلة، وكانت تحمل إلى النساء الحسان، يثقبنها لخانقهن لحسنه ونفاسته، وقد قيل: إن حصباء هذه المنطقة تنبت عن الدر والياقوت وقد أشار إليها المتنبي بقوله^(١):

بلاد إذا زار الحسان بغیرها حصى تربها ثقبنها للمخانق
وقد أطلق على هذه الحصباء في بعض العصور اسم ((در النجف)) فيقول الدكتور عبد العزيز الدوري: وبلور النجف كان يصنع منه الخواتم وبعض أنواع القناديل، وبعض أدوات الزينة ولصلة هذا البلور بالنجف فقد اشتهر بـ ((در النجف))^(٢).

وتعد منطقة ((الثوية)) من خطط مدينة الكوفة التي تقع في ظهرها أو في ظاهرها، وهي منطقة جغرافية واسعة تمتد إلى مدينة الحيرة^(٣)، وقد ذكرها المتنبي بقوله^(٤):

ولسلاً توَسَّدَنَا الثُّوَيْةُ تَحْتَهُ كَانَ ثَرَاهَا عَنْبَرُ فِي الْمَرَافِقِ
والمتنبي في هذا البيت يتذكر المكان الذي اتخذه وسائل ونام عليه فكان ترابه عنبر لطيف، وكان يشتق إلى هذه المنطقة، وحتى إذا كان بعيداً عنها فيقول:
وكم دون الثوية من حزين يَقُولُ لَهُ قَدُومِي ذَا بِذَاكَا
وأراد المتنبي بهذا البيت أنه كم دونها من إنسان حزين لفراقي فإذا قدمت فرح لقدومي فيقول له القدوم هذا السرور بذلك الغم الذي كنت لقيته بالبعد.
وأشار المتنبي إلى موضعه (العذيب وبارق) فأنهما يقعان في ظاهر الكوفة فيقول البكري: إن بارق قريب من الكوفة، فهو الحد بين القادسية والبصرة وأما العذيب فهو بالقرب من بارق^(٥)، وقد أشار ابن جبير إلى هذا الموضع في

(١) ن. م ٨٢/٣.

(٢) الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي ص ١٠.

(٣) لدى بحث منشور تحت عنوان ((الثوية موقعها وتاريخها)).

(٤) العكري: شرح ديوان المتنبي ١٥٣/٢.

(٥) البكري: معجم ما استعجم: ٢٢١/١.

رحلته^(١)، ويقول ياقوت الحموي: إن العذيب ماء بين القادسية والمغيرة، وهو من منازل حاج الكوفة، وقال أبو عبد الله السكوني: إن العذيب يخرج من قادسية الكوفة^(٢)، فيقول أبو الطيب المتنبي^(٣):

تذكرة ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا وجرى السوایق
وصحة قوم يذبحون قنيصهم بفضلة ما قد كسروا في المفارق
وقد أراد المتنبي أن يقول: تذكرة نزولنا بين هذين الموضعين، حين كنا نجرب ما حاننا عند مطاردة الفرسان وتسابق على الخيل، وهذا يعني انه تذكر أرضه التي ولد فيها ونشأ، وتذكر بعض الشجاعان الذين لا يكسرن سيفهم إلا في جماجم الأبطال، وكان من الايد وسدة السواعد، وإجاده الضرب بحيث يذبحون ما يصيدون بفضول ما بقي من سيفهم التي كسرت في رؤوس الأعداء^(٤).

وفيقرب من مدينة الكوفة تقع الرحيمة واعكش وهما من عيون الطف ومن ضياعها المعروفة^(٥)، وفيهما يقول المتنبي:

فيالك ليلاً على اعكش احـمـ الـبـلـادـ خـفـيـ الصـوـىـ
ورـدـنـاـ الرـهـيمـةـ فـيـ جـوـزـهـ وـبـاقـيـهـ أـكـثـرـ مـاـ مـضـىـ
وقد أراد المتنبي أن يقول: انه وردنا هذا المكان وما بقي من الليل أكثر مما مضى، وكان يتعجب من شدة ظلام الليل فيه، حتى اسودت البلاد وخفيت أعلام الطريق.

ولم ينس المتنبي منطقة ((البسطة)) وهي أرض تقع بين أرض الكوفة وحزن بنى يربوع^(٦)، وقد امتازت هذه المنطقة بالعشب، فترعاها الإبل والبقر الوحشية، وقد وصفها المتنبي بقوله^(٧):

(١) ابن جبير: الرحلة ص ١٦٧.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٩٢/٤.

(٣) المتنبي: الديوان ٦٠/٣.

(٤) البرقوقي: شرح ديوان المتنبي ٦٠/٣.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٩٦، ياقوت الحموي: معجم البلدان ١٠٩/٣.

وجابت بسيطة جوب الرداء بين النعام وبين المها
وقد أراد المتبنّي أن يقول إن هذه المنطقة كانت تجوبها النوق بين النعام والمها،
وهي البقر الوحشية لأنها خالية من الناس، وعند عودة المتبنّي من مصر إلى
الكوفة. قد مر بمنطقة البسيطة فانشد قائلاً:

ببسطه مهلاً سقيت القطارا
فظنوا النعام عليك التخييل
فأمسك صحيبي بأكوارهم وقد قصد الضحك فيهم وجارا
وقد أشار المتنبي في هذه الأبيات إلى أصحابه الذين قد امسكوا برجالهم،
لأنهم لم يملكون أنفسهم من الضحك وقد ذهب الضحك فيهم كل مذهب، فمنهم
من اقصد، ومنهم من أفرط فيه، ويبدو إن أجواء البساطة كانت مساعدة على
الافتتاح والاشراح حيث يواجه الإنسان الصحراء المتراصة، وما تنبت من أعشاب
وما ترعي فيها من حيوانات.

وأورد المتنبي في شعره بعض محال مدينة الكوفة المعروفة بأحداثها التاريخية
فيقول^(٣):

(١) ياقوت: معجم البلدان ٤٢٤/١

٢) البرقوقي: شرح ديوان المتنبي ١٦٣/١

^{٣)} العكّري: شرح ديوان المتبّي ٢٥٧/٢.

مساجد الكوفة ومكانتها العبادية والعلمية

عند تخطيط المدينة عام ١٧هـ، وضع المسجد الكبير في وسطها، وأصبح محورها ومركزها، ولما تزامن تخطيط الكوفة مع العمليات العسكرية لفتح العراق، فأصبح مسجدها الكبير قاعدة عسكرية ومقرًا للمجاهدين من العراق والجهاز واليمن، وتشير بعض الروايات المأثورة إنًّا لموضع المسجدخلفية تاريخية، سحقيقة في القدم، كموضع صلاة إبراهيم الخليل عليه السلام، ومقام جبرائيل، وموضع سفينة نوح وغيرها من المقامات، وذكر الإمام الصادق عليه السلام فضيلة مسجد الكوفة بقوله: ((والذي نفسني بيده لو يعلم الناس من فضله ما اعلم لازدحموا عليه)) وقد وضع المسجد من حيث أهميته التاريخية، ومكانته العبادية في المكانة التي أعطيت للمسجد الحرام، والمسجد النبوى، والمسجد الأقصى. وقد شيد مسجد الكوفة على أرض مربعة الشكل، بانحراف قليل عن زاوية القبلة، وقد شيده سعد بن أبي وقاص، ووسعه المغيرة بن شعبة، ومن بعده زياد بن أبيه، وقام بإصلاحه الحاجاج بن يوسف الثقفي وخالد بن عبد الله القسري، وكانت للمسجد أربعة أبواب هي:

- ١- باب السدة.
- ٢- باب كندة.
- ٣- باب الأعماط.
- ٤- باب الفيل أو الثعبان.

وعند اتخاذ الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية، أصبح المسجد مركزاً للدولة، وفيه بُويع الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة، بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه صلى المختار بن أبي عبيد الثقفي ومصعب بن الزبير وشبيب الخارجي، وفي عام ١٣٢هـ، خطب فيه السفاح خطبته الأولى، وأعاد الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية، وقد أصبح مسجد الكوفة مدرسة للقرآن والفقه، إذ يجلس فيه القراء لتعليم الناس، وكان الشيخ عبد الرحمن السلمي (

شيخ القراء في الكوفة) يتحقق حوله طلاب العلم، والمقرئ حمزة بن حبيب الزيات، والمقرئ علي بن حمزة الكسائي، وأصبحت الكوفة مستقر الفقهاء والمفسرين من الصحابة والتابعين، ففي العصر الراشدي بُرِزَ أعلام الفكر والفقه والحديث والتفسير، يعلمون الناس الأحكام ويرشدونهم إلى عقائد الإسلام،
وهم:

- ١- الإمام علي عليه السلام.
- ٢- عبد الله بن مسعود.
- ٣- عمار بن ياسر.
- ٤- خباب بن الارت.
- ٥- حذيفة بن اليمان.
- ٦- سهل بن حنيف.

وفي التاريخ الأموي بُرِزَ الفقيهان: عامر بن شراحيل الشعبي وسعید بن جبیر، وفي التاريخ العباسي، كان الإمام الصادق عليه السلام رائداً للمدرسة الكوفية، وعليه تلّمذ الإمام أبو حنیفة النعمان بن ثابت، وكان يقول: ((لولا السستان لملك النعمان))، وشهد مسجد الكوفة حاضرات أعلام النحو الكوفي وهم:

- ١- علي بن حمزة الكسائي.
- ٢- أبو الأسود الدؤلي.
- ٣- يحيى بن زياد الفراء.
- ٤- يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكين.

وإلى نحوى الكوفة الفراء أشار ثعلب بقوله: ((لولا الفراء لسقطت العربية)) ويأتي مسجد السهلة من حيث أهميته التاريخية والدينية بعد مسجد الكوفة وكان يسمى (مسجد القرى) وقد أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: ((في الكوفة أربع بقاع قدس)) فقيل يا أمير المؤمنين سُمِّها فقال:

- ١- مسجد السهلة.
- ٢- مسجد جعفرى.

٣- مسجد غني.

٤- مسجد الحمراء.

وفي نص آخر يقول: ((خن نسمى مسجد السهلة باسم مسجد القرى)) وكان يدعى أيضاً مسجد بني ظفر، وفيه أحاديث كثيرة تؤكّد فضيلته منها: ((ما أتاه مكروب إلا وفرج الله كربته)) ورويت أحاديث عن الإمامين علي بن الحسين (زين العابدين) وجعفر الصادق عليهما السلام، تؤيد فضيلة مسجد السهلة وذكرت بعض الروايات انه موضع نبي الله إدريس، ومنه سار إبراهيم الخليل، ومناخ الخضر، وتشير بعض روايات الإمامية انه منزل الإمام المهدى عليه السلام، وقد شجعت هذه الروايات على اعتكاف الناس فيه، والصلاحة في مقاماته، وتنسب للأئمّة والأئمّة عليهما السلام مقامات في مسجد السهلة وهي: مقام إبراهيم الخليل، والخضر، وصالح، وإدريس، وعيسي، والإمام زين العابدين، والإمام الصادق، والإمام المهدى عليه السلام. ومن الثابت إن المتأمرين والمنافقين في الكوفة لم يتخذوا من مسجد السهلة مكاناً للاجتماع، ولم يعقد فيه مجلس فرح بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

ويقع مسجد صعصعة بن صوحان (صاحب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) بالقرب من مسجد السهلة، وتستحب الصلاة فيه، لأنّه مسجد مبارك وقد صلّى فيه الإمام عليه السلام. أما مسجد زيد بن صوحان (صاحب الإمام عليه السلام) ومن أنصاره العقاديين فقد صلّى فيه الخضر بعد خروجه من مسجد السهلة. ويجب على الباحث استقصاء النصوص الواردة في هذه المساجد، للوقوف على حقائقها. وكان مسجد جعفى يقع في خطة قبيلة مذحج، وهو مسجد مبارك صلّى فيه أمير المؤمنين عليه السلام، ويقع مسجد مبارك في الجنوب الغربي من مسجد الكوفة، وكان يصلّى فيه الشيعة الموالين لآل البيت عليهما السلام، ويقع مسجد غني في خطة قيس، شمال شرق مسجد الكوفة، وهو من المساجد المباركة التي صلّى فيه الإمام زين العابدين عليه السلام، وفي الكوفة مساجد أعدت للتآمر والدسائس فيجتمع فيها المنافقون ومنها:

مسجد الاشعث بن قيس الكندي الذي يقع بين مسجد الكوفة والسهلة، ومسجد الجواشن ومسجد جرير بن عبد الله البجلي و الذي اجتمع فيه المبغضون لآل البيت عليهما السلام، مبتهجين باستشهاد الإمام الحسين عليهما السلام، وان مسجد ثقيف فانه يقع في خطة ثقيف في الثوية وعنده دفن المغيرة بن شعبة.

ويسمى مسجد الحمراء بمسجد النبي يونس بن متى أو مقام النبي يونس، وقد سكنته الحمراء من القبائل. وقد شاركت الحمراء في حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي وحركة عبد الرحمن بن الأشعث، وقد أرخ العلامة السيد جعفر الخلي بناء مسجد الحمراء عام ١٣١٢هـ، على نفقه المحسن اخندة علي بقوله:

الحمد لله الذي من فضله أحى جمیل مآثر القدماء
ما جددت آثار مسجد (يونس) بأجل تأسيس وخير بناء
يا طالب الأعمال قد أرخته (اعمل فهذا مسجد الحمراء)

وقد تعرض مسجد الحمراء أو مسجد النبي يونس إلى الهدم في تاريخنا المعاصر وما زال حتى يومنا هذا.

ويعد مسجد الكوفة أول مؤسسة علمية في تاريخ الكوفة فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يشكلون نواة المدرسة الكوفية منذ عام ١٧هـ، فقد هبط على أرضها ثلاثمائة من أصحاب الشجرة وبسبعين من المشاركي في معركة بدر الكبرى وقد وردت أول إشارة علمية لمركز الكوفة الإداري والعلمي في رسالة عمر بن الخطاب عند توليته للصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه واليًا على الكوفة بقوله: ((إنني بعثت إليكم بعد الله بن مسعود معلمًا وزيراً وأثرتم به على نفسي فخذلوا عنه)) وتشعرنا كلمة (معلم) إلى مكانة ابن مسعود العلمية في الإسلام حيث كان فقيها ومفسراً كبيراً وصاحب حلقة في مسجد المدينة يلتف حوله عدد من الصحابة يسألونه في التفسير والفقه والتشريع وأخذت الحركة العلمية في الكوفة بالتوسيع بعد عام ٣٦هـ، منذ أن اتخذها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام عاصمة للدولة الإسلامية فقد ألقى في مسجدها الكبير علومه

ومعارفه في كافة مجالات الحياة ومكانا للقضاء حل مشاكل المسلمين وقد ألقى
عليه السلام كثيراً من خطبه البلاغية التي ضمها كتابه الخالد (نهج البلاغة) في مسجد
الكوفة وتعد هذه الخطب من روائع الأدب العربي فقد وهبه الله تعالى طلاقة
اللسان وقوة البيان فكان إذا اعتلى المنبر اشرأبت له الأعناق واندمجت به النفوس
وقد اجمع المتخصصون في علوم اللغة والبيان والبديع بان الإمام علي عليه السلام هو
أمير الفصاحة والبيان لا شبهة في ذلك ولا التباس، فكانت تطاوئه الألفاظ الشاردة
وتقاد إليه المعاني المستعصية فيلبسها من جميل نسجه وبديع وشيء أبوابا محيرة
ويخرجها من نسق عجيب بعد كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله الكريم عليه
أفضل الصلاة والسلام شرفا ومنزلة وكان حديثه المأثور وكلمته الخالدة (قيمة كل
أمرى ما يحسن) موضع استشهاد المفكرين والمؤرخين والباحثين، وهذه خصيصة
انفرد بها الإمام علي عليه السلام فان كلماته وخطبه كلها من ماء واحد، ومنبع صافي،
وقد أصبحت من معجزات اللسان العربي وبدائع العقل البشري فقد أرسى عليه السلام
قواعد العلم في الكوفة في عصره وبعده وكان العلماء يتلقون في مساجدها
يتذكرون في الفقه والتفسير واللغة والأدب وغيرها. وقد أتى أهل الكوفة
الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنه يسألونه في الفقه والتفسير فأجابهم
بقوله: (تسألوني وفيكم ابن أم دهماء) وهذه الكلمة إلى الفقيه الكبير سعيد بن
جيير. وفي مجال اللغة قد سطح نجم الفراء في سماء الكوفة وقد قال فيه ثعلب:
(لولا الفراء لقطعت العربية) وفي مجال الشعر فقد أنجبت الكوفة فحول الشعراء
والأدباء ويكتفيها فخراً شاعر العرب الأكبر أبي الطيب المتنبي، وكان الشاعران
الكميت بن زيد وحماد الرواية قد التقى في مسجد الكوفة وهما يتذكران أشعار
العرب وأيامها فاختلغا مرة فقال الكميت ل Hammond: أتظن انك اعلم مني بأيام العرب
وأشعارها ؟ فقال حماد: هذا هو اليقين، فغضب الكميت وما زال ينقاشه ويأسله
حتى أفحمه، وعند تأسيس مدينة بغداد عام ١٤٥هـ، ساهم كثير من علماء الكوفة
في الحركة العلمية في مدينة بغداد وكان بعضهم من مؤدي أبناء الخلفاء العباسيين

كالمفضل الضبي والكسائي والفراء وابن السكين وغيرهم وفي هذه الفترة كان الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقوم بدور بارز في تطور مدرسة الكوفة فقد استقطبت كثيراً من أعلام الأمصار الإسلامية، وعليه تلمذ الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ومالك بن انس رحمه الله تعالى عنهما فقد قال أبو حنيفة: (ما رأيت افقة من جعفر بن محمد) ويقول مالك بن انس: (جعفر بن محمد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على أحد ثلاثة خصال: أما مصل وأما صائم وأما يقرأ القرآن وما رأيت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علمًا وعبادة وورعاً وكانت ملامح التعليم العالي قد بدأت من مسجد الكوفة كما أشار إلى ذلك الفقيه الحسن الوشاء بقوله: (أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد) وتشعرنا كلمة (شيخ) الواردة في هذا النص، بتطور كبير للحركة العلمية في الكوفة لأن حاملها لا يكون إلا من العلماء المتقدمين في السن في الغالب وقد تفرعت دراسات واسعة النطاق في التفسير والحديث والفقه واللغة والنحو وعلم الكلام والفلسفة من مسجد الكوفة عبر تاريخه وقد أشار الفقيه والحدث الدارقطني إلى المحدث أبي العباس بن عقدة بقوله: (اجمَعَ أهْلُ الْكُوفَةِ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ مِنْ زَمْنِ ابْنِ مُسْعُودٍ إِلَى زَمْنِ ابْنِ عَقْدَةِ أَحْفَظَ مِنْهُ). بصفته أحد أركان علم الحديث. وأشار المؤرخ ابن النديم إلى شخصية هشام بن الحكم الكندي بقوله: (كان حاذقاً بصناعة الكلام وحاضر الجواب). وإن هذه الأوصال نجد لها عند كثير من أعلام الكوفة وفي مجالات العلم والمعرفة.

الكوفة في كتاب (الرجال) للشيخ النجاشي

تعرض الشيخ النجاشي أبو العباس احمد بن علي، المتوفى عام ٤٥٠هـ، في كتابه ((الرجال)) إلى بعض الأعلام الكوفيين و مواقعهم العلمية والاجتماعية، و جانب من خطط الكوفة في عصره ولعل كتابه (الكوفة وما فيها من الآثار والفضائل)^(١). وقد ضم كثيراً من خطط الكوفة. وأعطى ما يناسب بعض الرجال من ألقاب علمية كقوله ((وجه أو من وجوه أصحابنا الكوفيين)) ويلحق بعض مصطلحات التعديل به أو تولية الوظائف الإدارية كقوله: ((كان قاضيا بالكوفة)) أو ((كان صاحب بيت المال)) أو من الكتاب ونحو ذلك^(٢)، وإذا كان صاحب الترجمة من بيت معروف في المجتمع الكوفي وأشار إليه كبيت آل نعيم الغامديين أو من بيت أبي سيرة، أو من بني ثميم أو بني هلال، ويكشف الشيخ النجاشي عن اسر الكوفة في القرون الهجرية الأولى ك قوله: آل بني الحر بيت بالكوفة أطباء، وان آل اليشكري بيت بالكوفة، وإذا كان بعض الكوفيين قد سكن مدينة بغداد أو غيرها من المدن الإسلامية، وساهم في الحركة العلمية وأشار إليه ك قوله: كوفي نشأ ببغداد^(٣)، أو أن أصله من الكوفة ونشأ ببغداد، ويوضح التلاحم العلمي بين البصرة والكوفة عند انتقال العلماء بين المدينتين، وإذا ابتعد العالم الكوفي عن العراق وسكن مصر أو الشام وأشار إليه، وكان بعض الكوفيين قد تنقل بين أكثر من مدينة أو قطر، فذكر إن أحدهم ولد في الكوفة ونشأ في واسط، وان تجارتة في بغداد، وكشف الشيخ النجاشي عن اثر الكوفيين في مدن المشرق الإسلامي، فنشر بعضهم حديث الكوفيين في مدينة قم أو أن احد الكوفيين قد أكثر السفر والتجارة

(١) الطهراني: الذريعة ٣/٢٨١، الحكيم: الشيخ النجاشي ص ١١٧، كحاله: معجم المؤلفين ٣١٧/١.

(٢) النجاشي: الرجال ص ١٢٨، ص ١٣٣، ص ٢٢٦، ص ٢٤٠.

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٦، ص ١٦٥، ص ٢٢٢.

إلى سجستان، وعند ترجمته لأحمد بن علي العلوى العقىقى قال: كان مقىماً في
مكة، وسمع أصحابنا الكوفيين.

وكانـت مدـيـنة الكـوـفة مـذ نـشـأـتـها عام ١٧هـ، مـقـصـد الـعـلـمـاء وـمـؤـمـل الـفـقـهـاءـ
فـقـد أـرـسـى قـوـاـعـد مـدـرـسـتـها الإـلـمـام عـلـي عـلـيـسـلـامـ، وـوـسـع آـفـاق عـلـومـهـا الإـلـمـام الصـادـقـ
عـلـيـسـلـامـ، فـيـقـولـ الحـسـنـ بـنـ عـلـيـ الـوـشـاءـ ((خـرـجـتـ إـلـىـ الـكـوـفةـ فـيـ طـلـبـ الـعـلـمـ)) وـكـانـ
قد جـاـورـ الـكـوـفةـ، وـمـنـ الـمـحـتمـلـ قـضـىـ بـقـيـةـ حـيـاتـهـ فـيـ النـجـفـ الـاـشـرـفـ، وـقـدـ التـقـىـ
الـشـيـخـ النـجـاشـيـ يـاـسـحـاقـ بـنـ الـحـسـنـ الـعـقـابـيـ وـقـالـ ((رـأـيـتـهـ بـالـكـوـفةـ وـهـوـ
مـجاـورـ))؛ وـكـانـ بـعـضـ أـعـلـامـ ((رـجـالـ النـجـاشـيـ)) قد اـخـتـارـواـ الـمـجاـوـرـةـ بـالـكـوـفةـ لـقـدـ
سـيـتـهـاـ وـمـاـ يـضـمـ ظـهـرـ الـكـوـفةـ مـنـ أـجـسـادـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـصـالـحـينـ، وـهـمـ يـعـطـونـ مـؤـشـراـ
عـلـىـ حـجـمـ الـحـرـكـةـ الـعـلـمـيـ فـيـ الـكـوـفةـ وـالـنـجـفـ فـيـ الـقـرـنـ الـرـابـعـ الـهـجـرـيـ وـمـنـ خـلـالـ
الـتـرـاجـمـ تـبـرـزـ بـعـضـ خـطـطـ الـكـوـفةـ فـيـ عـصـرـ الشـيـخـ النـجـاشـيـ، فـاـنـهـ قدـ أـشـارـ إـلـىـ
((اسـطـوـانـةـ إـبـراهـيمـ))^(١). فـيـ مـسـجـدـ الـكـوـفةـ، وـمـسـجـدـ جـعـفـرـ بـنـ بشـيرـ الـجـلـيـ حـيـثـ
قـالـ عـنـهـ النـجـاشـيـ ((بـاـقـ فـيـ بـجـيـلـةـ إـلـىـ الـيـوـمـ)) أـيـ إـلـىـ الـقـرـنـ الـخـامـسـ الـهـجـرـيـ، وـقـدـ
صـلـىـ فـيـ الشـيـخـ النـجـاشـيـ وـقـالـ: ((وـأـنـاـ وـكـثـيرـ مـنـ أـصـحـابـنـاـ إـذـاـ وـرـدـنـاـ الـكـوـفةـ نـصـليـ
فـيـ مـعـ المـسـاجـدـ الـتـيـ يـرـغـبـ فـيـ الصـلـاـةـ فـيـهـاـ))^(٢)، وـأـشـارـ إـلـىـ مـسـجـدـ دـارـ الـلـؤـلـؤـ فـيـ
الـكـوـفةـ وـقـالـ: أـنـ صـبـاحـ بـنـ صـبـحـ الـحـذاـ الفـزـارـيـ كـانـ إـمامـاـ فـيـ هـذـاـ مـسـجـدـ، وـعـنـدـ
تـرـجـمـتـهـ لـمـسـاعـهـ بـنـ مـهـرـانـ الـحـضـرمـيـ قـالـ: إـنـ لـهـ مـسـجـداـ بـالـكـوـفةـ يـقـعـ فـيـ مـحلـةـ
حـضـرمـوتـ، وـهـوـ مـسـجـدـ زـرـعـةـ بـنـ مـحـمـدـ الـحـضـرمـيـ، وـاـنـ عـبـدـ اللهـ بـنـ أـبـيـ يـعـفـورـ
الـعـبـدـيـ كـانـ قـارـئـاـ فـيـ مـسـجـدـ الـكـوـفةـ، وـمـنـ الـمـلـاـحـظـ أـنـهـ لـمـ تـكـنـ بـمـديـنـةـ الـكـوـفةـ فـيـ
الـقـرـنـيـنـ الـرـابـعـ وـالـخـامـسـ الـهـجـرـيـنـ مـدارـسـ، وـإـنـاـ كـانـتـ مـسـاجـدـ تـؤـدـيـ دورـهـاـ
الـتـعـلـيمـيـ، وـاـنـ دـورـ بـعـضـ الـأـعـلـامـ تـؤـدـيـ هـذـاـ الجـانـبـ الـعـلـمـيـ، فـكـانـ بـعـضـهـمـ يـنـزـلـ
فـيـ كـنـدـةـ أـوـ وـرـاءـ أـشـجـعـ أـوـ مـنـطـقـةـ عـرـزـمـ أـوـ فـيـ طـاقـاتـ عـرـيـنـةـ، وـأـشـارـ الشـيـخـ

(١) النـجـاشـيـ: الرـجـالـ صـ25ـ.

(٢) المـصـدرـ نـفـسـهـ صـ86ـ.

النجاشي إلى بعض خطط الكوفة من خلال ترجمته للرجال كخطة عايدة اليمن، وقال: ليس لعايدة قريش خطة في الكوفة^(١)، وأورد لفظ ((ظهر الكوفة)) من خلال ترجمته لربعي بن عبد الله الهذلي، وتقع هذه المنطقة في الكوفة، أي باتجاه مدينة النجف الاشرف الحاضرة. وحدد النجاشي مكان حنان بن سدير بن حكيم الصيرفي في سدة الجامع على بابه في موضع البازارين، وقال: إن موضع محمد بن علي الحلبي في طاق المحامل. ومن خطط الكوفة التي أشار إليها النجاشي منطقة جعفى، وأشار إلى المنطقة ((الواقعة في طريق الحاج الذي يربط الكوفة بمكة المكرمة.

وتعطي النصوص التي أوردها الشيخ النجاشي عن الكوفة أهمية تاريخية وجغرافية تمتد من تصويرها وحتى متتصف القرن الخامس الهجري.

(١) النجاشي: الرجال ص ١٦٦.

الحياة الاجتماعية والاقتصادية

دور القبائل اليمنية في مدينة الكوفة في الحياة السياسية

منذ بدايات الفتح الإسلامي للعراق، كان لليمنيين حضور كبير في العمليات العسكرية، بدءاً من معركة القادسية في سنة ١٥هـ، وبعد هذه الاسهامات العسكرية أصبحت للقبائل اليمنية في مدينة الكوفة خطط عرفت بأسمائها. ويقول المؤرخ الطبرى: إن أربعة آلاف مقاتل خرجوا من المدينة المنورة إلى العراق تحت قيادة سعد بن أبي وقاص، وكان بينهم ثلاثة آلاف يمني، وألف قيسى، أكثرهم من بني هلال، وفي منطقة (شراف) تجمعت القوات الإسلامية تحت لواء واحد، وقد ارتفع عدد اليمنيين المقاتلين في الجيش الإسلامي، كما يقول الطبرى^(١). وعند تخطيط مدينة الكوفة عام ١٧هـ، توزعت القبائل اليمنية على خطط الكوفة وهي: (كندة، مذحج، طيء، اشعر، نخم، جذام، الازد، خثعم، همدان، بجالة، حضرموت، قضاوة، خزاعة) ويقول المستشرق ماسنيون: ((إن مذحج وحمير وهمدان من القبائل المتحضرة حقاً من سكان المدن والقرى اليمنية، وقد صاروا سبباً لتحضير العنصر العربي في الكوفة))^(٢). وأننا لا نتفق مع هذا الرأي، لأن الحضارة في العراق قدية العهد، ضاربة في أعماق التاريخ، وقد حملها السومريون والاكديون والبابليون والآشوريون، وأضاف الحميريون حضارة أخرى اقتربت من العصر الإسلامي، وان اندماج اليمنيين بال العراقيين في مدينة الكوفة، أدى إلى تلاقي حضارتي العراق واليمن، ويقول ابن حزم: إن قبيلة تجيب، أحدي بطون كندة قد استقرت في الشام والعراق ومصر وشمال أفريقيا، وشاركت في الفتوح في المشرق والمغرب^(٣). وتعود أصول قبيلة كندة إلى بني كهلان اليمنيين، وان كهلان وحميرهما ابنا سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقد برع من قبيلة كندة حجر بن عدي (الصحابي الجليل)، والأشعث بن قيس

(١) الطبرى: التاريخ / ٣ - ٤٨٤.

(٢) ماسنيون: خطط الكوفة ص ٥٣.

(٣) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢ / ٤٣٠ - ٤٣١.

(المنافق المعروف)، كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام^(١). وقد أجمع المصادر على عقيدة حجر بن عدي الراسخة، ووجهاته المتواصلة للدفاع عن الإسلام، والبيت عليه السلام، وإلى عقيدة الأشعث بن قيس المتبذلة وانتقالاته من الجاهلية إلى الإسلام، ومن الإسلام إلى الردة، ومن الردة إلى الإسلام وكان موقفه، وموافق أسرته صفحات سود في التاريخ الإسلامي، وتاريخ قبيلته. وقد أشار ابن حجر إلى الصحابي الجليل حجر بن عدي الكندي بأنه من فضلاء الصحابة^(٢). وأنه أمير كندة في معركة صفين، وأمير الميسرة في يوم النهروان، ولكن على الرغم من فضيلته وجهاته لم يراع معاوية بن أبي سفيان جهوده وجهاته ومقامه في الإسلام، فأقدم على قتله عام ٥١هـ، في مرج عذراء بغوطة دمشق. وهدم زياد بن أبيه داره في مدينة الكوفة، في الوقت الذي كان الأشعث بن قيس الكندي قد احتل موقعه متقدماً في عهد حكام الجبور والجبروت، ولم ينظر لارتداده عن الإسلام، وعزوفه عن الدين، وخروجه عن أهداف إمام زمانه أمير المؤمنين عليه السلام، وبقي اليمنيون في الكوفة ومنهم الكنديون بين نقاضين في العقيدة والإيمان، فهناك من نذر نفسه لآل بيت النبوة عليه السلام، ومنهم من أعلن البغض والحقد للإسلام، وقد استغل زياد بن أبيه حالة التناقض هذه، فأقدم على القبض على حجر بن عدي، بإسناد من رجال مذحج وهمدان، في حين إن أسدأً وتماماً قد امتنعا عن إسناده خشية أن يقع شغب واختلاف وتفسد بينهم الحمية^(٣). وقد استشهد حجر بن عدي أمام السلطة الظالمة وتخاذل الكنديين وانقسامهم. ومن المحتمل أن الظرف السياسي العنيف، والأطماء المالية ساهمتا في هذا الانقسام العقائدي، ويدرك ابن قتيبة: إن لليمنيين دوراً في ميمنة جيش الإمام علي عليه السلام في معركة الجمل في البصرة^(٤). ولاشك إن

(١) محمد عبد: شرح نهج البلاغة ١/٥٦-٥٧.

(٢) ابن حجر: الإصابة ١/٣٢٩.

(٣) الطبرى: التاريخ ٥/٢٥٦، ٦/١٤٦، أبو الفرج: الأغاني ١٦/٥٠٤.

(٤) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ١/٩٣.

للكنديين الموالين لأمير المؤمنين عليه السلام دوراً بارزاً في المعركة، و موقفاً ثابتاً في أدوارها الخامسة. وأشار المؤرخ البلاذري: إلى اليمنيين في مدينة الكوفة والخطط التي نزلوا بها بقوله: ((أسهم لنزار وأهل اليمن بسهمين على أنه من خرج بسهمه أولاً فله الجانب إلا يسر، وهو خيرهما، فخرج سهم أهل اليمن، فصارت خططهم في الجانب الشرقي، وصارت خطط نزار في الجانب الغربي، وفي رواية عن الشعبي: إن عدد من سكن الكوفة عند تأسيسها عشرون ألفاً،اثنا عشر ألفاً من اليمن، وثمانية آلاف من نزار^(١)). وذكرت المصادر التاريخية مواقف القبائل العربية من الأحداث التي وقعت في عهد الخلافة الراشدة (١١-٤٠ هـ) فقد وقفت ربيعة إلى جانب الإمام علي عليه السلام في حربه، وقد أشار عليه السلام إلى ذلك بقوله: ((ربيعه اعني أئلهم أهل نجدة وبأس إذا لا قوا خمسياً عمراماً)) وقال أيضاً: ((يا معاشر ربيعة فانتم أنصاري ومجيئوا دعوتي، ومن أوثق حي في العرب في نفسي))^(٢). ولما أعلن المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة، طالباً بدم الحسين عليه السلام، وبأيته ربيعة وكندة وخثعم^(٣). أما قبيلة جعفى فهي أحدى فصائل مذحج، وكانت أصولها من وادي (فردان) في اليمن، وقد سكنت مدينة الكوفة مع القبائل اليمنية في محلة كندة، الواقعة في الجنوب الغربي من الكوفة، ويقول المستشرق ماسنيون: ((إن مذحج وبطونها كانت كلها شيعية))^(٤). وقد بنت مسجداً في خطتهم، وأدى فيه الإمام علي عليه السلام الصلاة لماته عند المؤمنين في الوقت الذي كانت في الكوفة مساجد قد أعدتها المتأمرون وال مجرمون مكاناً لتنفيذ جرائمهم. ويبدو إن لقبائل اليمن في الكوفة تأثراً على سير الأحداث وتقلباتها في العصرين الراشدي والأموي، ويحتلون مساحة عريضة من سكان الكوفة، ويقول الأستاذ الدكتور

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٧٦.

(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٢٨٩، المسعودي: مروج الذهب ٣/٥٧.

(٣) ابن اعثم الكوفي: الفتوح ٢/٢، البلاذري: أنساب الأشراف ٥/٢٦٠.

(٤) ماسنيون: خطط الكوفة ص ٥٣، ص ١٦٩.

حسين أمين: ((يبدو إن اغلب سكان الكوفة في بداية أمرها من عرب الجنوب من اليمن، ومعظمهم من قضاة وبجيلة وخشم وكندة والازد ومذحج وحمير وهمدان والنخع))^(١). وكان لبعض قبائل اليمن دور في صناعة المسوجات التي تخصص بها أهالي نجران، إذ نقلوا صناعة (الخلل النجرانية) إلى الكوفة وكانوا يدفعون منها ضريبة الخراج المفروضة عليهم^(٢). ويقول الأستاذ هشام جعيط: أن كلمة (مصر) هي مصطلح يماني، ولم يكن شائعاً للتعبير عن إنشاء مدينة الكوفة، خلافاً لكلمة (تخطيط) التي تعنى الاستيلاء على الأرض بعد تقسيمها، وذكر إن في مدينة الكوفة إحدى عشرة جبانة، كانت ست جبانات منها لأهل اليمن^(٣). ويمكنا القول: إن قبيلة همدان قد احتفظت بالولاء العلوى، والثبات على العقيدة الإسلامية، منذ السنة التاسعة للهجرة، عند دخول الإمام علي عليه السلام أرض اليمن فأعلن إسلامها وولاءها وفيها يقول الشاعر^(٤).

فلو كنت ببابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلني بسلام
وبقيت على الولاء لأهل البيت عليهما السلام، واستجابت لدعوة المختار الثقافي في ثورته على بني أمية والزبير، وقد أشار عبد الله بن همام السلوبي إلى القبائل التي ساندت المختار الثقافي بقوله^(٥):

وilyehi عن رؤد الشباب شموع	وفي ليلة (المختار) ما يذهل الفتى
كتائب من (همدان) بعد هزيع	دعا يا لشارات (الحسين) فأقبلت
يقود جموعاً عبئتاً بجموع	ومن (مذحج) جاء الرئيس بن مالك
بكل فتى ماضي الجنان منيع	ومن (أسد) وا في يزيد لنصره

(١) حسين أمين: الصحابة الكرام في الكوفة، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد (٢٨) لسنة ٢٠٠٠هـ / ٢٠٠٠م، ص ٤٢.

(٢) المختار: المسوجات العراقية ص ٥٣.

(٣) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية ص ٦٧، ص ٣١٠.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ٩٣ / ٣.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف ٢٣٤ / ٥.

وكانت قبيلة أسد التي أشار إليها الشاعر في أبياته قد التفت حول لواء الإمام علي عليه السلام في معركة الجمل، فضلاً عن قبيلتي طيء وبكر بن وائل^(١). في الوقت الذي اخذ التخاذل موقعه في أسرتي آل الأشعث والأشعري، وقد شخص الإمام علي عليه السلام بدقة موقف الأشعث بن قيس بقوله: (منافق بن كافر) ووصفه في رسالة أرسلها إليه بقوله: ((والله لقد أسرك الكفر مرة، والإسلام أخرى، فما ذاك من واحدة منهما مالك ولا حسبك، وإن امرئاً دل على قومه السيف وساق إليهم الحتف لحري أن يمقته الأقرب، ولا يأمنه الأبعد))^(٢). أما أبو موسى الأشعري فإنه كان يحرض الناس على عدم الالتحاق بجيش الإمام علي عليه السلام في البصرة، فكتب إليه قائلاً: ((إذا أقدم رسولي إليك فارفع ذيلك، واسدد مئرك، واجز من حجرك، واندب من معك))^(٣).

إن النصوص التاريخية التي أوردناها عن القبائل اليمنية في مدينة الكوفة قد لعبت دوراً في الحياة السياسية في العصورين الراشدي والأموي، وما صاحبها من تقلبات عقائدية وفكرية، كانت فيها القبائل اليمنية تتارجح بين موقفين متناقضين، ويقول الدكتور يوسف خليف: ((كان الكوفيون أول من أعلنوا أخلاصهم لعلي))^(٤). وقد زحف بهم الإمام علي عليه السلام إلى البصرة لقتال الخارجين عليه، ومن ثم إلى صفين لقتال المتمردين، وقد ابلوا بلاءً حسناً، ولكن هذه التضحية لا تلغي موقف بعض الكويفيين من التراجع في الموقف الحرج، والتي أعطت فسحة للعدو، وقد استثمرها كما هو الحال في موقعة صفين، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ خليف بقوله: ((إن علي بن أبي طالب كان يحب الكوفة، وينظر إلى الكويفيين على أنهم أنصاره وأعوانه وجنده الأمناء، فإنه قد ضاق بهم ذرعاً في أخيريات أيامه،

(١) الطبرى: التاريخ ١٨٦/٥.

(٢) محمد عبد: شرح نهج البلاغة ٥٦/١ - ٥٧.

(٣) المصدر نفسه ١٢١/٣.

(٤) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص ٥٢.

واخذ يشكتونهم ويصفهم بأنهم: اسود رواحة، وثعالب رواحة، وأنهم ناس مجتمعة أبدانهم، مختلفة أهواهم، وان من فاز بهم فاز بالسهم الاخير، وانه أصبح لا يطمع في نصرهم ولا يصدق قولهم^(١). وقد أفصح الإمام علي عليه السلام في مواضع عديدة من (نهج البلاغة) إلى هذه المواقف المرتبكة من الإيمان والعقيدة، وبين التخاذل والتراجع، فيقول: ((ما هي إلا الكوفة اقتصها وابسطتها، أن لم تكوني إلا أنت تهب أعاصيرك، فقبحك الله، وتمثل بقول الشاعر^(٢):

لعمرأيك الخير يا عمرو أنسني على وضر من ذا الإناء قليل

وقد أراد الإمام علي عليه السلام من أهل الكوفة إطاعة إمامهم، لأنه المسؤول الأول عن أمورهم ومتطلبات حياتهم فيقول: ((أيها الناس إن لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حق، فأما حقكم علي فالنصحية لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلاً تجهلوا، وتؤديكم فيما تعلموا، وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصحية في المشهد والمغيب، والإجابة حين ادعوكم والطاعة حين أمركم))^(٣). وقد وضع الإمام علي عليه السلام واجبات متبادلة بينه وبين الرعية، يجب مراعاتها والالتزام بها، ولكن كما اشرنا إن بعض القبائل ومنها اليمنية لم تتلزم بهذه الواجبات، وتخلت عن طاعته عليه السلام في الوقت الذي كان يعتز بأهل الكوفة، ووصفهم بأنهم ((جبهة الأنصار وسنام العرب))^(٤). وقد أراد عليه السلام تغيير الملائم التي طبع عليها العرب من تعصب قبلي، وعادات بالية وان يكون الإسلام عاملاً للتغيير الاجتماعي، فإنه أبى أن ينزل القصر الأبيض إيثاراً للخصاص التي يسكنها الفقراء، وربما باع سيفه ليشتري بثمنه الكساء والطعام، وروى النضر بن منصور بن عقبة بن علقة قال: ((دخلت على علي عليه السلام، فإذا بين يديه لبن حامض آذتنى حموسته، وكسر

^(١) المصدر نفسه ص ١٢٨.

^(٢) محمد عبده: شرح نهج البلاغة ٦٤/١.

^(٣) المصدر نفسه ٨٣/١ - ٨٤.

^(٤) محمد عبده: شرح نهج البلاغة ٢/٣.

يا بسة، فقلت يا أمير المؤمنين، أتأكل مثل هذا؟ فقال لي: يا أبو الجنوب كان رسول الله يأكل اييس من هذا، ويلبس اخشن من هذا، وأشار إلى ثيابه - فان لم آخذ بما آخذ به خفت إلا الحق به^(١)). ورفض عليه النزول في قصر الإمارة في الكوفة، ذلك القصر الذي اعد لولاة الأمور والقادة، ومن اجل هذا يدع الدنيا وراءه ظهريا، وهو خليفة المسلمين أن ينزل في قصر الإمارة، ويؤثر عليه الأرض الخلاء، والدار المهجورة، وقال: إنه قصر الخبال لا انزله أبدا^(٢). وكان الأولى بالناس أن يسلكوا خطوات إمامهم، وينفذوا وصاياه ولكن المصادر التاريخية أشارت إلى تقاعس كثير من الناس عن المسير لقتال معاوية، وقد راحوا يتسللون الواحد بعد الآخر من معسكرهم بالتخيلة^(٣). وإذا وقنا عند كلماته عليه عليه ((أف لكم لقد سئمت عتابكم، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا، وبالذل من العز خلفا، إذا دعوتم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة)) يجد بها عزوف الناس عن الدين، والابتعاد عن أصوله، وهذا ناتج من عدم تعميق العقيدة في النفوس، وتغلغل الإيمان في القلوب، وإن قوله عليه ((ولو ددت أني لم أركم ولم أعرفكم)) قوله: ((فقد والله ملأتم صدري غيطا، وجرعتموني بالأمرِين أنفاسا وأفسدتم عليَّ رأبي بالعصيان والخذلان)) وقد ختم قوله ((ولكن لا رأي لمن لا يطاع)), وتعبر هذه الأقوال عن مرارة الحياة مع جماعة لا يفهمون أهداف إمامهم، ولا مستقبل حياتهم. وكان عليه يتمنى أن تكون الكوفة في مأمن من العداون، وبعدها عن نكبات الدهر فيقول: ((كأني بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكاظي، تعركين بالتوابل، وتركبين بالزلزال، واني لأعلم انه ما أراد بك جبار سوء إلا ابتلاه الله

(١) العقاد: عقيرية الإمام ص ١٧.

(٢) خالد محمد خالد: في رحاب علي ص ٦٦.

(٣) المصدر نفسه ص ٢١٧.

بشاغل ورماه بقاتل))^(١). وقد أراد عَلِيُّ بْنُ ابْنِ عَلِيٍّ من الكوفة في عهده أن تبلغ القمة من المجد، بعد انتصاره على أهل البصرة في وقعة الجمل، فقد جعلها عاصمة للدولة، وقائدة للأمة، ولكن كثيراً من الكوفيين لم يهضموا هذه الأهداف، فتخلوا عن إمامهم، وانشغلوا في خلافاتهم، وأشار الأستاذ هشام جعيط إلى منطقة الكناسة في الكوفة بقوله: ((وتلتفت الكناسة النظر بصورة خاصة، كانت أرضاً عراءً واسعةً في خلافة علي حيث تميز وهمدان تفضان الخلافات بينهما))^(٢). فقد كان الأولى بالناس الالتفاف حول الإمام عَلِيًّا، وتنفيذ إرشاداته ونصائحه، واقتفاء سيرته القائمة على الزهد والقناعة، فقد كان عَلِيًّا يخرج إلى سوق الكوفة، وهو خليفة المسلمين وأمير المؤمنين، حاملاً أحد أسيافه الأثيرة لديه، الحبية إليه عارضاً إياه للبيع وقائلاً: ((من يشتري سيفي هذا فو الله لو كان معي ثمن أزار ما بعته)) لماذا هذه الفاقة، وبيت المال يستقبل كل يوم من أقطار الإسلام مالاً غدق، ومن حقه كأمير المؤمنين أن يأخذ منه كفاية، لماذا يصر على أن يطعن بنفسه دققه؟ ويرفع مدرعته حتى لا يبقى فيها مكان لرقاع جديدة، لماذا لا يأكل الخبز إلا قديداً مخلوطاً بنخالته؟ ويهرب من قصر الإمارة بالكوفة إلى كوخ من طين^(٣). وكان عَلِيًّا يرى بعض أصحابه قد خرج من التزاماته الدينية، وقد قارن بينهم وبين أصحاب رسول الله ﷺ فيقول: ((والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ بما أرى اليوم شيئاً يشبههم.. لقد كانوا يصبحون وبين أعينهم آثار الليل، باتوا فيه سجداً لله، يتلون كتابه، ويتراؤحون بين جاههم وأقدامهم.. وإذا ذكروا الله مادوا كما يمتد الشجر في يوم ريح.. وهملت أعينهم حتى تبتل ثيابهم)), وقد أعطى عَلِيًّا صورة دقيقة لأيام الإسلام الأولى، وأيام الوحي والرسالة، وقد عاش فيها أمير المؤمنين عَلِيًّا دوماً وأبداً، ولا يستطيع الزمن مهما توغل في البعد أياماً أن يتزعزع الإمام

(١) محمد عبد: شرح نهج البلاغة ٩٧/١.

(٢) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية ص ٢٩٠.

(٣) خالد محمد خالد: في رحاب علي ص ٢٣٠.

العبد منها، فهي منسكه ومحرابه^(١). ولم تهضم بعض القبائل العربية القادمة من الحجاز أو اليمن إلى الكوفة هذه السيرة وهذه السلوكية، ولذا ابتعد بعضهم عن الإمام عليه السلام، ووجد في سلوكية معاوية ومنهجيته في الحكم والسياسة ما يرضي نفوسهم وحياتهم الدنيوية، ولاشك أنهم لا يلتقون مع منهجية أمير المؤمنين عليه السلام العبادية ووصاياته العقائدية كما في قوله: ((أوصيكم عباد الله بتقوى الله فان تقوى الله خير ما تواصى به عباده، واقرب الأعمال لرضاوه، وأفضلها في عواقب الأمور عنده، وبتقوى الله أمرتم وللإحسان خلقتم))، فان دعوته الخالصة لتقوى الله وحسن عبادته وطاعته، قد لاقت قبولاً حسناً عند بعض أصحابه، ولكنها لم تدخل في أعماق غيرهم، فسرعان ما فضلوا الدنيا على الآخرة، وان هذا الاختلاف العقائدي كان واضحاً في الحياة الاجتماعية في مدينة الكوفة، وفي عهد أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) خالد محمد خالد: في رحاب علي ص ٦٢ - ص ٦٣.

قبيلة مذحج في حاضرة الكوفة

المقدمة:

تحتاج القبائل العربية إلى دراسات مستفيضة ودقيقة للوقوف على أصولها القبلية وأماكنها الجغرافية، وإن كثيراً من القبائل العربية لم يقف المؤرخون والجغرافيون والأدباء على آراء موحدة لأصول هذه القبائل وأنسابها وموطنها، وكان الاجتهاد موضعًا للبحث والدراسة عند تحليل النصوص، وتعد قبيلة مذحج في مقدمة القبائل العربية الضاربة في أعماق التاريخ جذوراً عميقة وذلك في عصر ما قبل الإسلام، فقد كان لها في بعض أيام العرب مساهمات ومع القبائل العربية علاقات سياسية واجتماعية، وبقي التاريخ يلاحق قبيلة مذحج في العصور الإسلامية، فقد كان لها في عمليات التحرير والفتوحات في العراق والشام ومصر والمشرق مساهمات عسكرية بارزة، ساعدت على نشر الإسلام وحمل لوائه وفي أحداث الخلافة الراشدة مواقف سياسية وهذا مما جعل قبيلة مذحج تساهم في بناء الدولة العربية الإسلامية وكان لها في حاضرة الكوفة منذ تنصيرها عام ١٧هـ حضور اجتماعي وسياسي وإداري وهذا مما جعل بحثنا يقتصر على موقع قبيلة مذحج في مدينة الكوفة وبالتحديد في عهد الخلافة الراشدة، إذ شهدت هذه الفترة أحداثاً سياسية كان لها آثارها على مستقبل الدولة العربية الإسلامية في عصورها التالية، ومن الله تعالى التوفيق، انه نعم المولى ونعم النصير.

العمق التاريخي لقبيلة مذحج:

احتلت قبيلة مذحج بعدَ تارينيناً عميقاً من بين القبائل العربية الجنوبية التي استوطنت اليمن في عصور قديمة، وقد ذهب كثير من المؤرخين إلى أنها تنحدر من مالك بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا^(١). وقد أكد المؤرخ اليمني أبو محمد الحسن الهمданى ((ت٤٤٤هـ)) على هذا النسب في كتابه

(١) ابن قتيبة: المعرف، ص ١٠٥، اليعقوبي: التاريخ ٢٠٢١ المبرد: نسب عدنان وقططان ص ١٩.

((الاكليل))^(١). وقد أطلق على قبيلة مذحج لفظ ((شعب)) لأن القبائل تشعبت منها، كما عدت من جماجم العرب لأن ((الجماجم)) تتفرع منها قبائل^(٢). ويلتقي لفظ الشعب مع لفظ الجماجم في المعنى، وعلى ذلك تصبح قبيلة مذحج من القبائل الرئيسية في العرب وتكون منزلة الرأس للأنساب^(٣). وقد اختلف علماء اللغة والأنساب والتاريخ في الوصول إلى معنى ((مذحج)) إن كانت نسبة لإنسان أو مكان أو فعل أو غيرها، ولكن الراجح كما ذهبت بعض مصادر اللغة أنها نسبة إلى الفعل ((ذحج)) بفتح الذال وكسر الجيم – فيقول ((إذ حجت أي أقمت))^(٤). وهذا الرأي الذي ذهنا إليه يلتقي مع النسبة المكانية أو اللسانية التي أشارت إلى معنى ((مذحج)) ومن المتفق عليه إن قبائل مذحج وتراثها تتنسب إلى رجال كانوا أعلاماً شامخة في التاريخ العربي وهم من ولد مالك بن ادد، والحكم بن سعد العشيرة وجعفى بن سعد العشيرة وغيرهم، وأصبح لأبناء هؤلاء وأحفادهم حضور في التاريخ العربي قبل الإسلام، وفي عصور التاريخ الإسلامي، وأشارت المصادر إلى الفصائل المتفرعة من مذحج والمنحدرة من سلاسة جلد بن مالك بن ادد، وجسر بن عمرو الذي يتسبّب إليه التخعيون وغيرهم وقد حددت مصادر التاريخ، وملاحم العرب في أيامهم في أرض اليمين مناطق مذحج من هذه الأرض العربية إذ تقع مضاربهم بين نجران وأرض عامر أو في المنطقة المحصورة بين مأرب ونجران^(٥). وهذا له دلالة أن الجزء الشمالي من اليمين كان موطن قبيلة مذحج وفصائلها ولكن المنازعات التي وقعت بين مذحج وغيرها من القبائل العربية وبخاصة معبني عامر أدى إلى انتشار المذحجيين في

(١) الهمданى: الأكيليل ١٤٦/١.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣٠٧/٣، ابن رشيق: العمدة ١٩٠/٢ - ١٩١.

(٣) سعد عبود سمار: قبائل مذحج، ص ١٥.

(٤) ابن منظور: لسان العرب ١٠٥/١، الزبيدي: تاج العروس، ٥٨٥/٥.

(٥) أبو عبيدة، عمر بن المثنى: نقائض جرير والفرزدق، ص ٤٦٩.

أرجاء اليمن فاندمج بعضهم مع حمير^(١). ويقول الدكتور جواد علي: إن مذحج كانت تنزل في ((الافق)) أو حولها في المنطقة المسماة ((جبل الطويق)) في الوقت الحاضر، والظاهر إن غزو أمرئ القيس لنجد قد جعل قبائل مذحج مضطورة إلى الهجرة صوب الجنوب واستيطانهم في العريبة الجنوبيّة^(٢). وحدد الدكتور نزار الحديشي العلاقة بين مذحج وحمير بقوله: إن قبائل مذحج تسللت من ((العبر)) و((ردمان)) إلى المنطقة المحصرة بين شبوة بحضرموت، ((بلد المعاشر)) التي كانت تعرف ((سر و حمير)) فاستوطنتها وأجلت عنها حمير في الإسلام وعرفت هذه الأراضي فيها بعد سرو مذحج^(٣). وقد سميت بعض التقسيمات الإدارية في اليمن والتي تدعى بالمخاليف إلى بعض البطون من قبيلة مذحج، كمخلاف جنب ومخلاف سحنان، ومخلاف زبيد، ومخلاف جعفى، وهذا له دلالة على انتشار مذحج في مناطق واسعة في اليمن، وكانت لها مع القبائل الشمالية علاقات غير ودية أدت إلى حروب عرف بعضها بالأيام، كيوم البداء بين عدوان ومذحج^(٤). ويوم السلان الذي سجلت فيه مذحج انتصاراً^(٥). ويوم خراز بين مذحج وربيعة وقد خسرت مذحج المعركة وقد أشار إلى ذلك السفاح التغلبي إلى ذلك بقوله^(٦):

وليلة بـت أـوقـدـ فيـ خـراـزـيـ هـدـيـتـ كـتـائـبـ مـسـتـحـيرـاتـ
وـقـدـ أـدـىـ الـاحـتكـاكـ بـيـنـ قـبـيلـةـ مـذـحجـ وـغـيرـهـاـ مـنـ القـبـائـلـ إـلـىـ حـرـوبـ كـقـبـيلـةـ
سـلـيمـ وـقـبـيلـةـ عـامـرـ بـنـ صـعـصـعـةـ، وـقـبـيلـةـ تـمـيـمـ وـغـيرـهـاـ وـقـدـ أـشـارـ المـؤـرـخـ الـهـمـدـانـيـ فـيـ

(١) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٧٥.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥٥٢/٢.

(٣) الحديشي: أهل اليمن في صدر الإسلام، ص ٦٩.

(٤) آلافوه الودي: الديوان، ص ٧.

(٥) ن. م، ص ٦.

(٦) أبو عيادة: نقائض جرير والفرزدق، ص ١٠٤٤ - ١٠٩٥، أيام العرب قبل الإسلام ٣٧٩/١.

كتاب ((الاكيل)) إلى صراع مذحج مع همدان وأشار ياقوت الحموي إلى صراع مذحج مع قضاة وطيء والازد وكندة ونجد في كتاب ((الأغاني)) لأبي الفرج الأصفهاني والعقد الفريد لابن عبد ربه وكتاب ((معجم ما استعجم)) للبكري وكتاب ((التيجان في ملوك حمير)) لوهب بن منبه وغيرها من الكتب المعنية بتاريخ اليمن.

اعتناق قبيلة مذحج للإسلام:

كانت أسرة الصحابي الجليل عمار بن ياسر أول من اعتنقت الإسلام من قبيلة مذحج، فقد انتسبت هذه الأسرة لقبيلة عنس إحدى فصائل مذحج، فقد آمن ياسر وسمية أبو عمارة بالإسلام كما آمن عمار وأخوه عبد الله به إيماناً عقائدياً راسخاً وذكر المؤرخ اليعقوبي إن محمية بن جزء بن عبد يغوث الزبيدي حليف بني جمح قد اعتنق الإسلام وكان من البدريين^(١). وكان هلال بن أبي خولي وأخواه خولي وعبد الله قد شهدوا معركة بدر الكبرى^(٢). ويبدو إن الإسلام قد دخل في صفوف المذحجيين بصورة جماعية بعد إرسال النبي محمد ﷺ الرسل إلى اليمن في السنة التاسعة للهجرة وقد وصلت إلى المدينة المنورة وفود يمنية وقد أعلنت إسلامها على يد النبي ﷺ، وفي السنة العاشرة من الهجرة وجه النبي الكريم الإمام علياً عليه السلام في سرية إلى شمال اليمن لدعوة الناس إلى الإسلام، فوصل عليه السلام إلى أرض مذحج وبعد قتال معهم، أدى إلى هزيمتهم وسقوط لوائهم وعند ذلك كف عن قتالهم ودعاهم إلى الإسلام فأجابوه فأخذ منهم الصدقات^(٣). وأشار الطبرى إلى إسلام قبيلة همدان على يد الإمام علي

(١) اليعقوبي: التاريخ ٢/٧٦.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية ٤/١٧٤، البلاذري: فتوح البلدان، ص ٧٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٢٩٠، ابن كثير: البداية والنهاية ٥/٧٥.

(٣) الواقدي: المغازي: ٣/١٠٨٠.

عليه السلام^(١). وأخذت وفود اليمنيين تصل من فصائل قبيلة مذحج معلنة إسلامها فأسلمت مراد وزيد وعنس وبني سعد العشيرة وجعفى والنخع، وكانت هذه القبيلة آخر من وفد على النبي ﷺ من مذحج في السنة الحادية عشرة للهجرة وكان هذا الوفد برئاسة زرارا بن عمرو النخعي^(٢) ولكن هذه الوفود لم تؤلف مجموع القبائل المذحجية، إذ إن بعضها بقي على جاهليته وتبع بعضهم الأسود العنسي (عبهله بن كعب بن عوف) في حركته وادعائه النبوة^(٣). في حين أن هناك من قاتل الأسود العنسي من مذحج وهمدان تحت لواء قيس بن مكشوح المرادي^(٤). وكانت زعامات مذحج في هذه الفترة التي أعقبت وفاة النبي ﷺ تنقلت بين عمرو بن معديكرب الزبيدي، وفروه بن حسيك المرادي، والأسود العنسي، وقيس بن مكشوح المرادي.

قبيلة مذحج في العراق:

ساهمت قبيلة مذحج في عمليات تحرير العراق من السيطرة الفارسية، وبلاد الشام من السيطرة البيزنطية مساهمة فعالة في المعارك العسكرية الخامسة، والذي يهمنا هنا دور مذحج في العراق، وذلك بدءاً من معركة القادسية عام ٦٣٦هـ/١٣٠٠م، وكان عددهم عند مسيرة القائد سعد بن أبي وقاص من المدينة المنورة نحو العراق (١٣٠٠ مقاتل) تحت زعامة ثلاثة من رؤسائهم وهم^(٥):

- عمرو بن معديكرب الزبيدي على بني منبه.
- أبو سبرة بن ذؤيب، على بني جعفى.
- يزيد بن الحارث الصدائي، على بطون صداء وجنوب ومسيلة.

^(١) الطبرى: التاريخ ١٣٢/٣.

^(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٤٦/١.

^(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٠٩.

^(٤) ن. م ص ١١٠، الطبرى: التاريخ ٢٣٠/٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٣٣٩/٢.

^(٥) الطبرى: التاريخ ٤٨٤/٣، ابن الأثير: الكامل ٤٥١/٢.

وقد لعبت قبيلة النخع من مذحج دوراً بارزاً في المعركة، وقد شهد لهم عمر بن الخطاب بقوله: (أن الشرف فيكم يا معاشر النخع لم تربع)^(١). وكان بعض النخعين قد سار إلى بلاد الشام لقتال البيزنطيين، كما كان لهم في العراق جولات وصلوات مع الفرس، قد أوكلت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي مهمة استطلاع القوات الفارسية التي كان يقودها جالينوس^(٢). وقد تمكّن عمرو بن معد يكرب من قتل أحد الفرسان الذي كان يقف بين الصفين ويرمي جيش المسلمين بالنشاب^(٣). وكان زيد بن عبد الله النخعي أول من رشق الفرس بالنبل، ثم حمل على الفرس وعند استشهاده أخذ أخيه ارطاة الراية^(٤). وفي أيام القادسية وصلت إمدادات عسكرية بقيادة قيس بن هبيرة المرادي وتتألف بين ٧٠٠ - ١٠٠٠ فارس وفهم من النخع الاشتراكي^(٥). وقد استبسّل المذحجيون في أحداث القادسية فوقف عمرو بن معد يكرب الزبيدي بين الصفوف وهو ينادي، ((يا معاشر المهاجرين كونوا أسوداً، فإن الأسد من أغنى نفسه))^(٦). وأشار الطبرى إلى قبيلة جعفى المذحجية وإسهاماتها في القتال^(٧). وفي ليلة الهرير حمل لواء النخع زيد بن كعب النخعي^(٨). وقد حدد الطبرى أسماء القادة المذحجين وانتماءاتهم القبيلة منهم^(٩):

- ١- عمرو بن معد يكرب الزبيدي.
- ٢- قيس بن هبيرة المرادي.

^(١) الطبرى: التاريخ ٤٨٤/٣.

^(٢) ن. م ٥١١/٣ و ابن الأثير: الكامل ٤٦٠/٢.

^(٣) ن. م ٥١١/٣، ابن الأثير: الكامل ٤٦٠/٢.

^(٤) الدينوري: الأخبار الطوال ص ١٢٨.

^(٥) ن. م ص ١٢٧، البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٥٣.

^(٦) أبو يوسف: الخراج ص ٣٤.

^(٧) الطبرى: التاريخ ٣/٥٥٥.

^(٨) الطبرى: التاريخ ٣/٥٦٠، ابن عبد البر: الاستيعاب ١/٥١٦.

^(٩) ن. م ٣/٥٦٣.

٣- ابن ذي البردين الهمالي (هلال النخع).

٤- كثير بن شهاب المذحجي.

وقد شاركت المرأة المذحجية في القتال في أيام القادسية فقد كانت نساء النخع وبجيالة يقمن بمهام قتالية^(١). وبقي المذحجيون يواصلون الجهاد بعد القادسية في معارك المدائن وجلواء ونهاؤند، ففي يوم جلواء أرسل سعد بن أبي وقاص مددًا عسكريًا بقيادة قيس بن هبيرة المرادي في ألف مقاتل^(٢). وأصبح له موقع قيادي في المعركة، وهو على خيل المسلمين، وان قيس بن هبيرة المرادي على الجناح^(٣). وأعطى المؤرخ ابن اعثم الكوفي لوقف جابر بن طارق النخعي أهمية قتالية وقتلها لرستم الأصغر^(٤). وفي معركة نهاؤند عام ٢١ هـ أبلى المذحجيون بلاءً حسناً في المعركة وكان قيس بن هبيرة المرادي على مقدمة المسلمين وقد دخل إلى أرض ((قرميسيين))^(٥). وكلف عمرو بن معد يكرب الزبيدي من قبل القائد النعمان بن مقرن بقيادة استطلاعية لحشود الفرس، وكان مستشار النعمان في وضع الخطط العسكرية، وكان فرسان مذحج قد تصدوا للفيلة التي استخدموها الفرس في المعركة^(٦). وقد حمل فرسان مذحج وفرسان نخع وزبيد على قطعات الفرس حتى أزالوه عن أماكنهم، وكانت هذه المعركة قد انتهت لصالح المسلمين، واستشهد فيها عمرو بن معد يكرب الزبيدي.

(١) ن. م ٥٧١/٣، ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٧٦.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال ص ١٣٤ و ابن اعثم الكوفي: الفتوح ١/٢٧٢.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٩٠.

(٤) ابن اعثم الكوفي: الفتوح ١/٢٧٥.

(٥) ن. م ٤٣/٢.

(٦) ابن اعثم الكوفي: الفتوح ٢/٤٥ - ٥٥.

موقع مذبح من خطط الكوفة:

تأسست مدينة الكوفة عام ٦٣٨هـ لتكون معسكراً ثابتاً للجيش العربي الإسلامي الذي تولى مهمة تحرير أرض السواد من السيطرة الفارسية، ولذا أطلق عليها لفظ (كوفة الجند)^(١). وقد اختير موقع الكوفة ليكون نقطة ارتكاز يستريح عندها الجند من عناء السفر وعناء القتال، ومن ثم أصبحت معسكراً ثابتاً^(٢). وقد اختطفت كل قبيلة مع رئيسها خطة، وكان عددها أحدي وعشرين خطة^(٣). وكانت قبائل اليمن تسع خطط هي: كندة، مذحج، طيء، اشعر، لخم، جذام، الازاد، خثعم، همدان^(٤). وشكلت قبائل اليمن وقبائل نزار أسبوعاً مدينتي الكوفة، وكان الغرض من هذا التخطيط أحکام الأشراف على القبائل، وتنظيم العطاء، وقد احتلت مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم سبعاً، وجعل على كل ربع أميراً^(٥). وهذا يشكل الوسيط بين السلطة وهذه القبائل، وفي عهد الإمام علي عليه السلام (٣٦-٤٤هـ) تغيرت الأسابيع فأصبحت قبيلة مذحج والأشعرية في خطة عليها زياد بن نصر^(٦). وحينما ولّ زياد بن أبيه ولاية الكوفة في عهد معاوية بن أبي سفيان (٤١-٤٦هـ) حول خطط مدينة الكوفة إلى أربعاء هي^(٧):

- ١- أهل المدينة رباعاً وعليها عمرو بن حرث.
- ٢- تميم وهمدان رباعاً وعليها خالد بن عرفطة.

(١) ياقوت: معجم البلدان ٤٩١/٤.

(٢) الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن ص ٨٣. الحكيم: (تمصير الكوفة بين الإنسان والأرض) مجلة الكوفة: المجلد الخامس، العدد الأول ٢٠٠١، ص ٤٦.

(٣) اليعقوبي: البلدان ص ٣١٠-٣١١، الطبرى: التاريخ ١٩٠/٤.

(٤) حسين علي محفوظ: (تاريخ الكوفة تعريف مقتضب وتلخيص سريع) مجلة الكوفة المجلد الخامس، ص ٤١.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١٩٢/٤.

(٦) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ١١٧.

(٧) الطبرى: التاريخ ٦/١٥٠.

٣- ربعة ربعاً وعليها قيس بن الوليد.
 ٤- مذحج وأسد ربعاً وعليها أبو بردة بن أبي موسى الأشعري وكان غرض زياد بن أبيه من هذا التحول الإداري في الكوفة ضم كل ربع من هذه الأرباع إلى مجموعات قبلية ولا ينسجم بعضها بعضاً من ناحية النسبة^(١).
 وكانت قبيلة النخع من قبائل مذحج الكبيرة وتنتسب إلى جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك^(٢). وقد تفرعت عن النخع بطون عديدة هي: عامر، وصهبان، وهيل، وجذية، وحارثة، وكعب، وكليب، ونهار، وقيس بن سعد، وحارثة، وجحفل^(٣).

ويستفاد من التقسيم الإداري القائم على القبيلة في الكوفة والذي عرف بالأسبوع تارة وبالأربعاء تارة أخرى إلى طبيعة المدينة العسكرية والأمنية، وقد ذكر المؤرخ الطبرى أن النخع من قبيلة مذحج قد استقرت في قبلة المسجد^(٤). وذهب المستشرق ماسنيون إلى القول: إن قبائل مذحج وحمير وهمدان كانوا من سكان المدن والقرى، ولذا عدتهم متمدنين تقريباً، وإن كندة وبجيلة نصف متحضررين، وإن هذه القبائل كانت سبباً في تحضير سكان الكوفة من العرب^(٥). وقد يكون هذا التعميم غير دقيق لأن القبائل كانت متوزعة في البلاد فمنها المستقرة ومنها المتنقلة حسب ظروفها الاقتصادية والاجتماعية، ولكن الذي نصل إليه أن لقبيلة مذحج في الكوفة عدا منازلها المعروفة خططاً أخرى أشار إليها المؤرخون وهي:

^(١) ناجي حسن: القبائل العربية في الشرق، ص ٨٥.

^(٢) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير ١/٢٨٧.

^(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣ - ٣١٠/٣، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٤١٠ - ٤١٢.

^(٤) الطبرى: التاريخ ٣/٤٨٨.

^(٥) ماسنيون: خطط الكوفة، ص ٥٣، ينظر سعد عبود: قبيلة مذحج، ص ٢٢٠.

١- المسجد:

كان مسجد جعفى من المساجد المهمة في عهد خلافة الإمام علي عليه السلام ويقع في الجنوب الغربي من مسجد الكوفة ولكل من مسيلة والنخع وصهبان وهيل وعامر وجذيمة والحارث مساجد^(١).

٢- الجبانات:

كانت لقبيلة مذحج وتفروعاتها مقابر في الكوفة عرفت بأسمائها كجبانة مراد، وجبانة جعفى التي تسب إلى المبارك بن عكرمة بن حميري الجعفي^(٢):

موقع قبيلة مذحج العلمي والإداري:

احتلت قبيلة مذحج دوراً في المعارك وحروب التحرير وقد اشرنا إلى ذلك ولها دور بارز في الحياة العلمية والإدارية في مدينة الكوفة، وكان عدد كبير من الصحابة قد نزل الكوفة منذ تأسيسها، وأصبح لهم جذر عميق في نشأة مدرسة الكوفة وكان من بينهم ثلاثة من مذحج وهم: أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري، وسلمة بن يزيد، وحذيفة بن اليمان العبسي، وقد أشار الأستاذ الدكتور نزار عبد اللطيف الحديشي إلى قائمة بالصحاببة الذين نزلوا الكوفة ومنهم المذحجين وفصائلهم في بحثه المقدم لألفية الكوفة والمنشور في المجلد الخامس وأطلق عليهم لفظ ((سرج الكوفة)) وقد اشرنا إلى ذلك في بحثنا (تمصير الكوفة بين الإنسان والأرض) المقدم إلى المؤتمر العلمي الذي عقده جامعه الكوفة وكان بعض أعلام مذحج قد جمع بين العلم والإدارة وكان بعضهم مساهمات في الأحداث التي شهدتها مدينة الكوفة وهم:

(١) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ٢٨٨/١ ينظر البراقى، تاريخ الكوفة، ص ٨٣ - ٨٥،

(٢) اليعقوبى: البلدان ص ٣١١، البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٧٩.

- ١- سلمة بن يزيد الجعفي، صحابي وفد على النبي ﷺ، وكانت له رأية على مذحج وهمدان في القادسية.
- ٢- زحر بن قيس الجعفي، كان والياً على المدائن في عهد أمير المؤمنين علي عليهما السلام.
- ٣- فرات بن زحر الجعفي، شارك في حركة المختار الثقفي وقتل في معركة جبانة السبيع.
- ٤- جبلة بن زحر الجعفي، شارك في حركة عبد الرحمن بن الأشعث، وكان من قراء الكوفة، وقد وصف بأنه من عظماء اليمن.
- ٥- عبيد الله بن الحمر بن عمرو الجعفي.
- ٦- جمانة بن شريح بن مرة.
- ٧- المختار بن كعب بن مالك.
- ٨- عبد الله بن الحارث بن عمرو بن وهب.
- ٩- الاسعر بن حمران
- ١٠- دينار بن بادية.
- ١١- تميم بن عبد الله
- ١٢- سويد بن غفلة بن عوسرجة.
- ١٣- جابر بن يزيد بن بداء.
- ١٤- أبو خثيمة تميم بن معاوية.
- ١٥- عبد الله بن إدريس.

وكان من بين هؤلاء الشاعر والفقير والقائد، وبرز من قبيلة (النخع) المذحجية إداريون وقاده وعلماء منهم:

- ١- ارطاة بن كعب بن شراحيل، وقد وفد على النبي ﷺ واستشهد في يوم القادسية.
- ٢- دريد بن كعب بن شراحيل، تسلم لواء النخع بعد استشهاد أخيه وقاتل به حتى استشهد.
- ٣- عرفجة بن وهم بن سنان.
- ٤- الأرقم النخعي.

- ٥- زرارة بن قيس.
- ٦- هاني بن هوذة، الذي أبقاء الإمام علي في الكوفة عند مسيره إلى النهروان.
- ٧- الحارث بن لقيط النخعي.
- ٨- الهيثم بن الأسود النخعي.
- ٩- العريان بن الهيثم بن الأسود.
- ١٠- مالك بن الحارث بن يغوث النخعي، وقد كان من ابرز رجال النخع وصاحب راية أمير المؤمنين عليه السلام في صفين، وقد ولاه الإمام عليه السلام ولاية مصر.
- ١١- إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي، الذي كان أحد قادة المختار بن أبي عبيد الشففي البارزين.
- ١٢- كميل بن زياد النخعي و كان والياً لأمير المؤمنين عليه السلام على هيت، وهو صاحب الدعاء المشهور بداعي كميل.
- ١٣- شريح بن خالد بن جعفر.
- ١٤- يزيد بن قيس بن مالك.
- ١٥- قطن بن حجر بن هبيرة.
- ١٦- شريك القاضي.
- ١٧- حفص بن غياث بن طلق القاضي.
- ١٨- الحجاج بن ارطاة.
- ١٩- إبراهيم بن يزيد بن الحارثة.
- ٢٠- الأسود بن يزيد.
- ٢١- عبد الرحمن بن يزيد.
- ٢٢- شريح بن كعب بن سلامان.
- ٢٣- حفص بن غياث.
- ٢٤- حشرج بن زياد.
- ٢٥- حبس بن الحارث بن لقيط.
- ٢٦- حرملة بن قيس.

وبناءً من فصائل مذحج الأخرى من يتسبّب إلى ((رهاء)) وجنب وصداء، ومن الفصائل الأخرى المتنسبة إلى مراد وعنس.

وإذا تبعنا أحداث معركتي الجمل وصفين نجد قبيلة مذحج تختل مركز الصادرة في جيش الإمام علي عليه السلام ويتقدم مالك الاشتراط النخعي وكميل بن زياد النخعي رجالات مذحج في الأحداث التي وقعت في عهدي عثمان بن عفان والإمام علي، وكان لذحج السبق في مبايعة الإمام عليه السلام بالخلافة، وقد التقى برؤسائهم، وكان من النخع هشام بن أبرهة، ومن مراد عبد الرحمن بن ملجم^(١). وأرسل المراديون من مصر سودان بن حمران لمبايعة الإمام عليه السلام وكان للمذحجيين في معركة الجمل قيادات عسكرية بارزة وهي على النحو الآتي:

- ١- مالك بن الحارث ((الاشتر النخعي)) على الميمنة.
- ٢- عمار بن ياسر العنسي على الميسرة.
- ٣- هند المرادي على الساقية.
- ٤- شريح بن هانئ المرادي على الرجالية.

ولعل ابرز وقائع الجمل هو تعانق الاشتراط النخعي وعبد الله بن الزبير، مما جعل ابن الزبير ينادي ((اقتلوني ومالكاً)) وقد أوضح مالك الاشتراط فيما بعد لأصحابه هذه المقوله: ما أنجاني إلا قول ابن الزبير اقتلوني والاشتر لقتلوني^(٢). وكان مالك الاشتراط في يوم الجمل صولات وجولات وقد احتل مركز الصادرة في يوم صفين، وقد وقف عند الجسر المعقود على الفرات لعبور جيش الإمام عليه السلام فوق الاشتراط مع ثلاثة آلاف فارس حتى لم يبق احد من الناس الاعبر^(٣) وفي وقائع صفين كان مالك الاشتراط في قلبها، والرأيات المذحجية وغيرها

(١) ابن اعثم الكوفي: الفتوح ٢٥٥/٢.

(٢) ابن اعثم الكوفي: الفتوح ٣٣٢/٢ - ٣٣٣، المسعودي: مروج الذهب ٦٧/٢.

(٣) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص ١٥٢، البلاذري: أنساب الأشراف، ٩٨/٢، والطبرى: التاريخ ٥٦٥/٤.

حوله، وقد تمكن ببسالة وشجاعة إزاحة جيش معاوية عن الماء، وألقى فرسان الشاميين تحت ضربات سيفه، وكان في ((ليلة الهرير)) يخاطب جنده بقوله: ازحفوا قيد رحبي هذا، وإذا فعلوا، قال: ازحفوا قارب هذا القوس، وكانت رايته مع حيان بن هوذة النخعي^(١). وقد أوضح نصر بن مزاحم في كتابه ((وقعة صفين)) موقع مالك الاشتراط من أحداث صفين، وقادته للجيش من جانب، ولقصائل مذحج من جانب آخر، ومن الملاحظ إن المصادر قد أشارت إلى موقع المذحجين في جيش معاوية بن أبي سفيان وإلى المذحجين الذين اعتزلوا القتال وبعد أن انتهت الحرب بالمهادنة بعد التحكيم بعث الإمام علي عليه السلام مالك الاشتراط واليًا على مصر وقد شعر معاوية بخنطورة هذه الولاية على ملكه في الشام، فدبر له معاوية مؤامرة لاغتياله عن طريق دس السم بالعسل، ولما نجح معاوية في تدبیره استبشر بوفاة مالك الاشتراط^(٢). ونختتم حديثنا إلى القول: إن الإمام علي عليه السلام اعتمد على جماعة من المذحجين لإدارة الأمصار الإسلامية في أثناء خلافته وهم:

- ١- عبيد السلماني المرادي، واليًا على الفرات.
- ٢- كميل بن زياد النخعي، واليًا على هيت.
- ٣- مالك بن الحارث (الاشتر النخعي) على الجزيرة ومصر.
- ٤- هاني بن هوذة النخعي، واليًا على الكوفة.
- ٥- عبد الله بن عبد المدان الحارثي، واليًا على نجران.
- ٦- العقار بن قيس الجعفي، واليًا على المدائن.
- ٧- زحر بن قيس الجعفي واليًا على المدائن.

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٤٧٥.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ٢/٣٩٨-٣٩٩، الطبرى: التاريخ ٥/٩٥-٩٦، المسعودي مروج الذهب ٢/٤٠٩.

النجف الاشرف والكوفة في رحلة ابن بطوطة

زار الرحالة العربي أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة مدينة النجف الاشرف عام ١٣٢٧هـ / ٧٢٧م ووصف معالمها الحضارية والفكرية والإدارية والاقتصادية في كتابه ((تحفة الناظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)) وصفاً كان بعضه يحتاج إلى إيضاح وتفصيل وبعضه إلى تقد وتحليل، وهذا مما جعلنا نطلق لفظة ((المقارنة)) على بحثنا هذا بعد الرجوع إلى المصادر والمراجع التي تناولت مدينة النجف بشمولية ووضوح منذ تصويرها في أوائل العصر العباسي، وحتى حقبة العصر المغولي الايلخاني، ولما كان ابن بطوطة في وصفه للمدينة قد تنقل من جانب لآخر، وكرر العودة لجوانب سبق أن ذكرها، فآثرنا تقسيم البحث وفق الآتي:

١- الطرق والمواصلات:

دخل ابن بطوطة مدينة النجف الاشرف من طريق الbadia، وهو طريق الحج البري الذي يربط النجف بالديار المقدسة، فوصف آبار السيدة زبيدة والآبار والأحواض الأخرى في الطريق، ووقف على الوديان والهضاب، وكان وصفه لهذه الظواهر الطبيعية يلتقي مع وصف الرحالة ابن جبير الذي سبقه بما يقرب من قرن ونصف^(١). وعند وصول ابن بطوطة إلى القادسية وصفها بالقول:

((القادسية مدينة عظيمة افتتحها سعد رض ، وخربت فلم يبق منها الآن إلا مقدار قرية كبيرة فيها حدائق النخل. وبها مشروع ماء الفرات))^(٢). وقد وضع ابن بطوطة في هذا النص مدينة القادسية بين عام ١٥هـ عند وقوع المعركة الفاصلة

(١) ابن بطوطة: الرحالة ١٠٩/١، ابن جبير: الرحالة ص ١٦٣، ١٦٧ ينظر الحكيم: ((درب زبيدة أو طريق الحاج من الكوفة إلى مكة)) المقدم للمؤتمر العلمي الثاني لكلية الآداب، بجامعة الكوفة بتاريخ ٢٦/١١/١٩٩٤.

(٢) ابن بطوطة: الرحالة ١٠٩/٣.

بين العرب المسلمين والفرس، وبين عام ٧٢٧هـ، في أثناء طريقه إلى النجف، حيث أن القادسية لا تبعد عن النجف إلا بضعة أميال، وتوضح رسالة القائد سعد بن أبي وقاص لل الخليفة عمر بن الخطاب هذه المسافة بقوله: ((إن القادسية بين الخندق والعتيق، وإن ما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين فاما احدهما فعلى الظهر، وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى الخصوص يطلع من سلكه على ما بين الخورنق والحيرة))^(١). وفي هذا النص أشارة إلى ((بحر النجف)), ((ظهر الحيرة)), ((قصر الخورنق)), وهذه المواقع يمر بها السائح وهو في طريقه إلى مدينة النجف، ومن المؤكد إن ابن بطوطة قد مر بها دون أن يعطي أشارة لها في رحلته، بدليل أنه عند رجوعه من النجف، وهو في طريقه إلى البصرة نزل في ((قصر الخورنق)) فيقول: ((وخرجنا من مشهد علي عليه السلام فنزلنا الخورنق موضع سكن النعمان بن المنذر وآبائه من ملوكبني ماء السماء، وبه عمارة وبقايا قباب ضخمة في فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات))^(٢). وإن وقوفه على آثار الخورنق في تلك الحقبة يعطينا دليلاً على بقائه، وتحديداً لموقعه الذي ما زال مجهولاً حتى وقتنا الحاضر، وإن كان بحثنا ((الخورنق والسدير))^(٣). قد توصل إلى تحديد تقريري للخورنق على ضفاف بحر النجف، أو على ((متن النجف))^(٤). وكان قد رافق ابن بطوطة في أثناء مسيره من النجف إلى البصرة جماعة من عرب خفاجة، وذلك لحمايته من اللصوص وقطع الطريق فيقول: ((ولما تحصلت لنا زيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام سافر الركب إلى بغداد وسافرت إلى البصرة صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة وهم أهل تلك البلاد ولهم شوكة عظيمة وباس شديد ولا سبيل للسفر في تلك الأقطار إلا في صحبتهم،

(١) الطبرى: التاريخ ٤٩٢/٣.

(٢) ابن بطوطة: الرحالة ١١٣/١.

(٣) البحث منشور في مجلة كلية الفقه في النجف، العدد الثالث ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

(٤) الحكيم: ((الخورنق والسدير)) ص ٢١١، ٢١٢.

فاكتريت جملا على يد أمير تلك القافلة شامر بن دراج الخفاجي^(١)). ويبدو إن ابن بطوطة قد وصلته أخبار قبيلة خفاجة في المنطقة وتصديها لقوافل الحاج ونهاها الأئمة والأموال في الأعوام ٤٠٢، ٤١٤، ٤٠٣، ٤٢٣، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٥، ٥٥٨، ٥٦٣، ٥٧١ هـ، وكان يشار إليها في التصدي جماعات أخرى من الأعراب. وبقيت قبيلة خفاجة صاحبة السلطة والأسس في القرن الثامن الهجري، وهذا له دلالة على ضعف السلطة المركزية وفقدان الأمن، مما جعل مسالك الطرق غير مأمونة إلا إذا دفعت اتاوات للقبائل القاطنة ذات الشأن والنفوذ كما حصل لأبن بطوطة مع قبيلة خفاجة^(٢).

٢- الوصف الجغرافي والحضاري:

وصف ابن بطوطة مدينة النجف الأشرف بقوله: ((فنزلنا مدينة مشهد علي بن أبي طالب عليه السلام بالنجف، وهي مدينة حسنة في أرض فسيحة صلبة من أحسن مدن العراق وأكثرها ناسا وأتقنها بناء))^(٣). فقد كانت النجف في هذه الحقبة مسورة ولها قلاع وأبواب وقد أشارت المصادر إلى إن أبو محمد الحسين بن فضل بن سهلان أمر بناء سور يحيط بالنجد عام ٤٠٠ هـ، وقد تولى أبو إسحاق الارجاني أمر البناء والأشراف عليه^(٤). ووصف السيد غياث الدين ابن طاووس (ت ٦٩٣ هـ) هذا السور عام ٥٧٥ هـ بقوله: كان للسور بابان هما: باب السلام الكبير، وباب عبد الحميد التقي بن أسامة^(٥). وقد أغفل ابن بطوطة ذكره لسور

(١) ابن بطوطة: الرحلة ١١٣/١.

(٢) الطبرى: التاريخ ٦١٣/٩، ١٥١/١٠، ابن الجوزى: المنتظم ٦٥/٥، ٦٣/٩، ٢٦٨/٧، ٢٠٦/١٠، ٢٢٢، ٢٦٠.

(٣) ابن بطوطة: الرحلة ١٠٩/١.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢١٩/٩، ابن كثير: البداية والنهاية ٣٤٢/١١، ابن الوردي: التاريخ ٤٤٦/١، أبو الفدا: المختصر في أحوال البشر ١٣٩/٢.

(٥) ابن طاووس: فرحة الغري ص ١٣١.

النجف، ولعل وصفه لها بأنها ((مدينة حسنة)) يعود إلى طبيعة تنظيمها المعماري وتسيق أسواقها، قوله ((وأتقنها بناء)) فمن المحتمل أراد بذلك سورها المتين وبه اختفت النجف شكلا دائريا^(١). وهذه الخصائص التي امتازت بها النجف عند دخول ابن بطوطة لها هي التي قادته إلى القول أنها: ((من أحسن مدن العراق)), وإن تركز السكان داخل السور جعلها ذات كثافة عالية، ويضاف إلى سكانها أعداد الزائرين الكبيرة الذين يفدون عليها وبخاصة في المناسبات الدينية كما ذكر ذلك ابن بطوطة في ((ليلة الحيا)) ولكنه لم يعط رقما تقريريا لعدد سكان النجف، بل اكتفى بالقول: ((وأكثرها ناسا)) وذلك بالقياس إلى المدن العراقية التي زارها.

٣- الوضع الاجتماعي والاقتصادي:

تحدث ابن بطوطة عن بعض الظواهر الاجتماعية والاقتصادية في مدينة النجف بقوله: ((وأهلها تجار يسافرون في الأقطار، وهم أهل شجاعة وكرم، ولا يظام جارهم، صحبتهم في الأسفار فحمدت صحبتهم))^(٢). وكانت المصادر والمراجع قد أشارت إلى هذه الحقيقة التي أوردها ابن بطوطة، فإن تجارة العراق في هذا الوقت قد تركزت في بغداد والبصرة والموصل وواسط والنجف^(٣). وكان تجارة البندقية وجنة الذين يقصدون بغداد والبصرة يمررون بمدينة النجف^(٤). وإن الطرق التجارية التي تبدأ من سوريا تخترق بغداد ثم النجف إلى البصرة^(٥). وبحكم موقع النجف هذا جعل فيها التجارة رائجة، ووضعتها الاقتصادي حسن، فأنشئت فيها الأسواق والقيساريات والتي وصفها ابن بطوطة بقوله: ((ولها أسواق حسنة نظيفة دخلناها من باب الحضرة، فاستقبلنا سوق البقالين والطباخين

^(١) المظرف: مدينة النجف الكبرى ص ٥٨.

^(٢) ابن بطوطة: الرحلة ١١٠/١.

^(٣) خصباك: العراق في عهد المغول الایلخانيين ص ١٣٥.

^(٤) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ١٢، ص ١٣.

^(٥) الخياط: (النجف في المراجع) موسوعة العتبات المقدسة/قسم النجف ٢٠١/١.

والخازين، ثم سوق الفاكهة وثم سوق الخياطين والقيسارية ثم سوق العطارين^(١)). وتعد ظاهرة تخصص الأسواق حضارية متقدمة حتى لا تتجاوز البضائع الرديئة مع البضائع النفيسة، أو البضائع ذات اللهب والشرر مع البضائع النظيفة الترفة، وإلى ذلك وأشار الشيزري ((فإن ذلك إلى اقتصادهم أرفق، وإلى صنائعهم أفق))^(٢). وإذا تأكينا بان ((العطارين)) الذين ذكرهم ابن بطوطه هم بائعو الأعشاب والعقاقير الطبية، فإنه يعطي صورة حضارية جميلة لمدينة النجف في القرن الثامن الهجري، إذ أصبح لهم سوق خاصه بهم.

٤. الحياة الدينية والفكرية:

لقد أطال ابن بطوطة في الحديث عن الحياة الدينية والفكرية في مدينة النجف الأشرف، وكان المرقد العلوى في مقدمة حديثه فقال: ((ثم الحضرة حيث القبر الذي يزعمون انه قبر علي عليه السلام))^(٣). ويكشف من لفظه ((يزعمون)) عن شكوكه في حقيقة موضوع القبر الشريف، وقد أبطننا هذا الوهم في بحثنا ((الثوية موقعها وتاريخها))^(٤). والذي قسمنا فيه منطقة ((ظهر الكوفة)) جغرافياً إلى قسمين هما: الغري والثوية. وأكدنا من خلال المصادر الموثوقة إن الإمام علي عليه السلام دفن في ((الغري)) حيث مرقده الآن، وإن الصحابة والتابعين الذين نزلوا الكوفة قد دفنتها في ((الثوية)) وهذا مما يضعف رأي الخطيب البغدادي وغيره من المؤرخين من إن الإمام علياً دفن في الثوية^(٥). وربما إن ابن بطوطة قد سار على نفس الوهم.

^(١) ابن بطوطة: الرحلة ١٠٩/١.

^(٢) الشيزري: نهاية الرتبة ص ١١.

^(٣) ابن بطوطة: الرحلة ١٠٩/١.

^(٤) البحث منشور في مجلة كلية الفقه، العدد الثاني ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

^(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٣٨/١.

وقد ربط الرحالة ابن بطوطة بين زيارة المرقد العلوي وبعض التقاليد الاجتماعية والشعائر الدينية التي كان يمارسها الزائرون للمرقد بقوله: ((وهذه الروضة لها كرامات عندهم لأنّ بها قبر علي حَفَظَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ف منها في ليلة السابع والعشرين من رجب وتسمي عندهم ليلة المحيـا يؤتـي إلى تلك الروضة بكل مـقعد من العراقيـن وخراـسان وبـلاد فـارس والـروم فيـجمع منـهم الثـلثـون والأـربعـون وـنحو ذـلـك، فإذا كان بعد العـشاء الـآخرـة جـعلـوا فوقـ الضـريح المـقدسـ. والنـاس يـنتـظـرون قـيـامـهـ وـهـمـ ماـبـينـ مـصـلـ وـذـاكـرـ وـتـالـ وـمـشـاهـدـ لـلـرـوـضـةـ، فإذا مـضـىـ مـنـ الـلـيلـ نـصـفـهـ أوـ ثـلـاثـهـ أوـ نـحـوـ ذـلـكـ قـامـ الجـمـيعـ أـصـحـاءـ مـنـ غـيرـ سـوـءـ وـهـمـ يـقـولـونـ: لاـ إـلـاـ اللـهـ، مـحـمـدـ رـسـوـلـ اللـهـ، عـلـيـاـ وـلـيـ اللـهـ، وـهـذـاـ أـمـرـ مـسـتـفـيـضـ عـنـدـهـمـ سـمـعـتـهـ مـنـ الثـقـاءـ، وـلـمـ اـحـضـرـ تـلـكـ الـلـيـلـةـ لـكـنـيـ رـأـيـتـ بـمـدـرـسـةـ الضـيـافـ ثـلـاثـةـ مـنـ الرـجـالـ:ـ اـحـدـهـمـ مـنـ أـرـضـ الـرـومـ، وـالـثـانـيـ مـنـ اـصـبـهـانـ، وـالـثـالـثـ مـنـ خـراـسانـ، وـهـمـ مـقـعـدـونـ فـاسـتـخـبـرـتـهـمـ عـنـ شـأـنـهـمـ فـاـخـبـرـوـنـيـ أـنـهـمـ لـمـ يـدـرـكـواـ لـيـلـةـ الـمـحـيـاـ، وـأـنـهـمـ مـتـنـظـرـونـ أـوـانـهـاـ مـنـ عـامـ آـخـرـ)).^(١) وـاـنـ هـذـهـ الـلـيـلـةـ التـيـ أـشـارـ إـلـيـهـاـ اـبـنـ بـطـوـطـةـ هـيـ لـيـلـةـ ((ـالـمـبـعـثـ)) الـبـوـيـ الشـرـيفـ، وـإـذـاـ تـعـذـرـ عـلـىـ الـسـلـمـيـنـ زـيـارـةـ مـرـقـدـ النـبـيـ عـلـيـهـ أـفـضـلـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ، فـأـنـهـمـ يـزـورـوـنـ مـرـقـدـ اـبـنـ عـمـهـ الـإـمـامـ عـلـيـ عَلَيْهِ السَّلَامُـ،ـ فـيـقـولـ السـيـدـ اـبـنـ طـاوـوسـ:ـ ((ـمـنـ عـمـلـ لـيـلـةـ سـبـعـ وـعـشـرـيـنـ مـنـ رـجـبـ اـعـلـمـ إـنـ مـنـ أـفـضـلـ الـأـعـمـالـ فـيـهـاـ زـيـارـةـ مـوـلـانـاـ عـلـيـ عَلَيْهِ السَّلَامُـ)ـ).^(٢) وـلـذـاـ يـتـوـافـدـ النـاسـ عـلـىـ مـدـيـنـةـ الـنـجـفـ فـيـ هـذـهـ الـمـنـاسـبـةـ حـتـىـ تـكـتـظـ بـالـزـائـرـيـنـ إـلـىـ درـجـةـ الـاختـتـاقـ وـمـاـ زـالـتـ هـذـهـ الـمـرـاسـيـمـ تـؤـدـيـ حـتـىـ الـوقـتـ الـحـاضـرـ، وـهـذـاـ مـاـ جـعـلـ الـبـاعـةـ الـمـتـجـولـيـنـ يـعـرـضـونـ بـضـائـعـهـمـ فـيـ شـوـارـعـ الـمـدـيـنـةـ وـسـاحـاتـهـاـ،ـ فـيـقـولـ اـبـنـ بـطـوـطـةـ ((ـوـهـذـهـ الـلـيـلـةـ يـجـتمـعـ لـهـاـ النـاسـ مـنـ الـبـلـادـ،ـ وـيـقـيمـونـ سـوقـاـ عـظـيمـاـ مـدـةـ عـشـرـةـ أـيـامـ)).^(٣)

(١) ابن بطوطة: الرحلة ١١٠/١.

(٢) ابن طاووس: إقبال الأعمال ص ٦٧٠، ٦٧٣.

(٣) ابن بطوطة: الرحلة ١١٠/١.

ويصف ابن بطوطة أثاث المرقد العلوي وقنايله وتحفه بقوله: ((ثم يدخل القبة وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه، بها قنايل الذهب والفضة منها الكبار والصغراء، وفي وسط القبة مسطبة مكسوة بالخشب عليها صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل، مسمرة بمسامير الفضة قد غلت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء وارتفاعها دون القامة، وفوقها ثلاثة من القبور يزعمون أحدها قبر آدم عليه الصلاة والسلام، والثاني قبر نوح عليه السلام، والثالث قبر علي عليهما السلام)) ثم يقول: ((وبين القبور طسوت ذهب وفضة فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب، يغمس الزائر يده في ذلك ويدهن به وجهه تبركاً))^(١). ويعود أكساء حيطان المرقد بخشب الساج المنقوش إلى عهد عضد الدولة (ت ٣٧٢ هـ)^(٢). وقد بقي إلى عام ٧٥٣ هـ أي بعد زيارة ابن بطوطة لمدينة النجف بربع قرن، فقد التهمته النيران^(٣). أما حديثه عن قبرى آدم ونوح عليهما السلام، فان المؤثرات الدينية تشير إلى قبريهما في النجف، ومدفن الإمام علي جوارهما كما ورد في الزيارة المعروفة: ((السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح))^(٤). وينتقل بعد ذلك ابن بطوطة إلى وصف أبواب المرقد العلوي وستائره بقوله: ((وللقبة باب آخر عتبته أيضاً من الفضة وعليه ستور الحرير الملون يفضي إلى المسجد مفروش بالبسط الحسان، مستوره حيطانه وسقفه بستور الحرير، وله أربعة أبواب عتباتها فضة، وعليها ستور الحرير))^(٥). ومن المحتمل أراد ابن بطوطة بالمسجد الملاصق للمرقد العلوي، هو مسجد عمران بن شاهين الحفاجي، مؤسس الدولة الشاهينية في بطائح العراق في القرن الرابع الهجري، وعند توسيع الصحن الحيدري في القرن الحادى عشر الهجرى أزيل قسم من هذا المسجد وما زالت بقائه موجودة حتى

^(١) ابن بطوطة: الرحلة ١١٠/١.

^(٢) ابن عنة: عمدة الطالب ص ٤٨.

^(٣) م. ن، ابن زهرة: غاية الاختصار ص ١٦١.

^(٤) الشرقي: الأحلام ص ٥٣.

^(٥) ابن بطوطة: الرحلة ١١٠/١.

الوقت الحاضر، وهو يدعى بمسجد عمران، وعليه صخرة مخرمة ومنقوشة يعود تاريخها إلى عام ٧٧٦هـ^(١). ويعد ((مسجد عمران)) من أقدم مساجد النجف الأشرف.

وقد توسع ابن بطوطة في وصفه لمدرسة النجف والحركة العلمية والمؤسسات الفكرية الأخرى التي كانت تجاور المرقد العلوي فيقول: ((وبإثره المدارس والزوايا والخوانق، معمورة أحسن عمارة، وحيطانها بالقاشاني، وهو شبيه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ونقشه أحسن))^(٢). ومن المحتمل إن هذه المؤسسات كانت تعود إلى القرن الرابع الهجري، فقد بنى عضد الدولة الرواق العلوي الذي أصبح مأوى لطلاب العلم^(٣). وأراد ابن بطوطة بلفظ ((الزوايا)) وهي التي تخصص للعبادة وإطعام الطعام، أما الخوانق ويراد بها بيت الذكر، ومحل إقامة الصوفية وأصحاب الطرق^(٤).

وقد أشار إلى ذلك ابن بطوطة بقوله: ((ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة، ولكل وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر مرتين في اليوم، ومن تلك المدرسة يدخل باب القبة وعليها الحجاب والنقباء والطواشية فعندما يصل الزائر يقوم إليه أحدهم أو جميعهم وذلك على قدر الزائر فيقفون معه على العتبة ويستأذنون له ويقولون عن أمركم يا أمير المؤمنين هذا العبد الضعيف يستأذن على دخوله الروضة العلية فان أذتم له وإلا رجع، وإن لم يكن أهلا بذلك فانت لهم أهل المكارم والستر، ثم يأمرونه بتقبيل العتبة وهي من فضة وكذلك العضادتان))^(٥). ويعود تأسيس الأربطة والزوايا في مدينة النجف إلى العهد المغولي الإلخاني، إذ لم تشر المصادر إلى

(١) الشرقي: الأحلام ص ٥٥.

(٢) ابن بطوطة: الرحلة ١٠٩/١.

(٣) الحكيم: الشيخ الطوسي ص ٩٨.

(٤) ناجي معروف: علماء النظميات ص ٢٤١، ٢٤٤.

(٥) ابن بطوطة: الرحلة ١٠٩/١ - ١١٠.

تاریخ ابعد، فیی عام ٦٦٦ھ انشأ عطا ملک، جوینی صاحب الديوان في العراق رباطاً للصوفية، وهناك من يؤرخه عام ٦٧٦ھ^(١). وقد عد السيد ابن طاووس هذا الرباط من حسنات الصاحب عطا ملک بن محمد الجوینی^(٢). وقد أوقف عليه الوقوف الكثيرة، وادر لمن يسكنه ما يحتاج إليه^(٣). وتذهب بعض المصادر إلى أن ((دار السيادة)) قد شيد في العهد المغولي الايلخاني وفيه (خانقاه) أو تکية خاصة بالصوفية^(٤). ويقول الشيخ محبوة: إن السلطان محمد خدا بنده وابنه أبا سعيد قد انشأ مدرسة وخانقاه في مدينة النجف، واجريا فيه آثاراً حسنة، وأبواباً من البر^(٥). وما يلاحظ في النص الذي أورده ابن بطوطة وقوع المدارس والزوايا والخوانق في منطقة واحدة مجاورة للمرقد العلوي، وكانت النجف في المدة التي دخلها ابن بطوطة قد أنجبت كثيراً من الأعلام من أبرزهم: السيد حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسني الاملي، وقد تجاوزت تأليفه العشرين كتاباً في التفسير والفقه والحديث وعلم الكلام^(٦). والشيخ عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم العتائقي والذي اربت تأليفه على الأربعين كتاباً^(٧). وقد أودعت كتبهما في خزانة الروضنة الحيدرية^(٨). وكان بعض من تولى نقابة العلوين في النجف والذين أشار إليهم ابن

(١) ابن الفوطی: الحوادث الجامعة ص ٣٥٨، تلخيص مجمع الآداب ق ٤ / ١٠٣٥، العزاوی: تاریخ العراق بين احتلالین ٢٦٣/١، تاریخ الأدب العربي ٣١٥/١، التعريف بالمؤرخین ١١٠/١.

(٢) ابن طاووس: فرحة الغری ص ١١٥.

(٣) ابن الفوطی: الحوادث الجامعة ص ٣٥٨.

(٤) سعاد ماهر: مشهد الإمام علي في النجف ص ١٣٤، لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية ص ١٠٤.

(٥) محبوة: ماضي النجف وحاضرها ٤٦/١.

(٦) الأمین: أعيان الشیعة ٢٩/٢٦، الخیابانی: ریحانة الأدب ٣/٦٤، الطهرانی: الذریعة ١/٢١، ٥٢٥/١٢٢، ٢/٣٢٥، ٣٤٤، ٥، ٣٤٨، ٥، ٢٠٤/٣٤٨، ١٠، ٢٣٨، ٦١/٤٥٥، ١٥، ٣٢٦، ٢٠/٦١.

(٧) الخیابانی: ریحانة الأدب ٦/٨١، القمی: الفوائد الرضویة ص ٢٢٧، الکنی والألقاب ١/٣٤٨، شمس الدین، حدیث الجامعة النجفیة ص ٢٨، ص ٢٩. الأمین: أعيان الشیعة ٣٧/١٧٣.

(٨) محبوة: ماضي النجف وحاضرها ١/٤٦، الطهرانی: الذریعة ٢/٥٠٢، ٢/٥٠٩، ٤/١٩٦، ١٤/١٣١.

بطوطة في رحلته من الأعلام المؤلفين كالسيد حسن بن تاج الدين الآوي^(١). والسيد محمد بن السيد علي بن طباطبا^(٢). وغيرهم من أعلام مدرسة النجف في القرن الثامن الهجري.

والذي يؤخذ على ابن بطوطة في حديثه عن الحياة الدينية والفكرية في النجف هو قوله: ((وأهل هذه المدينة كاهم رافضية))^(٣). ولم نجد في رحلته أية إشارة تشير إلى مضائقات مذهبية قد تعرض لها أو التي تشكل ظاهرة في المجتمع النجفي يومذاك، فقد قصد النجف صدر الدين إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويye الجوني الشافعي (ت ٧٢٢هـ) وتاج الدين علي بن عبد الله بن أبي الحسن الارديلي الشافعي (ت ٧٤٦هـ)^(٤). ولم يعط ابن بطوطة دلائل وإثباتات بقوله: ((لکنہم غلوا فی علی جھلیلہ عنہ))^(٥). وهذا وهم لاشك فيه، إذ من المحتمل إن ابن بطوطة قد اعتبر الشعائر الدينية التي كان يمارسها الناس في المرقد العلوي من باب الغلو، وهذا الاحتمال بعيد عن الصحة، فالنجفيون مسلمون إماميون، محبون لعلي وأل بيته من غير غلو أو تطرف، كان الأولى باين بطوطة الإعراض عن مثل هذه الألفاظ، حفاظاً على الوحدة الإسلامية والابتعاد عن التعصب المذهبي البغيض.

٥- الحكومة والإدارة:

خضعت مدينة النجف الشرف بعد سقوط بغداد يد المغول الایلخانيين عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م رسمياً للمغول، فأرسل هولاكو مائة جندي مغولي لحماية

(١) مصطفى جواد: مقدمة ديوان ((الشريف المرتضى)) ٢٣/١.

(٢) العزاوي: التعريف بالمؤرخين ١/١٣١، كحالة: معجم المؤلفين ١١/٥١، اليعقوبي: البابليات ٣ / ٢٠٨ .

(٣) ابن بطوطة: الرحلة ١١٠/١.

(٤) ابن حجر: الدرر الكامنة ١/٦٩، ٣/١٤٥-١٤٦.

(٥) ابن بطوطة: الرحلة ١١٩/١.

مرقد الإمام علي عليه السلام والسكان القاطنين حوله^(١). وأصبح نقيب العلوين مقام إداري رفيع، فأشار إليه ابن بطوطة بقوله:

((وليس بهذه المدينة مغرم ولا مكاس ولا وال، وإنما يحكم عليهم نقيب الأشراف))^(٢). وتمتد أحياناً سلطة النقيب إلى منطقة جغرافية أوسع تضم النجف وكربلاء والكوفة والخلة^(٣). فهو يجمع بشخصيته الصفة الدينية والاجتماعية، والصفة الإدارية، ويشرف على المرقد العلوي وخزانته، فيقول ابن بطوطة: ((ومن الناس في بلاد العراق وغيرها من يصبه المرض فينذر للروضة نذراً إذا برئ، ومنهم من يمرض رأسه فيصنع رأساً من ذهب أو فضة ويأتي به إلى الروضة، فيجعله النقيب في الخزانة، وكذلك اليد والرجل وغيرهما من الأعضاء، وخزانة الروضة عظيمة فيها أموال مالا يضبط لكثره))^(٤). ولا شك أن النذور للمرقد العلوي لها جذر تاريخي قديم.

فقد أشارت لنا المصادر غاذج كثيرة من هذه النذور منها إن أبو محمد الحسن بن الفضل بن سهلان لما مرض، نذر أن عوفي يكمل السور على مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام^(٥). ولكن لم نجد أية إشارة للنذور الخاصة بإصابة عضو من أعضاء الإنسان بمرض معين وعند الشفاء منه تقدم بدلها أعضاء من الذهب والفضة، كما وأشار ابن بطوطة في رحلته، كما لم نجد في الخزانة الحيدرية أية قطعة تؤيد هذا الزعم، وربما استقى ابن بطوطة ذلك من مصادر غير موثوقة. وإنما تأتي

(١) رشيد الدين الهمданى: جامع التواریخ / ٢ الجزء الأول .٢٩٦

(٢) ابن بطوطة: الرحلة .١١٠/١

(٣) ابن عبة: عمدة الطالب ص ٣١٦، ص ٣١٧، عبد الرزاق كمونة: موارد الإتحاف .٤٩/٢ .١٠٧

(٤) ابن بطوطة: الرحلة .١١٠/١

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية ٣٤٢/١١

النذور في اغليها لبناء مؤسسة ذات نفع عام، كما في نذر عمران بن شاهين أن عفا عنه عضد الدولة، يبني الرواق العلوي وقد وفى بنذرته^(١).

وكان ابن بطوطة قد أفادنا بحقائق إدارية لنقيب الأشراف في مدينة النجف قد شاهدها بنفسه، فهي تعطي صفة الحاكم المفوض، فيقول:

ونقيب الأشراف مقدم من ملك العراق، ومكانه عنده مكين ومنزلته رفيعة، وله ترتيب الأمراء الكبار في سفره، وله الأعلام والاطبال، وتضرب الطليخانة عند بابه مساء وصباحاً، واليه حكم هذه المدينة، ولا وال بها سواه، ولا مغرم فيها للسلطان ولا لغيره)^(٢). وذكر النقيب الحاكم في النجف بقوله: ((وكان النقيب في عهد دخولي إليها نظام الدين حسين بن تاج الدين الاوي))^(٣). وكان هذا النقيب قد تقلد نقابة العلوين في مدينة النجف الاشرف عام ٧٢٥هـ^(٤). أي قبل وصول ابن بطوطة للنجف بستين، وذكر ابن بطوطة من تولى نقابة العلوين قبل هذا التاريخ، ويقوله: ((وكان قبله جماعة يلي كل واحد منهم بعد صاحبه)) ومن هؤلاء:

١- جلال الدين بن الفقيه:

أشارت المصادر إلى جلال الدين بن الفقيه، نقيب العلوين في النجف بأنه كانت بيده النقابة والصدارة، وقد تولاهما بعد أخيه زين الدين هبة الله، وأضيف إليه منصب القضاء في عهد السلطان المغولي غازان^(٥). ولم يعط ابن بطوطة صورة عن النقيب جلال الدين، بل اكتفى بذكر اسمه.

(١) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٢٢٩/١، البراقى: الدرة البهية ص ٨٢، ص ٨٣.

(٢) ابن بطوطة: الرحلة ١١١/١.

(٣) م. ن.

(٤) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٣٠٤/١.

(٥) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٢٩٧/١.

٢- قوام الدین بن طاووس:

تقلد قوام الدين احمد بن عز الدين الحسن آل طاووس (ت ٧٤٠هـ) نقابة العلوين في النجف، وإمارة الحج، في عهد السلطان ارغون بن اباقا^(١). وقد اغفل ابن بطوطة الوظائف التي تقلدها هذا النقيب سوى توليه منصب النقابة.

٣- ناصر الدين مطهر بن الشريف الصالح شمس الدين الابهري:

أشارت المصادر إلى نقيب العلوين ناصر الدين مطهر بن شمس الدين محمد الابهري^(٢). وقد أورده ابن بطوطة بلفظ ((الاوهري))^(٣).

٤) أبو غرة بن سالم بن مهنا بن جماز بن شيخة الحسيني المدنى:

ولد أبو غرة بن سالم الحسيني في المدينة المنورة، وهاجر منها إلى مدينة النجف الاشرف، وتقلد نقابة الأشراف فيها، وتولى إدارة مرقد الإمام علي عليه السلام، واحتل منصب نقابة النقباء في بغداد^(٤). وعلى الرغم من تعداد ابن بطوطة لنقباء النجف دون أعطاء صورة لحياتهم العلمية والإدارية. فإنها ذات أهمية تاريخية لبيان طبيعة الإدارة في تلك الفترة، تضاف إلى ما ورد في الرحلة من حقائق وذلك لمعاصرة ابن بطوطة لبعض الأحداث.

أما مدينة الكوفة فهي لا تبعد عن النجف إلا بضعة أميال، فقد جاء وصف ابن بطوطة عنها مقتضباً، ويبدو أنه لم ييق بها طويلاً، فأوضح أهميتها التاريخية بقوله: ((وهي أحدى أمهات البلاد العراقية المتميزة فيها بفضل المزبة مشوى الصحابة والتابعين، ومنزل العلماء والصالحين وحضرته على بن أبي طالب أمير

^(١) م. ن ١/٢٩٨، كمونة: موارد الاتحاف ٤٧/٢.

^(٣) ابن عنبة: عمدة الطالب ص٨١، البراقى: تاريخ الكوفة ص٢١٧، محبوبة: ماضى النجف ١٣١١.

(٣) ابن بطوطة: الـ حلة ١/١١١:

^(٤) كمونة: مواد الاتجاف ١/١١٣.

المؤمنين)).^(١) وقد أشارت المصادر إن كثيراً من الصحابة والتابعين قد دفنتها بالثوية في ظهر الكوفة كالمغيرة بن شعبة، وأبي موسى الأشعري، وزياد بن أبيه، وخباب بن الارت، وقرظة بن كعب، وسهل بن حنيف، وعبد الله بن يقطر، وعبد الله بن أبي أوفى، وكميل بن زياد النخعي وغيرهم^(٢). ولم يبق من قبور الصحابة والتابعين في الوقت الحاضر سوى مرقد كميل بن زياد النخعي في منطقة الخناة، أحدى أحياء النجف الحديثة، وقد أحنيط بقبته مسجد كبير، وكان ابن بطوطة قد لاحظ في مدينة الكوفة الموضع التاريخية والأثرية والحضارية، إلا إن بعضها قد أصيب بالخراب بقوله: ((إلا إن الخراب قد استولى عليها بسبب أيدي العدوان التي امتدت إليها وفسادها من عرب خفاجة المجاورين لها، فأنهم يقطعون طريقها)).^(٣) وما ساعد على دخول هؤلاء الكوفة من وقت لآخر هو كما قال ابن بطوطة أنها ((لا سور عليها)). ثم وصف بناءها وأسواقها والحياة الاقتصادية فيها بقوله: ((وبناها بالأجر، وأسواقها حسان وأكثر ما يباع فيها التمر والسمك)).^(٤) وجاء وصف ابن بطوطة لجامع الكوفة دقيقاً فيقول: ((وجامعتها الأعظم جامع كبير شريف، بلاطاته سبعة قائمة على سوراري حجارة ضخمة منحوتة قد صنعت قطعاً، ووضع بعضها على بعض وأفرغت بالرصاص وهي مفرطة الطول، وبهذا المسجد آثار كريمة فمنها بيت إزاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال أن الخليل صلوات الله عليه كان له مصلى بذلك الموضع، وعلى مقربة منه محراب مخلق عليه بأعماد الساج مرتفع وهو محراب علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهناك ضربة الشقي ابن ملجم، والناس يقصدون الصلاة به، وفي الزاوية من هذا البلاط مسجد صغير مخلق عليه أيضاً بأعماد الساج يذكر انه الموضع الذي

(١) ابن بطوطة: الرحالة ١٣٧/١.

(٢) الحكيم: (الثوية موقعها وتاريخها) ص ١٤٤، ١٤٨.

(٣) ابن بطوطة: الرحالة ١٣٧/١.

(٤) م. ن.

فار منه التصور حين طوفان نوح عليهما السلام^(١). ثم انتقل ابن بطوطة في وصف الشواخص التاريخية الواقعة خارج مسجد الكوفة بقوله: ((وفي ظهره خارج المسجد بيت يزعمون انه بيت نوح عليهما السلام، وإزاءه بيت يزعمون انه متبعد إدريس عليهما السلام ويتصل بذلك فضاء يصل بالجدار القبلي للمسجد يقال انه موضع إنشاء سفينة نوح عليهما السلام، وفي آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب عليهما الله اعلم بصحة ذلك الذي غسل فيه ويتصل به بيت يقال انه بيت نوح عليهما السلام والله اعلم بصلة ذلك كلها))^(٢). ومن الجدير بالذكر إن بيوت الأنبياء التي أشار إليها ابن بطوطة لم تجد لها في المصادر ذكرًا سوى مقام إبراهيم الخليل ونوح عليهما السلام.

أما مواضع قبور آل البيت عليهما السلام فقد وقف عليها ابن بطوطة وأشار إليها بقوله: ((وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت مرتفع يصعد إليه فيه قبر مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليهما الله اعلم ، وبمقربة منه خارج المسجد قبر عاتكة وسكينة بنتا الحسين عليهما السلام))^(٣). ويقع مرقد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة والمخтар بن أبي عبيد الثقفي خارج مسجد الكوفة، ولم تجد في المصادر أية أشارة لقبرى عاتكة وسكينة سوى قبر خديجة بنت الإمام علي عليهما السلام الذي يقع بالقرب من مسجد الكوفة، مقابل باب الفيل، وعليه قبة مكسوة بالقاشي الأخضر. ووصف ابن بطوطة معالم قصر الإمارة وبقاياه بقوله:

((وأما قصر الإمارة بالكوفة الذي بناه سعد بن أبي وقاص عليهما الله اعلم فلم يبق إلا أساسه))^(٤). وما زالت أسس القصر قائمة حتى الوقت الحاضر، وهو مجاور ((دار الإمام علي)) الذي أشار إليه ابن بطوطة. وأما قبر المختار الثقفي فقد ذكره عند حديثه عن قبر عبد الرحمن بن ملجم المرادي بقوله: ((ورأيت بغربي جبانة

^(١) ابن بطوطة: الرحلة ١٣٧/١ - ١٣٨.

^(٢) م. ن : ١/١٣٨.

^(٣) م. ن.

^(٤) م. ن.

الكوفة موضعاً مسوداً شديداً السواد في بسيط ابيض فأخبرت انه قبر الشقي ابن ملجم، وان أهل الكوفة يأتون في كل سنة بالمحطب الكبير فيوقدون النار على موضع قبره سبعة أيام، وعلى قرب منه قبة أخبرت على أنها قبر المختار بن أبي عبيد^(١)). ونجد في الوقت الحاضر قبر المختار بن أبي عبيد التفقي شاخساً بالقرب من مرقد مسلم بن عقيل، ولم يكن أي اثر لقبر ابن ملجم في المنطقة القرية للمسجد أو لقصر الإمارة. ولم يغفل ابن بطوطة ريف الكوفة وبساتينها ونخيلها، وقد حدد المسافة بين نهر الفرات ومسجد الكوفة بقوله: ((والفرات من الكوفة على مسافة نصف فرسخ في الجانب الشرقي منها، وهو منتظم بحدائق النخل المتصلة بعضها ببعض)).^(٢).

ويبدو إن مدينة الكوفة في القرن الثامن الهجري، قد اخسرت عنها الحركة العلمية إذ لم نجد أية إشارة لابن بطوطة في هذا الجانب، فأصبحت النجف بدلاً منها مدرسة علمية واسعة، فيقول الشيخ علي الشرقي: ((فامتدت المدرسة من الكوفة إلى النجف، وفي القرن الثاني للهجرة بدأت العمارة والتشييد لمدرسة النجف، فانتقلت المدرسة من الكوفة إليها. وبقيت الكوفة تصب في بحر النجف إلى القرن الثامن للهجرة، وعند ذلك استوطنت النجف كل ما كان في الكوفة)).^(٣). وان عبارة ابن بطوطة: ((إلا إن الخراب قد استولى عليها)) تعطينا دليلاً واضحاً على أوضاع الكوفة العلمية والإدارية والاقتصادية والحضارية. وتبقى ((رحلة ابن بطوطة)) مصدراً مهماً لمؤرخي مدینتي النجف والكوفة بما ورد فيها من نصوص تتفق مع الواقع أو تختلف معه، وذلك لتتوفر عنصري الزمان والمكان في هذه الرحلة.

^(١) ابن بطوطة: الرحلة ١٣٨/١.

^(٢) م. ن.

^(٣) الشرقي: الأحلام ص ٤٢، الحكيم: الشيخ الطوسي ص ٩٦.

التاريخ الصناعي في منطقة المثلث الحضاري الحيرة والковفة والنجف

١- صناعة العطور:

عرفت ((خذ العذراء)). وهي أرض النجف من ظهر الكوفة بنباتاتها العطرية كالشيح والقيصوم وشقائق النعمان وغيرها، وقد وجد في أحد الأديرة القريبة من الكوفة مائة بيت للرهبان، وحول كل بيت بستان كبير به كثير من الأزهار^(١). وأشارت المصادر إلى أن مصانع الورود البنفسج نشأت في البصرة والكوفة في العصور العربية الإسلامية^(٢). وقد حافظت مدينة النجف اليوم على هذه الصناعة وما زال ((ماء الورد)) يحمل اسم النجف في الأسواق العراقية، وان سوق ((الريحة)) وهو سوق العطور أحد أسواق النجف المتخصصة بهذه الصناعة.

٢- صناعة الدهون والصابون:

وُجِدَتْ فِي مَدِينَةِ الْكُوفَةِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَاسِيِّ مُصَانِعٌ لِاستِخْرَاجِ زَيْتِ الْرِّيْتُونِ، وَكَانَ لِصَنَاعَ الْكُوفَةِ شَهْرٌ فَائِقٌ فِي هَذِهِ الصَّنْعَةِ، مَا جَعَلَ الْخَلِيفَةِ

^(١) الشابستي: الديارات ص ١٧١.

^(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم ص ١٠١.

العباسي المعتصم بالله أن يبعث في طلبهم عندما بني مدينة سامراء واتخذها عاصمة للدولة العباسية^(١).

كان في مدينة الكوفة سوق الصابون، وسوق للزيت عرف بسوق الزياتين، وبه يستخرج الزيت من السمسم وبذور القطن والكتان وتقع هذه الأسواق قرب قصر الإماراة^(٢).

٣- صناعة الخزف:

كانت مدينة الكوفة أحدى مراكز صناعة الخزف في العراق، وقد استطاع الكوفيون تطوير هذه الصناعة، وقد نجحوا في ذلك نجاحاً كبيراً^(٣). وأخذت صناعة الخزف في العراق تسير في طريق التقدم والرقي في البصرة والكوفة، وساهم عمال هاتين المدينتين بهذه الصناعة في مدينة سامراء في عهد الخليفة المعتصم^(٤).

٤- صناعة النسيج:

اختصت منطقة المثلث الحضاري (الحيرة، الكوفة، النجف) بصناعة النسيج، فقد عرفته مدينة الحيرة في عصر ما قبل الإسلام، فكانت المنسوجات الكتانية والحريرية تنسج في الحيرة. وكان بعضها في قصر الخورنق، وهي مصانع تعود للأسرة الحاكمة وقد أشار إليها الشاعر عمرو بن كلثوم، المتوفى عام ٦٠٠هـ بقوله^(٥):

حلت سليمى بخت بعد فرتاج وقد يكون قدما في بني تاج

(١) اليعقوبي: البلدان ص ٢٩، ينظر الزبيدي، العراق في العصر البوبي ص ١٥٠.

(٢) الزبيدي: العراق في العصر البوبي ص ١٦٧.

(٣) زكي محمد حسن: فنون الإسلام ص ٣٥٩.

(٤) اليعقوبي: البلدان ص ٢٩.

(٥) شيخو: شعاء النصرانية في الإسلام: ق ٢/ ص ٢٠٣.

إذ لا ترجى سليمى أن يكون لها
من الخورنق من قين ونساج
ولا يكون على أبوابها حرس
كما تلفف قبطي بدجاج
تمشي بعدلين من لؤم ومنقصة
مشي المقيد في البابوت والجاج
كانت المنسوجات الصوفية التي تصنع في مدينة الحيرة تجهز منها بلاطات
الأسر المالكة يومذاك، وقد وجد على أحد جدران دير هند الكبرى أبيات في مدح
آل المنذر من ملوك الحيرة منها:

والقز والكتان أثوابهم لم يجلب الصوف لهم جالب
أما مدينة الكوفة فقد اشتهرت بمنسوجات الوشي والخز^(١). وقد فاخرت
مدينة البصرة بهذه الصناعة، فيقول أبو بكر الهذلي الكوفي، ((نحن أكثر منكم -
يقصد هنا أهل البصرة - ساجا وعاجا ودياجا). وهذا النص نستدل منه على
شهرة الكوفيين بنسج الديجاج، وهو مأخوذ من الدبح أي النقش والتزيين، ومعناه
نسيج ملون لحمته وسداه من الحرير^(٢). وتذهب بعض المصادر إلى أن اليمنيين
الذين سكنوا مدينة الكوفة في العهد الراشدي، هم الذين نقلوا هذه الصناعة إلى
الكوفة، وأتسبحوا أنواعاً عديدة من المنتوجات التي كانت تشتهر بها اليمن في تلك
الفترة كان من بينها المنسوجات السعيدية المعاافية والسعفانية وغيرها، وسكن
جماعة من أهالي نجران اليمن قرب مدينة الكوفة، وكانوا يقومون بصناعة
النسيج، ويدفعون منها ضريبة الخراج المفروضة عليهم، وقد شاعت ((الحلل
النجرانية)) في مدینتي الكوفة وبغداد^(٣). وأضافت الكوفة إلى مصنوعاتها
النسيجية، صناعة العمامات التي كانت تصنع من نسيج الخز لكتار شيوخ المدينة، أما
عامة الناس فأنهم كانوا يلبسون الكوفية على رؤوسهم، وهي مناديل حريرية^(٤).

(١) ابن الفقيه: البلدان ص ٣٥٢، ابن العميد: تاريخ المسلمين ص ١٩٠، الوشاء: الظرف والظرفاء ص ١٢٨.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار ٢١٧/١، ابن سيدة: المخصص ٤/٧٦.

(٣) المختار: المنسوجات العراقية ص ٥٣.

(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم ص ١٢٨.

وقد أشار المباحثون إلى صناعة الكوفة النسيجية بقوله: خير الوشي بالثوب السابري، والكوفي. والابريسي^(١). ويقول ابن الفقيه: إن للكوفيين مهارة خاصة في صنع الوشي وصنع الخز^(٢). ولهم شهرة واسعة في صناعة الربط والخمر، وهي المنسوجات التي تسدلها المرأة على وجهها وأحياناً تكشف عن عينيها.

وتأسست في النجف الأشرف معامل للكوفية البيضاء، ومنها ((اليشماغ)) المنسوج وقام أصحاب المعامل بتقليد الشيماغ اللندني. وبطبع تشكيلته على الكوفية البيضاء. واشتهرت النجف بصنع العباءة بأنواعها، حتى أصبحت عالمية، وقد سماها ((نابليون الماريني)) بعباءة مشهد علي، وكانت تصدر إلى سوريا ومصر والحجاج^(٣). وتقول الكاتبة ليدي دراور: ((والنجف تستهل بصنع العباءة الحريرية على اختلاف أنواعها، وتميز العباءة النجفية بخيط أزرق يخاط على جنبة منها، ومعه الذهب والفضة والخيط هذا يزعمهم يقي من العين الشريرة^(٤)). وقد اختفت هذه الظاهرة في الوقت الحاضر، وربما كان يقوم بها بعض السذج من الناس، والعباءة النجفية على أنوع منها: العباءة الشتوية والصيفية والربيعية والجالية والنسائية.

واشتهرت النجف بصناعة ((الشراك)) وهي بيوت الشعر التي يستخدمها البدو في الbadia، وقادت بتجربة صناعة السجاد التي تحمل اسم ((النجف الأشرف)) فصدرت السجادة الأولى عام ١٩٧٢م. وهي تحاكي السجادة الإيرانية، وان كانت غزولها وأصباغها أجنبية^(٥). ولكن هذه السجادة لم تتحل مكانة كبيرة في الأسواق مما أدى إلى اختفائها.

(١) المباحث: التبصر بالتجارة ص ١٩.

(٢) ابن الفقيه: مختصر البلدان ص ٢٥٢.

(٣) نابليون الماريني: تنزيه العباد في مدينة بغداد ص ٢٦.

(٤) ليدي دراور: في بلاد الرافدين ص ٢٧.

(٥) جريدة العدل: العدد الأول، السنة السابعة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

٥- الصناعات المعدنية:

اشتهرت مدینیتنا النجف والکوفة بالصناعات المعدنية، فيقول الأستاذ عبد الجبار فارس: إن جميع التواعیر المنصوبة في منطقة الفرات الأوسط هي من صنع مدینیتي النجف والکوفة^(١). ويقوم اليوم سوق الصفارين بصنع الآباريق والأوانی والقدور وغيرها. ويقوم سوق الصاغة بصناعة المصوغات الذهبية والفضية ولدینا أقدم نص للصياغة في النجف يعود إلى عام ١١٥٦هـ/١٩٣٤م، فقد كان الصائغ زید بن واقصة يقع محله عند باب دار التقى بن اسامة العلوي. وأخذت الصياغة تتسع حتى تميز ((ذهب النجف)) عن بقية المدن بأنه يحتوى المثقال الواحد على ((٢٢ حبایة)) وفي عام ١٩٣٤م. رفع الصاغة النجفيون للملك غازي هدية تقیة تمثل الحضرة والروضة الحیدرية من الذهب الابرز، وفوق الضريح، مصحف شریف قد زین بالميناء والآیات الکریمة. وكتب عليه بیتان من الشعیر للخطیب محمد علی الیعقوبی وھما:

من التبر صیفت لكم قبة يقدمها النجف الأزہر
صغرۃ الشکل عن قبة ثوی تحتها العالم الأکبر
وقام الصائغ النجفي، بصیاغة الضريح الكاظمی الشریف عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م^(٢).

(١) عبد الجبار فارس: عامان في الفرات الأوسط ص ٧٣.

(٢) الموسوی: قبس من الكاظمین ص ٦٠.

الكوفة في الفكر الاستشراقي

آثار الكوفة في دراسات المستشرقين

تصدى بعض المستشرقين لدراسة آثار مدينة الكوفة وخططها القديمة ووقفوا على أنقاض تعود إلى عصور إسلامية مختلفة، وقد أشار الأستاذ جعفر الخليلي في ((موسوعة العتبات المقدسة / القسم المخصص لمدينة النجف الأشرف)) إلى الرحالة الأمريكي ((جون بيترز)) الذي زار الكوفة عام ١٨٩٠م، وذهب إلى القول: إن آجر المدينة قد نقل إلى النجف، وشار إلى ((كري سعدة)) وعده من الأنهار المندبرة، وتوصل إلى أنه يعود إلى عصر الملك البابلي ((نبو خذ نصر)), هو خندق حفره سابور ذي الأكتاف، فإنه يبدأ من مدينة هييت ويتهي بالخليج العربي، وقد اتفقت المصادر التاريخية على ذلك. ومن الجدير بالذكر إن العالم الأمريكي ((جون بيترز)) قد تخصص بعلم الآثار في جامعة بنسلفانيا، وقام بدراسة لآثار مدينة ((نفر)) التاريخية. وكان الرحالة الانكليزي ((لوفتس)) قد تجول مع بعثة بريطانية في منطقة الحدود العراقية الإيرانية عام ١٨٤٩م، وقد أراد الاطلاع على المعالم الأثرية في النجف والكوفة، وتوقف بعض الوقت في مدينة الكفل، وقد أشار إلى حادثة ((الطوفان)) وقال: إن سفينة نوح قد رست في أرض النجف، وتحدث عن استشهاد الإمام علي عليه السلام. وكتب المستشرق الرحالة الألماني ((نيبور)) رحلته عن العراق في القرن الثامن عشر الميلادي، وقد ترجمها أستاذنا الراحل الدكتور محمود حسين الأمين رحمة الله. وقد زار نيبور مدينة النجف الأشرف، ووقف على آثار مدينة الكوفة وشاهد ((كري سعدة)) وقال: انه ((اليلاكوباس)) الذي حفره سكان العراق الأقدمون، ورسم مخططاً لمسجد الكوفة، واستفاد من الدليل الذي رافقه في الرحلة، وكان من أبناء مدينة النجف، وكان قد حدد بعض الأسماء والمواقع في مسجد الكوفة، كباب الفيل، ومقامات الأنبياء عليهما السلام والأئمة عليهما السلام، وموضع سفينة نوح، ومرقدي مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، وقال: إن السيدة عادلة خاتون، بنت احمد باشا، وزوجة الوالي العثماني سليمان باشا، قد ساهمت في بناء مسجد الكوفة من الناحية الشمالية

الغربية، وتحدث المستشرق ((نيبور)) عن مسجد السهلة، واستمع إلى حديث المرافق له، أما المستشرق ((سروليس برج)) قد تحدث في كتابه ((رحلات إلى العراق)) عن تأسيس مدينة الكوفة ومرقد الإمام علي عليه السلام ونشأة مدينة النجف الأشرف، وقد استفاد من نصوص الرحالة المغربي ابن بطوطة، ووقف المستشرق ((سروليس برج)) على الواقع الأثري في مدینيتي الحيرة والكوفة، وبحر النجف، يوم كانت سفن الهند والصين تصل إليه. وقال: إن أرض النجف قبل الإسلام كانت مصيفاً للملوك دولة المناذرة اللخميين في الحيرة، وعند تأسيس مدينة النجف الأشرف التي سماها ((مشهد علي)) ساعد على اتساع حركة العمران فيها، وتحدث أيضاً عن مدرسة النجف العلمية، ومسجد الكوفة وأبراجه القوية، وتناول ((دار الإمارة)) وما قامت به مديرية الآثار العامة في العراق من تنقيبات.

وفي الحقيقة إن المستشرق الفرنسي ((لويس ماسنيون)) في كتابه الشهير ((خطط الكوفة وشرح خريطتها)) الذي ترجمه الأستاذ تقي محمد المصعيبي، والذي حققه مؤخراً الأستاذ كامل سلمان الجبوري، يعد من أهم كتب المستشرقين عن مدينة الكوفة فقد امتاز بالدقة في كثير من مباحثه، كما تحدث عن مدينة النجف الأشرف التي سماها ((ضاحية الكوفة)), وأضاف إلى ضاحية الكوفة منطقة ((الكناسة)) وهي من الأماكن المدرسة، وتناول المستشرق ((لويس ماسنيون)) خطط الكوفة من سكك ومقابر ومناهج وجbanات وصحابي وقطائع ومؤسسات اقتصادية ودينية، وأشار إلى بناء الكوفة عام ١٧هـ / ٦٣٨م بصورة مقتضبة. ويبقى كتابه ((خطط الكوفة)) موضع اهتمام الباحثين والمؤرخين عند الكتابة عن مدینيتي الكوفة والنجف الأشرف. ومن الملاحظ إن للمستشرق ماسنيون رحلة توغل فيها في مناطق الباادية ومنطقة بحر النجف، فوقف على الآثار التاريخية. ووصفها وصفاً دقيقاً. وكان القرن التاسع عشر الميلادي قد شهد تحركاً علمياً واسعاً النطاق قام به المستشرقون في العراق، فدرسوا آثاره، ومعالمه، ومظاهر الحضارة فيه، كما وقف بعضهم على المؤسسات العلمية واطلعوا على خزائن الكتب وما كانت تضم من مخطوطات نادرة، وقد اقتني بعضهم كثيراً من هذه الكتب ونقلها إلى أوروبا، وما

زالت إلى هذا اليوم محفوظة هناك. وقد قامت البعثات الجامعية الأوروبية بدور الكشف والتنقيب والاطلاع على كنوز المعرفة في العراق، ففي عام ١٩٣١م وصلت مدينة الحيرة ببعثة علمية من جامعة ((اكسفورد)) للتنقيب عن آثار الحيرة، وقد وضعت يدها على تحديد الأماكن الآثرية القديمة، وقد أكملت دائرة الآثار والتراث هذا الجانب وتم التنقيب عن منطقة ((أم عريف)), وفي عام ١٩٨٦م تقدمت بعثة يابانية للتنقيب في تلال بحر النجف ومنطقة الحيرة. وقد آن الأوان في الوقت الحاضر استرجاع الآثار العراقية المحفوظة في متاحف العالم، واسترجاع المخطوطات إلى مكتباتنا وتحقيقها ونشرها.

المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون وكتابه ((خطط الكوفة))

تخصص المستشرق الفرنسي البروفيسور المسييلويس فردیناند ماسنيون Louis.F.Massigon (١٨٨٣-١٩٦٢م) بالخطط والبلدان ودراسة الآثار في العراق والوطن العربي، وقد اهتمى إلى الأماكن المدرسة من مساجد وقصور وأديرة ومقابر وقنوات، وكانت مدينة الكوفة إحدى الحواضر الإسلامية التي نالت اهتماماته، فكتب كتابه الشهير ((خطط الكوفة)) ونشر بعنوان: *Expication Dapi An Dekufa, Irak*

وترجمه من الفرنسية إلى العربية السيد تقي محمد المصبغي، وطبع في صيدا عام ١٩٤٦م. وقام الأستاذ السيد كامل سلمان الجبوري بتحقيقه عام ١٩٧٩م. ونشرته جمعية منتدى النشر في النجف الأشرف. وكان المسييلويس ماسنيون مولعاً بدراسة الأطلال، والوقوف على الآثار المدرسة، والأنقاض البالية، قبيل تأليفه لكتاب ((خطط الكوفة)) ففي عام ١٩٠٨م. تجول في الكوفة وصحراء النجف، وكررها عام ١٩٣٤م، وقد رافقه الشيخ عطيه بن مارد ويبدو انه كان يستجمع مادته في هاتين الزيارتتين، وكانت مقدمة ((خطط الكوفة)) تشير إلى الشواخص القائمة لقصر الإمارة، وبيت الإمام علي عليه السلام، ومرقد ميثم التمار، ومرقد السيد إبراهيم الصطاطي الحسني، وسكة الترامواي بين النجف والكوفة، وكري سعدة، وأعطى لبعض شواخص المنطقة بعداً تاريخياً، وارتباطاً بدولة المنادرة في الحيرة، وقال عنها: (هي ثغر من ثغر الbadia (City-Caravan) وتحدث عن قصرى الخورنق والسدير، ولكن وقع في خلط بين قصرى السدير والأخضر، إذ اعتقد إن قصر السدير هو الأخضر، في حين إن النصوص التاريخية، والشعر العربي، والشواخص الموجودة تؤكد على إن الخورنق والسدير يقعان على بحر النجف، ولذا تحتاج مقدمة ((خطط الكوفة)) إلى دراسة دقيقة للوقوف على الهمفوات التي وقع فيها ((ماسنيون)) وجاء عنوان ((تمصير الكوفة)) مقدمة

للكتاب وقال: ((إن أول تلك المساكن التي بنيت في محلة كندة، هي منازل مراد، والخرج من الأنصار الذين كانوا قد سكروا مع كندة في محلة واحدة عقب تحالفهم معها)) وقد أقحم ماسنيون في نهاية حديثه عن تصير الكوفة، حديثاً مقتضياً عن سوريا، ومقارنة البصرة بالكوفة، ويشكل هذا الإقحام خللاً في منهجية المؤلف. وكان المستشرق ((لويس ماسنيون)) قد تناول خطط الكوفة الأولى، وهي الأسباع، وقد وزعت القبائل العربية عليها، بحيث أصبح لكل سبع من الأسباع أكثر من قبيلة عربية، وكانت الحقبة الزمنية بين (١٧-٣٦هـ) مستقرة لسكن القبائل، ولكن بعد دخول الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة بعد فراغه من موقعة الجمل في البصرة، واتخاذه الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية عام ٣٦هـ، قام بتغيير الأسباع، وفق مقتضيات الوضع السياسي، فأصبحت قبيلتنا همدان وحمير في سبع، ومذحج وأشعر وطي في سبع وقيس وعبس وذبيان وعبد القيس في سبع، والازد وبجبلة وخشم والأنصار في سبع، وكندة وحضرموت وقضاءعة ومهرة في سبع، وتغلب وبقية بطون ربيعة في سبع، وقال ((إن كندة أسرة ملكية، وهي أسرة الأشعث بن قيس)) وأراد ماسنيون بذلك ما قامت به قبيلة كندة من تأسيس حكومة في الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام. ولما تولى زياد بن أبيه ولادة الكوفة، في عهد معاوية بن أبي سفيان قام بتغيير جذري لخطط الكوفة، إذ قسم المدينة إلى أرباع، وقد حددها المستشرق ((ماسنيون)) بأهل العالية وتميم وهمدان وربيعة وبكر وكندة ومذحج وأسد، وقد استصوب رأي الباحث الشيخ نور الله الشوشتري في كتابه ((إحقاق الحق)) حول بطون قريش ورأياتها في معركة صفين مع الإمام علي عليه السلام، واخذ ماسنيون في دراسة المعالم الشахصة في الكوفة بدءاً من المسجد الجامع والمساجد الأخرى التابعة لبطون القبائل العربية، وحدد موقع القصر والميدان في الجهة الجنوبيّة من المسجد مع انحراف قليل نحو الشرق، وإن الميدان الذي يطل على القصر يقع في رحبة تسمى ((رحبة علي)) وتتناول بعد ذلك ((المناهج)) وهي جمع منهج، ومعناها الفواصل بين تصفييف الخيام التي اقطعها القائد سعد بن أبي وقاص عند تخطيط الكوفة، وقد سماها بما

يناسبها من أسماء، أما السكاك فأنها نسبت لقبائل عربية أو لرجال مشهورين، وكانت مفارق الطرق تسمى ((جهاز سوج)) وهي لفظة فارسية، ومعناها الطرق الأربع، وكانت تخيس وبجيلة وكندة وهمدان. وقدم المستشرق ماسنيون لمصادر المياه في الكوفة لمحات مختصرة لم تف بالغرض، ومن ثم تحدث عن مقابر الكوفة أو الجبانات، وهي عشر مقابر لقبائل معروفة، أما ((الثوية)) وهي جبانة الكوفة الكبرى، فأنها تقع خلف الخندق، وفيها مقابر قريش وثقيف، أما صحاري الكوفة فكانت ست، وقد نسبت لقبائل وأشخاص، وقد كانت لبعض الرجال قطائع قد حدد بعضها منها ((قطيعة عبد الله بن دارم)) التي تقع على دير هند الصغرى، وقطيعة عبد القيس، وقطيعة الأشعث بن قيس الكندي، وقطيعة جرير بن عبد الله البجلي، وتحت عنوان ((الطبوغرافية الاقتصادية للكوفة)) كان الحديث عن دار الرزق والأسواق والصيارة والسماسرة، والمهن والأصناف، وقد حدد ((ماسيون)) هذه الواقع جغرافياً، وربطها بحوادث تاريخية مقتضبة. أما الأسواق فقد حدها بالقول: أنها تمتد من القصر والجامع إلى دار الوليد بن عقبة من جهة، والقلائين من جهة أخرى، وإلى منازل ثقيف وأشجع من الجانب الآخر، وإن هذا التحديد يستحق الثناء والتقدير، لأنه قد استوحى الدقة، وبعد التاريخي وقال: إن حوانيت الصيارة تقابل مسجد الصيرفة في الكوفة، وإن هذه المهنة تتصل بتاريخ الحيرة في عصرها ما قبل الإسلام ووقف ((ماسيون)) على المهن والأصناف، وهي على الرغم من اقتصابها، فأنها ذات أهمية اقتصادية. وأشار ماسنيون إلى خارطة المستشرق ((كارستن نيبور Nibuhr)), وقال عنها: ((نبي أن يبين بباب الفيل في الشمال)) ويعطي هذا النقد صورة عن اهتمام المستشرق ماسنيون بالخطط والمواقع، كما وجّه تقدماً إلى المستشرق ((الأب لامانس Lammense)) في بعض آرائه الدينية.

وقد ادخل ((ماسيون)) ضواحي الكوفة ضمن خططها وهما: ضاحية النجف وضاحية الكناسة، فقد أطلق لفظ ((مشهد علي)) على ضاحية النجف، وربط أرض الغري قبل الإسلام بمنطقة الحيرة، ومن ثم قدم دراسة مقتضبة عن

مقبرة وادي السلام، و محلات النجف الواقعة ضمن سورها الأخير، والإشارة إلى عشائرها، أما ضاحية الكناسة فأطلق عليها لفظ ((المندرسة)). ويقى كتاب ((خطط الكوفة)) للمستشرق الفرنسي ماسنيون يمثل الصدارة من بين كتب الخطط والبلدان، ويحتاج إلى دراسة منهجية وتحليلة من لدن طلبة الدراسات العليا.

موقف المستشرق فلهوزن من مرويات أبي مخنف

تعرض المستشرق ((فلهوزن Wellhausen)) في كتابه: ((تاریخ الدولة العربية وسقوطها)) للإخاري الكوفي أبي مخنف لوط بن يحيى، المتوفى عام ١٥٧ھ/٧٧٤م. وقد أشار إلى اهتماماته بشؤون العراق، وبمدينة الكوفة على وجه الخصوص وفيما عدّاهما: ((فليس عنده علم صحيح اختص به، ونظرًا إلى أن الكوفة وال伊拉克، كانتا مقر الحزب المعارض لحكومة الدولة، فإن أبو مخنف يتكلّم خصوصاً عن ذلك)), ولكن قائمة مؤلفات أبي مخنف قد اجتازت هذا التحديد الجغرافي الذي ذهب إليه المستشرق ((فلهوزن)), فإن كتبه ((الردة، وفتح الشام، والشورى ومقتل عثمان)) وغيرها التي تناولت حكم معاوية بن أبي سفيان، وولده يزيد، وحكم عبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، وكتبه عن فتوح خراسان، وحركات الخوارج، تبعد الإخاري أبو مخنف عن جغرافية العراق، وإن ما ذكره ((فلهوزن)) في هذا الجانب لا يتفق مع رأيه القائل: إن الموضوعات التي تناولها أبو مخنف بتفصيل وشفافية هي ثورات الخوارج والشيعة. وهذا الرأي صحيح إذا كان الحديث عن هذه الثورات في العراق، ولكن هناك ثورات للخوارج والشيعة في مناطق متفرقة من المشرق الإسلامي ومغربه، وقد تناول أبو مخنف مواضيع مختلفة في التاريخ الإسلامي، وبخاصة تلك التي تتناول الشيعة والعلويين، لم يbole العقائدية نحوهم، فقد ذكرت المصادر إن جده كان من أصحاب الإمام علي عليه السلام، وقد استفاد أبو مخنف من روايات الكوفيين، وقبيلة الازد، وقد قيل: إن أبو مخنف قد اهتم بأمر العراق وفتحها، وإن المدائني قد اهتم بأمر خراسان والهند وفارس، وإن الواقدي قد اهتم بأمر الحجاز، وهذا القول صحيح وسليم في حالة تغلّب مؤلفات هؤلاء الإخاريين عن منطقة دون سواها، ولكن هذا لم يكن مانعاً من خروجهم عن المناطق المحددة المذكورة، ويقول ((فلهوزن)): إن أبو مخنف يمثل الروايات العراقية، وقد تغلب هواه على أهل العراق، وكان إلى جانب الإمام علي عليه السلام وأبنائه، ولكن رواياته جعلت

المؤرخين من أمثال الطبرى وابن الأثير يعتمدونها دون النظر إلى ميوله العلوية، فقد أورد أبو مخنف الصورة العراقية نتيجة انتماءاته الإقليمية للعراق والكوفة، وربما إن كتبه عن معركتي الجمل وصفين كانتا في المقدمة، وهي أقدم الكتب التي كتبها أبو مخنف، ويقول المؤرخ ابن قتيبة في كتابه ((المعارف)): إن أبو مخنف صاحب أخبار وانساب، ويقف المستشرق ((فلهوزن)) على روایات المؤرخ الكبير أبي جعفر الطبرى التي اقتبسها من أبي مخنف فيقول: ((ولا نكاد نجد من أخبار موقعة صفين عند الطبرى إلا ما يذكره أبو مخنف)) وفي الحقيقة إن الجزئين الرابع والخامس من تاريخ الطبرى تؤكد اقتباساته، ويقول: ((والطبرى في العادة يذكر روایات أبي مخنف بحسب روایة ابن الكلبى لها)) كما ورد ((حكى المدائى عن أبي مخنف ثم أورد روایات عن مقتل عثمان بن عفان، ومن يقف على نصوص ابن سعد في كتابه ((الطبقات الكبرى)) والطبرى في تاريخه يلاحظ تقولاتهما عن أبي مخنف، عن محمد بن السائب الكلبى وولده هشام، وممضى ((فلهوزن)) في إيضاح منهجية أبي مخنف في موقعة صفين فيقول: ((وحكاية أبي مخنف لموقعة صفين طويلة جداً في الحقيقة، وهي من طراز أخبار موقع القادسية ونهاؤند، يحتل الكلام عن مقدمات المعركة، قبل بدء الالتحام الحقيقي)) وكان أبو مخنف يستقي أخبار معركة صفين من شيوخ قبيلة الازد عن آبائهم، كما ذكر الطبرى في تاريخه، وهي تعطى صفة الروایات العائلية كقوله: ((قال أبو مخنف: وحدثني أبي يحيى بن سعيد، عن عمه محمد بن مخنف، قال: كنت مع أبي مخنف بن سليم يومئذ، وأنا ابن سبع عشرة سنة)) وكان يذهب أحياناً إلى رواة آخرين كعامر الشعبي، وأبي المخارق الراسبي، ومجالد بن سعيد، ومحمد بن السائب الكلبى، ويقول فلهوزن: ((أما في الأغلب فإنه لم يأخذ ما رواه عن أقرانه من الرواة المتقدمين بل هو قد جمع روایاته من سماعه لها بنفسه ومن السؤال عنها في مختلف مظانها وعند كل من استقالها من مصادرها أو حضرها بنفسه من الناس)) وقد أشار إلى هذا الجانب ابن النديم في كتابه ((الفهرست)) بقوله: ((قرأت بخط احمد بن الحارث الخراز، قالت العلماء: أبو مخنف بأمر العراق وأخبارها

وفتوحها يزيد على غيره) ولاشك إن كثيراً من النصوص التي استقاها أبو مخنف قد سمعها من رواة وقصاصين، وقد وجه المستشرق ((فلهاوزن)) نقداً لاذعاً إلى بعض الرواية بقوله: ((نحن أمامنا طائفة كبيرة جداً من أسماء رواة نجهلهم جهلاً تماماً، وهؤلاء الرواة الذين شهدوا الحوادث لا يدركون ما يروونه إدراكاً كلياً شاملأ، بل هم يذكرون أقل الحوادث شيئاً ولا يغفلون عند وصف الحادثة ذكر الأسماء المتصلة بها، وهم يجعلون الأشخاص في أفعالهم وأقوالهم في محل الأول)), ولم تكن هذه مثابة لأبي مخنف، وإنما كان رواة عصره يسيرون وفق هذا الخط، وقد أشار المستشرق ((بروكلمان)) في كتابه ((تاريخ الأدب العربي)) إلى هذه الظاهرة فيقول: ((وذهب كثير من المتأخرین في العصر العباسي مذهب أبي مخنف)، فقد كانوا يجمعون روایات متعددة، فما على المؤرخ إلا الموازنة بينها ليعرف الصحيح من غيره، وحاول المستشرق ((فلهاوزن)) الوقوف على أخطاء أبي مخنف دون مراعاة لظروف عصره فيقول: ((فإن أبي مخنف لا يتناول برواياته فترة طويلة من الزمان، وهو لا يربط بين أجزائها ربطاً يراعي الواقع كما هي ويراعي ترتيبها التاريخي)), وفي الحقيقة إن هذه المنهجية لم تكن سائدة في القرن الثاني للهجرة، وإنما جاءت بعد عدة قرون وقد كان غرض الإخباريين جمع الروايات والأخبار من مصادر عائلية أو غيرها، ولو لاتهم لضاعت الأخبار، وإلى هذا الجانB أشار ((فلهاوزن)) بقوله: ولو إن أبي مخنف لم يكتب لخسر التاريخ خسارة كبيرة، وكيف كان يمكنه أن يسلك فيما كتب طريقاً غير الذي سلكه؟ فلم تقدم لنا المصادر المكتوبة مادة كبيرة يستطيع أن يعتمد عليها، وهو قد انتفع بها ما كانت في متناول يده، ولكن من غير أن يجتهد في البحث عنها وفي جعلها أساساً على نحو منظم، وأكثر ما يرويه في معرض ذكر الشواهد التي تؤيد رواياته قصائد وأبيات من شعر الشعرااء، وهذه المنهجية التي سار عليها قد سلکها غيره من الإخباريين، ولكن لو وقف المستشرق ((فلهاوزن)) على رواياته حول السقيفة وأخبارها فإنه كان ينقلها بدقة متاهية، ولعل صراحته في إيراده لهذا الحدث جعلت المحدثين يوجهون إليه مصطلحات التضييف التي اعتادوا على ذكرها مثل

((ليس بثقة، متزوك، ونحو ذلك)) وقد أشار المستشرق ((بركلمان)) في كتابه ((تاریخ الشعوب الإسلامية)) بان أبو مخنف على الرغم من كونه شيعياً وكوفياً، لكنه لم تبرز عليه مذهبيته في مؤلفاته، ولكن في الوقت نفسه أورد وصايا الإمام علي عليه السلام ذات المحتوى الإنساني والأخلاقي في المعارك التي خاضها كما أشار المؤرخ بحشل في كتابه ((تاریخ واسط)) إلى وصية الإمام علي لجنده يوم الجمل بقوله: ((لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً)) وقد تلمستنا غرابة في بعض آراء المستشرق ((فلهوزن)) التي تتقاطع مع الواقع التاريخي كقوله: ((إن أبو مخنف قد أغفل في بعض الأحيان شيئاً ما لا يعجبه كإغفاله مثلاً إن عقيل بن أبي طالب كان في موقعة صفين يحارب في صفوف أعداء أخيه علي بن أبي طالب)), ولم يشر فلهوزن إلى المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة التي لم نجد لها ذكرًا في المصادر، ولا ندري من أين استقى فلهوزن هذه المعلومة، علمًا إن عقila كان أعمى غير قادر على القتال، وكل ما في الأمر إن علياً عليه السلام كان يعامله كما يعامل الآخرين في العطاء، مما اوجد في نفس عقيل غضاضة على أمير المؤمنين عليه السلام. ووقف المستشرق ((فلهوزن)) على روايات أبي مخنف فوجد في بعضها هفوات وقد أوضحها بقوله: ((ويعزوه ترتيب الحوادث ترتيباً تاريخياً مطرباً فهو لا يذكر إلا تواريخ بين أيام الأسبوع من غير ذكر الشهر والسنة، فهو لا ينظم الحوادث في خيط يصل بينها، بل يصف كل حادث على حدته مستقلاً عما عداه، ويسيهـ في ذلك أكبر الإسهامـ من غير إن يهتمـ باختصارـ علىـ ماـ هوـ جوهـريـ)), وقد أشار مترجمـ أبو مخنـفـ إلىـ مؤـلفـاتهـ البـالـغـةـ اثـنـيـنـ وـثـلـاثـيـنـ كـتاـبـاـ،ـ وكانـ يـعـالـجـ فـيـ كـلـ كـتـابـ حـادـثـةـ مـعـيـنـةـ،ـ أوـ سـخـصـيـةـ إـسـلـامـيـةـ بـارـزـةـ،ـ أوـ أـسـرـةـ عـرـيـةـ مـعـرـوـفةـ،ـ وـقـدـ اـسـتـطـاعـ فـيـ خـلـالـ هـذـهـ الشـرـوـةـ التـارـيـخـيـةـ الـهـائـلـةـ إـخـرـاجـ الـأـخـبـارـ وـفـقـ تـرـسلـ رـائـعـ قـدـ اـنـتـظـمـ فـيـ أـكـثـرـ مـنـ ثـلـاثـيـنـ مـقـالـةـ مـسـتـقـلـةـ،ـ تـتـأـلـفـ كـلـ مـنـهـاـ فـيـ الـأـعـمـ الأـغـلـبـ مشـاهـدـ مـفـرـدةـ كـمـ أـشـارـ إـلـيـهـ الـمـسـتـشـرقـ ((برـوكـلـمانـ))ـ وـيـقـولـ الأـسـتـاذـ شـاـكـرـ مـصـطـفـيـ فـيـ كـتـابـهـ ((التـارـيـخـ الـعـرـبـيـ وـالـمـؤـرـخـونـ))ـ:ـ إـنـ أـبـاـ مـخـنـفـ لـمـ يـهـمـلـ التـسـلـسلـ الزـمـنـيـ لـحـوـادـثـهـ،ـ فـالـأـحـدـاثـ عـنـدـهـ مـفـصـلـةـ،ـ وـلـكـنـ دـوـنـ تـمـسـكـ كـبـيرـ،ـ

وتخللها الصور المشاهد من خطب ومحاورات وشعر مما يقربها من قصص السمر والأيام، ولكن هذه النصوص كانت مؤيدة بالإسناد.

آراء استشرافية في تحليل حركة المختار الثقفي

اعتمد المستشرقون في دراساتهم لحركة المختار بن أبي عبيد الثقفي (٦٦-٦٧هـ) على نصوص المؤرخين العرب والمسلمين، وتوصلوا إلى نتائج بعضها عقلانية، قرية من الصحة، وأخرى بعيدة عن الواقع الحقيقي للحركة، فقد تناول المستشرق ((ولهاوزن)) حركة المختار في كتابه ((الدولة العربية وسقوطها)) و((الخوارج والشيعة)) فقد استعرض الوضع السياسي في العراق في عهد عبد الملك بن مروان، وعد حركة مصعب بن الزبير وتقاطعها مع حركة المختار الثقفي من أهم أسباب سقوطهما فيقول ((وكان من حظ عبد الملك إن مصعب بن الزبير قد ضايقه الشيعة والخوارج في إمارته نفسها، فلم يستطع أن يفكر في الشروع في حرب خارج العراق)) وهذا الرأي سليم فقد انتظر عبد الملك نتيجة الصراع بين مصعب والمختار، ولما آلت النتيجة إلى مصعب تفرغ له وأنهى حركته بسهولة، وقد أوضح فلهوزن هذا الجانب في كتابه المشهور ((الخوارج والشيعة)) وقد تعرض في هذا الكتاب إلى حركة المختار والتقاءه العسكري بعييد الله بن زياد في الكوفة، قبيل إعلان حركته، إذ أن ابن زياد ضربه على عينيه، فقال: ((قتلني الله إن لم أقطع أنامله وأرجله وأأعضاءه)) فكان قد وضع هذه الحادثة نصب عينيه، ولكن في الوقت نفسه كان يستعرض مأساة الإمام الحسين عليه السلام والبيت في يوم الطف فيقول ((لا قتلن بقتله عدة القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكريا)), وكان المستشرق فلهوزن مستعرضاً للنصوص التاريخية المودعة في المصادر، وكانت فعلاً معركة ((الخازر)) خاتمة لجبروت عييد الله بن زياد، وأدت إلى مقتله وينذهب ((فلهاوزن)) وغيره من المستشرقين إلى إن انضمام الموالي إلى حركة المختار ساعد على نجاح حركته المؤقتة، في حين إن أشراف العرب قد اتجهوا إلى مصعب بن الزبير وهذا أمر طبيعي إذ إن كثيراً من هؤلاء قد لطخوا أيديهم بدماء الحسين والبيت وأصحابه، ولكن يجب علينا القول إن بعض أشراف العرب كانوا مع المختار كإبراهيم بن مالك الاشت. وقد أشار فلهوزن في كتابه ((الدولة العربية)) إلى

استغلال عبد الملك لهذه الحالة، وهو يرى إن أهل العراق ((يقتلون ويفنون بعضهم بعضاً)), وكان يميل إلى تفسير عنصري للأحداث في العراق، إذ انه كان يرى الصراع الدائر بين الموالي المظلومين، وبين العرب الحاكمين، ولكن لم يكن هذا الرأي سليماً وفق آليات الأحداث، فقد يكون التمييز الاجتماعي أحد آلياته، ولكن الأكثر واقعية هو الجانب الديني الذي أحده استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في نفوس العراقيين. وقد أشار فلهاوزن إلى هذا الجانب من طرف آخر حينما عد المختار الثقفي شيعياً متحمساً، غرضه الانتقام من قتلة الحسين، وكان في الوقت نفسه منصفاً للموالي الذين ظلموا في عهد الدولة الأموية، وكان قد أطلق لفظ الخشبية على الموالي، وذلك لحملهم الخشب بدلاً من السيوف، وأشار الأستاذ علي حسني الخربوطي في كتابه عن ((المختار الثقفي)) إلى رأي المستشرق ((فلهاوزن)) فيقول: ((ويجعل المؤرخ فلهاوزن عدم أنصار المؤرخين العرب للمختار بأنه وقف إلى جانب الموالي، وعمل على تحسين أوضاعهم السياسية والاجتماعية مما أغضب بعض العرب منه)), ويتفق فلهاوزن مع غيره من المستشرين من أمثال ((فريد لندن)) و((فون ارندونك)) على إن لفظ ((الخشبية)) قد تطلق على أصحاب المختار. إلا أنهم شهروا سلاحاً خشبياً بالحرم المكي، وقت إيقادهم للسيد محمد بن الحنفية (ابن الإمام علي عليه السلام) من سجن عبد الله بن الزبير، وامسکوا بالخشب المعد لحرق ابن الحنفية وأصحابه، وقد استعرض ((فلهاوزن)) في كتابه ((الخوارج والشيعة)) جانباً من حياة المختار الثقفي في الكوفة، وصلاته بعيد الله بن زياد، ووقوفه إلى جانب مسلم بن عقيل (رسول الإمام الحسين لأهل الكوفة)، ونفيه إلى خارج الكوفة بعد قصائه مدة في سجن ابن زياد.

وكتب المستشرق البريطاني ((كلوب)) عدة كتب تناولت جانباً من التاريخ الإسلامي ومنها كتاب ((إمبراطورية العرب)) وقد استعرض حركة المختار الثقفي وفصولها السياسية والعسكرية ووصف صراع المختار مع مصعب بن الزبير في البصرة، وعيid الله بن زياد في الموصل بالقول: ((وهكذا غداً وكأنه بين حجري

الرحى)). وقد اتفق مع غيره من المستشرين على اعتقال ابن زياد للمختار، وعند إطلاق سراحه ((اقسم على أن يثار لنفسه من عبيد الله، فترك الكوفة متوجهًا إلى مكة))، ويعد المستشرق ((كلوب)) هذه الحادثة سبباً لاتصال المختار بشيعة الكوفة، بعد حركة التوابين التي قادها سليمان بن صرد الخزاعي، والتي انتهت بمعركة ((عين الوردة)) المفجعة، وفي الحقيقة إن المختار استفاد من حركة التوابين، وحصل على تأييد من الكوفيين، بحيث أصبح المختار كما يقول ((كلوب)) أحد الثلاثة المنافسين على السلطة وهم: عبد الملك بن مروان في سوريا ومصر، وعبد الله بن الزبير في الجزيرة والبصرة، والمختار الثقفي في الكوفة وشمال فارس. وحينما استعرض حركته وإعلان برنامجه على الناس، حصل على البيعة، وعند ذلك أرسل بعض الولاة لأرمينيا وأذربيجان والموصل والجبال. وذلك إلى القول: ((حتى راح يبعث بجيشه إلى الموصل لوقف زحف عبيد الله بن زياد، وقد عهد بقيادته إلى إبراهيم بن مالك الاشت)) وأعطى تفسيرًا لهزيمة جيش الشام على الرغم من كثرة عدده، وذلك لعدم ولاء قبائل قيس لبني أمية، والذين كانوا في ميسرة الجيش مما أدى إلى رجحان كفة ابن الاشت على ابن زياد، وتعرض المستشرق ((كلوب)) إلى هزيمة المختار أمام جيش مصعب بن الزبير، وعند ذلك ((اصدر مصعب أمره بقتل جميع الأسرى)). وهذا الرأي قد أكدته المصادر التاريخية.

وكان المستشرق ((شارل بلات)) في كتابه ((الجاحظ)) قد استقى نصوصاً من تاريخي الطبرى وابن الأثير قد أشار إلى جانب من حركة المختار الثقفي، وعند حديثه عن الكيسانية والمختارية اعتمد على البغدادى في كتابه ((الفرق بين الفرق)), وعند حديثه عن التوابين وحركة سليمان بن صرد الخزاعي أطلق لفظ ((جماعة التلاوم والتنادم)), على أصحاب هذه الحركة، وفي الحقيقة إن هذا اللفظ قد ورد في المصادر الإسلامية، وفي كتاب ((الأنساب)) للسمعاني. ونجد في كتاب ((مختصر تاريخ العرب)) لسيد أمير علي (المؤرخ الهندي) الذي كتبه باللغة الانكليزية، وترجم إلى اللغة العربية فأشار إلى مطاردة المختار لقتلة الحسين

والإمعان في قتلهم، وأطلق لفظ ((الجزار)) على عبيد الله بن زياد. ووقع المستشرق (نيكلسون Nicholson) في كتابه ((Literary History of the Arabs)) في وهم حينما عد انضمام الموالي إلى حركة المختار، هدفه مقاومة العرب بدلاً من أن تكون ضد الأمويين، دون أن يشير إلى إن المختار ينحدر من أسرة ثقيف العربية أولاً، وإلى اضطهاد الموالي على أيدي الأمويين، فيقول: إن المختار ألقى بنفسه في أحضان الموالي مما جعلهم يقفون في وجه الدولة الأموية والعرب. وجعل المؤرخ المستشرق (ميور Muir) في كتابه ((Rise and Decline of the Caliphate, Its Fall)) إن سياسة المختار قد بنيت على أساس من الرمال، فلم يكتب له البقاء وقد استهدف في رأيه هذا انضمام الموالي إلى المختار. وقد أطلقـت المستشرقة ((بو جيناغيانه ستـشـجيـفـكا)) في كتابها ((Tariikh al-Dawla al-Islamiyya)) لفظ الفتنة على حركة المختار الثقافي كما أطلقـتـ لـفـظـ نـفـسـهـ ((بروكـلـمانـ))ـ في دائرةـ المـعـارـفـ الإـسـلامـيـةـ وـهـذـاـ نـاتـجـ مـنـ عـدـمـ فـهـمـ لـلـتـارـيخـ الإـسـلامـيـ وـعـدـمـ وـعيـ تـامـ لـحـوـادـهـ،ـ وـقـدـ الصـقـ الدـكـتـورـ ((راـجـوـ فـسـكيـ))ـ العـقـيـدةـ الـخـارـجـيـةـ بـالـمـخـتـارـ،ـ وـقـدـ وـقـفـ مـعـ الـخـوارـجـ ضـدـ الـأـمـوـيـنـ وـقـدـ التـقـيـ ((دونـدـلسـنـ))ـ فيـ كـتـابـهـ ((عـقـيـدةـ الشـيـعـةـ))ـ معـ هـذـاـ الرـأـيـ،ـ وـلـكـنـهـ قـالـ:ـ إـنـ المـخـتـارـ اـدـعـىـ أـنـ يـعـمـلـ بـاسـمـ إـلـمـامـ زـيـنـ الـعـابـدـينـ عـلـيـسـلـامـ،ـ وـقـدـ تـبـعـ قـتـلـةـ الـحـسـينـ وـلـمـ يـوـضـعـ هـلـ إـنـ المـخـتـارـ تـرـكـ الـعـقـيـدةـ الـخـارـجـيـةـ،ـ وـمـنـ ثـمـ اـتـجـهـ نـحـوـ التـشـيـعـ،ـ إـلـىـ هـذـاـ أـشـارـ المـؤـرـخـ ((دوـزـيـ))ـ فيـ كـتـابـهـ ((Essai Sur 'Hist de' Islamisme))ـ إـنـ المـخـتـارـ كـانـ خـارـجـيـاـ ثـمـ زـيـرـيـاـ ثـمـ شـيـعـيـاـ،ـ وـيـقـوـلـ الـدـكـتـورـ عـلـيـ حـسـنـيـ الـخـرـبـرـطـلـيـ فيـ كـتـابـهـ ((المـخـتـارـ))ـ إـنـ هـذـاـ الرـأـيـ يـتـعـارـضـ مـعـ رـأـيـ فـلـهـاـوـزـنـ،ـ فـيـذـكـرـ أـنـ لـاحـقـ لـدـوـزـيـ أـنـ يـجـعـلـ المـخـتـارـ مـعـرـضـاـ لـلـسـخـرـيـةـ،ـ وـيـرـىـ أـنـ دـوـزـيـ لـمـ يـفـهـمـ المـخـتـارـ عـلـىـ حـقـيقـتـهــ.ـ وـكـانـ بـحـثـ الـأـسـتـاذـ الـدـكـتـورـ فـارـوقـ عـمـرـ فـوزـيـ المـشـورـ فيـ مجلـةـ ((آـفـاقـ عـرـبـيـةـ))ـ فيـ العـدـدـ السـادـسـ مـنـ السـنـةـ الثـالـثـةـ وـقـدـ تـنـاوـلـ حـرـكـةـ المـخـتـارـ الثـقـفيـ،ـ مـعـتمـداـ عـلـىـ آـرـاءـ بـعـضـ الـمـسـتـشـرـقـيـنـ مـنـ أـمـالـ ((الـبـرـوـفـسـورـ مـوسـكـاتـيـ Moscati))ـ الـذـيـ أـكـدـ عـلـىـ

المحتوى الديني لحركة المختار، وان ((البروفسور كلود كاهين)) قد ذهب إلى إن المختار قد جعل محمد بن الحنفية مهدياً، أما الدكتور ((راجكوسكي Raikawski)) فإنه كان يفصل في آراء المختار الدينية التي جذبت إليه قبائل الكوفة اليمانية والموالي، وكان ((فان فلوتن)) في كتابه ((السيادة العربية)) قد ذهب إلى رأي مفاده إن المختار ضمن مساعدة العرب والموالي من أهل الكوفة، في حين كان عدد الموالي يفوق على عدد العرب. وتحتاج آراء المستشرقين عن المختار الثقفي إلى وقفة طويلة لتبيان ما ذهبوا إليه من تفسير للتاريخ.

**الكوفة
والحياة العلمية والفكرية**

الكوفة من الجامع إلى الجامعة^(١)

ذهب بعض المؤرخين والباحثين إلى أن تأسيس الكوفة كان يعود لعاملين هما: العامل العسكري، والعامل الجغرافي^(٢) فذكروا أن تأسيس مدينة الكوفة جاء لضرورة عسكرية تطلبها دواعي عمليات التحرير العربية الإسلامية للعراق (فكان من الضروري أن يتخد الجيش الإسلامي المحارب نقطة ارتکاز له ليستريح عندها من عناء السفر، وعناء الحرب، أو معسكرا ثابتا من ميدان القتال)^(٣)، وقد قيل: أن الكوفة دار هجرة ومنزل جهاد، وقيل إنها كوفة الجندي^(٤)، وقد جاء تأسيس الكوفة بعد موقعة القادسية، فنزلها سعد بن أبي وقاص وخططها خططا لقبائل العرب، وابتني بها دارا^(٥)، أما العامل الجغرافي فيعود إلى صلة الكوفة بالجزيرة العربية، وتشابه البيئة بينهما، ولذا جاء التفكير بتخطيط مدينة تحفظ للجيش حيويته وقوته، وتعينه على المصي في الرسالة الكبرى التي غادر الصحراء من أجلها، وهي الجهاد في سبيل الله^(٦)، وقد طلب عمر بن الخطاب من سعد بن أبي وقاص أن يتخد للمسلمين دار هجرة وقريوانا^(٧)، والمقصود بدار الهجرة أن تكون مركزا للقتال، الذي يرابط فيه مع أميرهم تحت السلاح، وكان الجنود

(١) بحث ألقي في المؤتمر العلمي الثالث (دور الكوفة في التراث العربي الإسلامي) في كلية الفقه في الفترة من ١٩٨٨/٤-٣ ونشر في جريدة الثورة في العدد ٦٧٦٧ الصادر في ١٢/٧/١٩٨٨. مقال تحت عنوان (تأسيس الكوفة).

(٢) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص ٢٣.

(٣) الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن ص ٨٣.

(٤) ياقوت: معجم البلدان ٤/٤٩١.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٢.

(٦) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص ٢٣.

(٧) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٧٤.

المسلمين يسمون أحياناً (المقاتلة) وأحياناً (المهاجرة) وإن لفظ (القيروان) يؤدي هذا المعنى أيضاً إذ إن من معانيها (الجامعة من الخيل ومعظم الكتبية)^(١).

ويضاف إلى العاملين المذكورين، عاملان آخران هما: العامل التاريخي، والعامل الفكري، فالكوفة وريث تاریخي لمدينة الحيرة، كما إن مدينة النجف وريث تاریخي للكوفة، فإن نشأة الكوفة عربية كانت بعيدة عن المؤثرات الأجنبية كالهندية والفارسية وغيرها، فإن القبائل العربية التي جاءتها مهاجرة من الجزيرة العربية، أو التي كانت ساكنة في الحيرة في عصر ما قبل الإسلام والتي اتخذت من المسيحية ديانة، فقد أعطت للحيرة بعدها فكرها جعلها تساير دول الشام المعاصرة لها كالغساسنة والأنباط، فقصدتها الشعراء، وأنشدوا في ملوكها القصائد، وتغنوا في مبانيها كالقصور والأديرة، وتباروا في أنديتها الأدبية، فأصبحت مركزاً فكرياً وحضارياً، ومن هنا كانت الجماعة العربية في العراق تولي اللغة والأدب عنايتها، كانت تقول الشعر، وكانت تستمع إلى الشعر، الذي يأتيها من الجزيرة، وكانت تنتج أدباً، وكانت تعزز بهذا الأدب، وكانت فوق ذلك تهتم بجمع هذا الشعر وتسجله وتحفظه في قصور الأمراء^(٢)، وكان عند النعمان بن المنذر ديوان شعر فيه أشعار الفحول، وما مدح به هو وأهل بيته^(٣)، وقد احتزنت كنوز الشعر والأدب العربي في القصر الأبيض في عهد النعمان بن المنذر^(٤)، وكان الكوفيون على علم بمكانه حتى جاء المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكشف الموضع، فظهرت كنوز العرب الأدبية^(٥).

وعلى مقربة من الكوفة عند تصيرها كانت الأديرة المسيحية كدير هند الصغرى الذي يلي الخندق، وكان النساطرة واليعاقبة يسكنون منطقة (عاقولا)

(١) الفيروزآبادي: القاموس المحيط (مادة قرن) ٤/٢٥٩.

(٢) شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص ١٠٧.

(٣) ابن قتيبة: طبقات الشعراء ص ١٠ (ليدن).

(٤) ابن جني: الخصائص ١/٣٨٧.

(٥) البراقى: تاريخ الكوفة ص ١٤٩.

التي تعني الدائرة أو التكوف وهو الاسم السرياني للكوفة، وقد تغنى الشعراء بأديتها، وعاش فيها الرسامان الصينيان فان شن وليوته بين (٧٥١-٧٦٢م)^(١) فالكوفة من أسرارها (خد العذراء) ذلك النثر الذي ازدهر فيه الأدب العربي أيام الحيرة، وعلى عهد الماذرة^(٢)، حتى إن الخط الكوفي كانت جذوره الخط الحيري، فقد كان السريان يكتبون بالخط السرياني، ومنه الخط (السطرنجيلي) الذي تكتب فيه الأسفار النصرانية^(٣)، ويقول: إن السريان والكنيسة النسطورية كانوا على اتصال وثيق بالثقافة الإغريقية^(٤)، ويميل بعض الباحثين إلى الظن أن كثيراً من عرب الحيرة عرفوا اللغة السريانية، ونفذوا منها إلى تمثل كثير من الثقافة الإغريقية^(٥)، ولم تكن اللغة الفارسية التي كانت لغة الأكاسرة أن تدخل في أعماق العرب في الحيرة، ولكن بعد تحرير العراق وتمصير البصرة والكوفةأخذت اللغة العربية تزحف على أهل الكتاب^(٦)، وعلى بقايا الأسر الفارسية عن طريق اندماج العرب بالموالي اجتماعياً وفكرياً، وأخذ الإسلام يسير في بدوهم وحضرهم، ولا شك أن انتشار الإسلام قد صاحب انتشار اللغة العربية.

وهكذا اجتمع في الكوفة العامل العسكري، والعمل الجغرافي، والعمل التارميكي، والعامل الفكري، فقد كانت القبائل العربية التي تجاهد في الوقت نفسه حاملة الرسالة الإسلامية، وقد أشار إلى أهالي الكوفة عمر بن الخطاب بالقول:

^(١) ماسنيون: خطط الكوفة ص ١٠٥.

(٢) البراقى: تاريخ الكوفة ص ١٤٩.

٢٠٩ ن. م ص(٣)

^(٤) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص ٢٣٣ قلا عن M.O Muhammad.p.١٣٥

^(٥) شوقي ضيف: التطور والتجدد في العصر الأموي ص ١٥.

^(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٥.

((رأس أهل الإسلام)) أو ((رأس العرب)) وقال: ((رحم الله وكنز الإيان وججمة العرب يجزون ثغورهم ويمدون أهل الأمصار)).^(١)

إن الكوفة كانت مصرًا إسلاميًّا، ثم صارت عاصمة للخلافة، ثم عادت مصرًا كما كانت، وهي في طول حياتها بقيت صاحبة المركز العلمي الذي كان يساير مركزها السياسي، فأخذ اسم الكوفة والكوفيين يدخل في التراث العربي الإسلامي، وبدأ شعاعها الفكري من جامعها العظيم الذي خطط مع تخطيط المدينة عام ١٧هـ، ولما بعث عمر الصحابي عبد الله بن مسعود إلى الكوفة كتب لأهلهما: ((إني بعثت إليكم بعد الله بن مسعود معلماً وزيراً، وأثرتكم به على نفسي، فخذلوا عنه)),^(٢) وفي رواية أخرى إنه كتب لأهل الكوفة: ((أما بعد فإني بعثت إليكم عمara أميراً، وعبد الله معلماً وزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ فاسمعوا لهما واقتدوا بهما وإنني قد آثرتكم بعد الله على نفسي أثرة)).^(٣).

وكانَتْ مدِينَةُ الْكُوفَةِ قدْ بدأَتْ بِجَامِعِهَا، وَكَانَ نَوَاتِهَا الصَّحَابَةُ الَّذِينَ هَبَطُوا أَرْضَهَا، وَكَانَ عَدْدُهُمْ ثَلَاثَائِةً مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ وَسَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ،^(٤) وَلَذَا يُعدُّ جَامِعُ الْكُوفَةِ أَقْدَمُ مُؤْسِسَةٍ عَلَمِيَّةٍ فِي تَارِيخِ الْكُوفَةِ، وَمَكَانًا لِلْقَضَاءِ تَحْلِفُ فِيهِ مَشَاكِلُ الْمُسْلِمِينَ، وَأَخْذَ هَذَا الْجَامِعَ فِي خَلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَابَعًا عَلَيْهِ وَاسِعَ النَّطَاقِ، وَبَعْدَ أَنْ أَصْبَحَتِ الْكُوفَةَ عَاصِمَةً لِلْخَلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَدْ أَلْقَى فِي جَامِعِ الْكُوفَةِ قَسْمًا مِنْ خُطُبِهِ الْبَلِيغَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي ضَمَّهَا كِتَابُ (نَهْجُ الْبَلَاغَةِ) تَلْكُ الْخُطُبُ النَّفِيسَةُ الَّتِي تُعدُّ مِنْ روَاعَةِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ، وَتَحْتَلُّ مَكَانًا مِنَ الْبَلَاغَةِ بَعْدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَقَدْ أَشَادَ الْإِمامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْكُوفَةِ قَائِلاً: ((الْكُوفَةُ جَمِيعَةُ الْإِسْلَامِ، وَكَنْزُ الْإِيَّانِ، وَسَيفُ اللهِ وَرَحْمَهُ يَضْعُهُ

(١) الطبرى: التاريخ ٤/٥٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٣-١٤.

(٣) ن. م ٦/١١.

(٤) ن. م ٩/٦.

حيث يشاء، وأيم الله لينصرن الله بأهلها من مشارق الأرض وغاريبها كما انتصر بالحجارة^(١)، وقال أيضاً: ((والله إن الكوفة للهجرة بعد الهجرة، وإنها لقبة الإسلام))^(٢)، وكانت هذه المدينة قد حفظت بضم الإسلام من جهة، ونشرت علومه من جهة أخرى، وقد حمل لواءها الصحابة، ثم التابعون، وتابعو التابعين، وأصبح لكل صحابي مدرسة من التابعين تأخذ عنه وتلتف حوله^(٣)، ولدينا شواهد كثيرة على تتابع الحركة العلمية في الكوفة، منها إن الكميت بن زيد، وحماد الرواية كانا يلتقيان في مسجد الكوفة يتذاكران أشعار العرب وأيامها، فاختلفا مرة في شيء، فقال الكميت ل Hammond: أتظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها؟ فقال حماد: هذا هو اليقين، ففضض الكميت، وما زال يناقشه ويأسأله حتى أفحمه^(٤).

وقد استطاع علماء الكوفة النهوض بالعلم نهضة واسعة في العصورين الأموي والعباسي، ونفع فيهم علماء كبار حملوا مشعل الفكر العربي الإسلامي ومثال ذلك ما ذكره عبد الله بن عباس في تلميذه سعيد بن جبير عندما أتاه أهل الكوفة يسألونه، فأجابهم: ((تسألوني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني به سعيد بن جبير^(٥)، وأشار ثعلب بعلمية الفراء بقوله: ((لولا الفراء لقطعت العربية))^(٦)، كان إبراهيم النخعي فقيه الكوفة في عصره يتحدث عن المرجئة ويحذر الناس منهم^(٧). ومن الملاحظ أن الكوفة على الرغم من حملها لواء المعرفة الإسلامية، فقد كان علماؤها يقصدون البصرة، ويأخذون من علمائها، وهذا ما نطلق عليه في

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٦.

(٢) الطبرى: التاريخ ٥٩/٤.

(٣) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص ١٨٧.

(٤) احمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية ص ٩٤.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٧٩.

(٦) ابن الأبارى: نزهة الالباء ص ٨٠.

(٧) ابن سعد: الطبقات ٦/٢٧٣-٢٧٤.

الوقت الحاضر لفظ (التبادل الثقافي) بين المدرستين، وكان هذا التبادل يأخذ طابعين هما: الأخذ والعطاء من جهة، وطابع الخصومات الفكرية من جهة أخرى، وكلا الطابعين قدماً للتفكير والمعرفة خدمة جليلة، وبرزت للوجود في النحو العربي (مدرسة الكوفة) و(مدرسة البصرة) وما بين المدرستين من خصومات ومناظرات، ولكن هذا لم يمنع الكسائي النحوي وتلميذه الفراء، والقاسم بن سلام اللغوي، وهم من علماء الكوفة، أن يقصدوا البصرة والاستماع لعلمائها^(١)، وهكذا كان التبادل الثقافي بين الكوفة والبصرة مستمراً، فلا يكاد يظهر مذهب من المذاهب العقلية، أو فكرة من الأفكار العلمية، أو ظاهرة من الظواهر الأدبية، في إحدى المدينتين حتى يرن صداها في المدينة الأخرى، وكانت النتيجة الطبيعية لهذا إن كثرت المنافسات العلمية والخصومات الفكرية بينهما، وكانت المناظرات تقام في مساجد المدينتين، أو في قصور الخلفاء والأمراء. أو في مجالس خاصة يعقدها المهتمون بشؤون العلم والثقافة كمناظرة سيبويه البصري، والكسائي الكوفي في مجالس يحيى البرمكي حول بعض المسائل النحوية^(٢).

وعند تأسيس مدينة بغداد عام ١٤٥هـ، هاجر كثير من علماء الكوفة والبصرة إليها، ونشأت بين علماء المدينتين صلات فكرية واسعة النطاق، وكان للكوفيين حظوة عند الخلفاء والأمراء أكثر مما كان للبصريين^(٣)، فالمفضل الضبي الكوفي عهد إليه أبو جعفر المنصور تأديب ولده المهدى، والكسائي عهد إليه المهدى تأديب ولده الرشيد، وعهد إليه الرشيد تأديب ولده الأمين، وطلب المأمون من الفراء تعليم بنيه النحو^(٤)، وكان ابن السكينة معلماً لأولاد المتوكل، وكان أبو جعفر محمد بن عمران الكوفي مؤديباً لعبد الله بن المعتر^(٥)، وهكذا

(١) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص ٢٣٩.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٢ / ١٠٤-١٥٠.

(٣) احمد أمين: ضحي الإسلام ٢ / ٣٤-٣٥.

(٤) الخطيب: تاريخ بغداد ١٤ / ١٥٠.

(٥) ابن الأباري: نزهة الالبة ص ١٣٨ - ص ١٥٧.

أصبحت الكوفة في العصر العباسي تنشر علومها في بغداد وغيرها من المدن الإسلامية، وكانت هي وأختها البصرة أغنی الأمصار الإسلامية من الناحية الفكرية والثقافية وكانت البصرة في هذه الحقبة تفخر الكوفة بأربعة كتب هي: البيان والتبيين، والحيوان للجاحظ، والكتاب لسيبوه، والعين للخليل^(١)، ومن حق الكوفة أن تفخر البصرة بمجموعة من العلوم والمعارف الإسلامية التي تجمعت في شخصية الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، الذي استقى منه أئمة المذاهب الإسلامية كثيراً من علومه، فإن مدرسته في الكوفة قد تلاقحت مع مدرسته في المدينة، واستقطبت في وقت وجود الإمام الصادق فيها أعلاماً من البصرة وواسط والمحاجز، يقول الإمام مالك بن أنس: ((جعفر بن محمد اختلفت إليه زماناً، فما كنت أراه إلا على أحد ثلاثة خصال: إما مصل، وإما صائم، وإما يقرأ القرآن، وما رأيت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً))، ويقول عمرو بن المقدام: ((كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين))^(٢)، ويقول الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت: ((ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد))^(٣)، وقد نقل الناس عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ما سارت به الركبان حتى انتشر صيته في جميع البلدان.

ونجد ملامح التعليم الجامعي بدأت من جامع الكوفة كما أشار إلى ذلك الحسن الوشاء بقوله: ((أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد))^(٤)، فإن لفظة (الشيخ) تعني لقباً تعليمياً عالياً، ويكون حمله من بين الأدلة التي يستدل بها على تحقيق الأهلية العلمية، كما إن حامله يكون من

(١) محمد عبد المنعم خفاجي: الجاحظ ص ٢٦٣.

(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢ / ١٠٤.

(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ ١ / ١٥٧.

(٤) النجاشي: الرجال ص ٣١.

العلماء المقدمين في السن في الغالب^(١)، وقد ألف تلاميذ الإمام الصادق في جميع الفنون والمعارف، فألف أبان بن تغلب (معاني القرآن) وألف المقضي بن عمر (التوحيد) وألف جابر بن حيان كتاباً في علم الكيمياء يقع في ألف ورقة تضمنت رسائل الإمام الصادق عليه السلام والتي بلغت خمسماة رسالة في هذا العلم، وكانت هذه المصادر المعرفية عطاءً خصباً لعلم الكيمياء استفاد منها العلماء فائدة كبرى، وألف جمع من تلاميذه عدداً من المؤلفات حتى بلغت أربع مائة مصنف لأربعمائه مصنف^(٢)، وكان من تلاميذ الإمام عدد من أئمة المذاهب الإسلامية والكلامية، من أبرزهم: الإمام أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ)، وشعبة بن الحجاج (ت ١٦٠هـ)، وسفيان الثوري (ت ١٦١هـ)، ومالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)، وفضيل بن عياض (ت ١٨٧هـ)، وحاتم بن إسماعيل (ت ١٨٠هـ) وهشام بن الحكم (ت ١٩٧هـ)، وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ).

وكانت مدرسة الكوفة قد تفرعت منها دراسات عامة واسعة النطاق كالدراسات القرآنية، والدراسات الحديبية، والدراسات الفقهية، والدراسات اللغوية والتحوية، والدراسات الكلامية والفلسفية، والدراسات التاريخية والرجالية وغيرها، فكانت منذ القرن الأول الهجري مدرسة لعلوم القرآن، فمن أبرز شيوخها الإمام علي عليه السلام، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وحديفة بن اليمان، فقد كانوا يقرئون الناس القرآن، ويفسرون آياته، وكان التفاف الناس حولهم كدوبي النحل في جامع الكوفة، أما في علم الحديث فقد أرسى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قواعده في الكوفة، وكان يحدث بالحديث الصحيح، ويكشف عن زيف الغلاة والكذابين، وكان أبان بن تغلب من أكثر أصحاب الإمام الصادق اتصالاً به، فقد روى عنه ثلاثين ألف حديث^(٣)، وقد أفرد أبو

(١) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الإمامية ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٢) المفید: الإرشاد ص ٢٧١، المحقق الحلی: المعتبر ص ٤، البهائی: مشرق الشمسمین ص ٣، الأمین: أعيان الشیعہ ٥٦ / ١٠٤ - ١٠٥.

(٣) الأمین: أعيان الشیعہ ١ / ٣٦٨ - ٣٦٩.

العباس أحمد بن عقدة الزيدى الكوفى (ت ٣٣٣هـ) كتابا في الرجال الذين رروا عن الإمام الصادق عليه السلام، وقد بلغوا أربعة آلاف راوٍ، مع بيان أسماء مصنفاته، وقد خص بالذكر المصنفين من الرواة عن الإمام الصادق عليه السلام^(١)، يقول الحاكم النيسابوري: إن أصح أسانيد أهل البيت جعفر بن محمد عن جده عن أبيه عن علي إذا كان الراوى عن جعفر ثقة^(٢)، وهذا له دلالة على أن أحاديث آل البيت عليهم السلام تتصل بصورة مباشرة بالرسول الكريم صلوات الله عليه وآله وسالم وفي ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام: ((حديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلوات الله عليه وآله وسالم، وحديث رسول الله من قول الله عز وجل))^(٣).

ويعد أبو العباس بن عقدة أحد أركان علم الحديث في مدينة الكوفة قال الدارقطني: ((أجمع أهل الكوفة على أنه لم ير من زمان ابن مسعود إلى زمان بن عقدة أحفظ منه))^(٤)، وما يؤكّد انتشار علم الحديث في الكوفة هو أن عدداً من شيوخ الإمام أحمد بن حنبل في الحديث كانوا من الكوفيين أمثال: إسماعيل بن أبيان الأزدي، وإسماعيل بن منصور السلوبي، وتليد بن سليمان المحاري، والحسين بن الحسن الفزارى، وخالد بن مخلد القطوانى^(٥)، ولصلة علم الحديث بالتاريخ والأخبار والسير، كان في الكوفة إخباريون مشهورون كأبي روق عطية بن الحارث الهمданى الذي أخذ عنه المؤرخ الطبرى في ستة وأربعين موضعًا في

(١) الحقّ الحالي ص ٤، البحرياني: الحدائق الناظرة ١/٢٢، القمي: هدية الأحباب ص ٧٥ - ٧٦.

(٢) الحاكم النيسابوري: معرفة علوم الحديث ص ٥٥.

(٣) الكليني: الكافي ١/٥٣.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/٢٠٩، اليافى: مرآة الجنان ٢/٣١١، السيوطي: طبقات الحفاظ ٣٤٩، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/٢٣٢.

(٥) أسد حيدر: الإمام الصادق والمذاهب الأربع ٤/٥٤-٥٥.

كتاب (تاريخ الأمم والملوك) وكان نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ) إخبارياً معروفاً، قد دون أحداث القرن الأول الهجري.

وهذه النصوص تكشف لنا إن الكوفة كانت مدرسة حديث ولغة وأخبار، لا كما يقال مدرسة رأي فحسب، تلك المدرسة التي تزعمها أبو حنيفة في قبال مدرسة الحديث التي تزعمها مالك بن أنس في المدينة، وقيل: إن أبا حنيفة هو صاحب الرأي^(١)، وقد سار على رأيه عدد من الفقهاء أمثال: محمد بن الحسن الشيباني، وأبي يوسف القاضي، وزفر بن الهذيل، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وأبي مطیع البلاخي، وبشر المریسي، وإذا قيل: أهل الرأي، يقال: أهل الكوفة، وإنني أرى في هذه الأقوال مبالغة، وافتقار إلى الدقة، فإن فقهاء آل البيت عليهم السلام كان هو السائد في الكوفة، وإن أصحاب الرأي يمثلون تياراً فقهياً كان يعاصره فقهاء آل البيت، وهذا ما تكشفه محاججة الإمام الصادق لأبي حنيفة كما في رواية ابن شيرمة: ((أيهما أعظم قتل النفس أو الزنا؟ قال أبو حنيفة: قتل النفس، قال الإمام الصادق: فإن الله عز وجل، قبل في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلا أربعة، ثم قال: أيها أعظم الصلاة أم الصوم؟ قال أبو حنيفة: الصلاة، قال الإمام الصادق: مما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فكيف ويحك يقوم لك قياسك اتق الله ولا تقس الدين برأيك^(٢)).

ومن الطبيعي أن يقف أهل البيت، وبخاصة الإمام الصادق عليه السلام، الذي انتشر هذا النوع من القياس على عهده موقفهم المعروف، ومن المحتمل في تبني أبو حنيفة للرأي والقياس هو تأثره بعلم الكلام الذي كان سائداً في الكوفة والبصرة في تلك الفترة وما فيهما من اقيسة عقلية تستعمل عادة في مناظرات الكلاميين والجدليين^(٣)، وما يدلنا على ذلك أن أبو حنيفة دخل البصرة قبل أن يكون فقيها،

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٣٢٣/١٣.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء، ١٩٧/٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٢/٥.

(٣) مصطفى جمال الدين: القياس حقيقته وحججته ص ١٠٩ - ١١٠.

ولغرض الاتصال بأصحاب الجدل أكثر من عشرين مرة، وإنه كانت لأبي حنيفة قبل اتصاله بحماد بن أبي سليمان حلقة يذاكر فيها علم الكلام^(١).

وكانت الكوفة قد عرفت المناظرات الكلامية والمسابقات الفلسفية وكان من أبرزها مناظرة محمد بن علي بن النعمان البجلي الكوفي المعروف بمؤمن الطاق مع الخوارج، وقد كان هذا يمتاز بقدرة فائقة على الجدل، وقوة في التفكير ومهارة في الاستبطاط. ومناظرة أبي بكر الهذلي البصري مع ابن عياش الكوفي حول بعض المسائل العقائدية^(٢)، ويعد هشام بن الحكم الكندي (ت ١٩٧هـ) من أبرز شخصيات عصره بعلم الكلام، فقد كان يمتاز بقوّة الشخصية، وسرعة الإجابة، قال عنه ابن النديم: ((كان حاذقاً بصناعة الكلام، حاضر الجواب))^(٣)، ولم تكن المناظرات في مدينة الكوفة مقصورة على الفقه وعلم الكلام، بل كانت على نطاق واسع في اللغة والنحو والأدب حتى عرفت الدراسات اللغوية والنحوية منها باسم (مدرسة الكوفة) في نظير مدرسة البصرة، فقد افتخرت البصرة بالخليل بن أحمد الفراهيدي، فهو أستاذها الأكبر في علمي العروض والنحو، وافتخرت الكوفة بأبي جعفر الرؤاسي فهو أستاذ مدرستها النحوية^(٤)، وقد وصفه ابن النديم بأنه رأس نحاة الكوفة^(٥)، ويعد ثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه، فهو أصدق أهل العربية لساناً، وأعظمهم شأناً، وأبعدهم ذكراً وأوضحهم علمًا، وأرفعهم قدرًا^(٦).

وكانت مدرسة الكوفة النحوية قد ارتكزت على دعامتين بعد أستاذها الأول أبي جعفر الرؤاسي وهما: الكسائي (ت ١٨٩هـ)، والفراء (ت ٢٠٧هـ)، وبه

(١) الخطيب: تاريخ بغداد ١٣٣ / ١٣.

(٢) البراقى: تاريخ الكوفة ص ٢٠٢.

(٣) ابن النديم: الفهرست ص ٢٢٣.

(٤) السيوطي: بغية الوعاة ص ٣٤.

(٥) ابن النديم: الفهرست ص ٦٤.

(٦) ابن الأباري: نزهة الأنبا ص ٢٦٤.

ختم الجيل الأول من نحاة الكوفة الذين بربوا في القرن الثاني الهجري، كما ختم هذا الجيل في البصرة بسيويه.^(١) وقد استطاع الفراء تثبيت دعائم المدرسة الكوفية، بعد أخذها بالمادة التي خلفها أستاذه وإعادة النظر في بعضها^(٢)، وقد وصفه ابن الأباري بأمير المؤمنين في النحو^(٣)، ويقول: لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس إذ انتهت العلوم إليهما^(٤)، وقال عنه ثعلب: ((لولا الفراء لما كانت اللغة لأنها حصلها وضبطتها، ولو لا الفراء لسقطت العربية، لأنها كانت تتنازع ويدعوها كل من أراد، ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائتهم)).^(٥)

ويقودنا هذا الاستعراض العلمي السريع لمدينة الكوفة إلى القول: إنها المدينة التي حفظت لنا التراث العربي الإسلامي من علوم القرآن والحديث والفقه والعلوم اللغوية والنحوية، إلى جانب الشعر الذي كانت الكوفة فيه عكاظاً ومربداً، وحسبنا من شعرائها: أبو العتاهية. وأبو دلامه وحماد عجرد، ومطیع بن إیاس، وحماد الرواية، والكمیت بن زید، وعلی بن محمد الحمانی، وأمیر الشعراء أبو الطیب المتبّی.

وكان تأثير الكوفة في الأمصار العربية الإسلامية كبيراً وواضحاً وكان لمدينة بغداد النصيب الأوفر، فقد استطاعت بغداد بعد تأسيسها اجتذاب عدد من أعلام الكوفة، وقد قاموا بالتدريس في مؤسساتها العلمية، وإذا قرأتنا (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي، وكتاب (المنتظم) لابن الجوزي، وكتاب (تلخيص مجمع الآداب) لابن الفوطي، وذیول بغداد لابن النجار وابن الدبیشی والدمیاطی وغيرهم، ولرأيناكم عدد الكوفيين الذين احتضنتهم بغداد، وأثروا في حركتها

(١) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص ٢٦٤.

(٢) ن. م ص ٢٦٥.

(٣) ابن الأباري: نزهة الأنبا ص ٨٣.

(٤) ن. م.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٤٩ / ١٤، ياقوت: معجم الأدباء ٢٧٦ / ٧.

العلمية، والكوفة مع كل هذه الهجرة من علمائها بقيت تحفظ بمؤسساتها العلمية التي تخطت مسجدها الكبير فترة من الزمن، وبقيت دار علم تشد إليها الرحال، وبرزت مدينة النجف الأشرف التي هي (ظهر الكوفة) دار علم ومعرفة منذ القرن الثالث الهجري وحتى وقتنا هذا، ومنذ ذلك الوقت بدأت العمارة والتشييد لمدرسة النجف الأشرف، فانتقلت الكوفة إليها، وبقيت تصب في بحر النجف إلى القرن الثامن الهجري، وعند ذلك استواعبت النجف كل ما كان في الكوفة^(١).

ويحدثنا التاريخ عن وجود أعلام بمدينة النجف وأسر علمية عريقة منذ القرن الثالث الهجري كآل طحال، وآل شهريار، وبيني سدرة^(٢)، وقد أشار الشاعر الحسين بن الحاج البغدادي (ت ٣٩١هـ) إلى الحركة العلمية في مدينة النجف بقصيده الفائية التي مطلعها^(٣):

يا صاحب القبة البيضا على النجف من زار قبرك واستشفي لديك شفي
ثم قال:

وقل سلام من الله السلام على أهل السلام وأهل العلم والشرف
وقد استدل بعض الباحثين على اتساع الحركة العلمية في النجف منذ نهاية القرن الرابع الهجري، واعتماداً على صدور إجازة علمية برواية الحديث ذكرها الشيخ النجاشي الأستاذي (ت ٤٥٠هـ) في كتابه (الرجال) عند ترجمته للحسين بن أحمد بن المغيرة البوشنجي بقوله: ((له كتاب عمل السلطان أجازنا بروايته أبو عبد الله بن الحمرى، الشيخ الصالح في مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام سنة أربع مائة عنه))^(٤)، وإن صدور مثل هذه الإجازات يعد حدثاً علمياً جديداً في تاريخ مدينة النجف الفكري، وقد اتسعت الحركة العلمية بعد مجيء الشيخ الطوسي إلى

(١) الشرقي: الأحلام ص ٤٢.

(٢) محبوة: ماضي النجف وحاضرها ٤٢٢/٢، الحكيم: الشيخ الطوسي ص ١٠١.

(٣) الأفندي: رياض العلماء ٢/ورقة ١٧٧، القمي: الكنى والألقاب ٢٥١/١، الكوفي: نزهة الغري ص ٣٣.

(٤) النجاشي: الرجال ص ٥٤.

مدينة النجف الأشرف عام ٤٤٨هـ، الذي عد مجبيه نقطة تحول في تاريخ النجف العلمي حيث اقترن هجرته بنشاط علمي وتعليمي كبيرين^(١)، وإذا ألقينا نظرة فاحصة على كتاب (الأمالي) للشيخ الطوسي نجد فيه انتظام الوضع الدراسي في مدينة النجف، فقد كان الشيخ الطوسي يجتمع بتلاميذه وي ملي عليهم معارفه في التفسير والحديث والرجال والفقه والأصول وغيرها. ويعد كتاب (الخلاف) موسوعة فقهية عظيمة في الفقه المقارن، وكان الجانب اللغوي والنحوى يمثل شطراً كبيراً في كتاب (التبیان في تفسیر القرآن) فقد استقى الشيخ فيه من علماء اللغة والنحو البصريين والکوفيين من أمثال: الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسیبویه، والکسائي، وقطرب، والفراء، وأبی عبیدة، والأخفش، وثعلب، والزجاج، وأبی علي الفارسي، وغيرهم. وهو إذ يروي عن هؤلاء آراءهم في الاشتقاد والنحو واللغة، فهو لا يلتزم بها إلا بعد غربلة وتحقيق، ويرد على بعضها رجحان رأي على رأي آخر، فقد رد على الكسائي، وأبدى رأيه في الفراء، وأوضح رأي الزجاج والرمانی حول خطأ أبی عبیدة، واعتبر رأيه أولى من رأي الرمانی، وفضل قول ابن عباس على قول مجاهد وابن جریج والفراء، وموقف الشيخ الطوسي من لغة القرآن الكريم وترجيحاته الخاصة بهذا الشأن، ورده على أقطاب علماء اللغة والنحو دليلاً على تضلعه بهذه العلوم واتساع آفاقه الفنية والأدبية^(٢).

وإذا تتبعنا الأدوار العلمية والفكرية لمدينة النجف الأشرف منذ القرن الخامس الهجري نجد لها لم تنفصل عن مدينة الكوفة، فقد كانت النقابة العلوية للإشراف في الكوفة تجمع فيها نقابة الأشراف في النجف وكربلاء والحلة، أو تكتفي بالمشهدین العلوی والحسینی، وكان للنقیب قطب الدین بن الحسین بن الأقسّاسی خزانة كتب كبيرة في الكوفة قصدتها عدد من أعلام بغداد في القرن السادس الهجري من أمثال المؤرخ الحافظ محمد بن سعید المعروف بابن الدي بشی (ت ٦٣٧هـ) والمؤرخ الكبير عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطی

(١) عبد الله فیاض: تاریخ التربیة عند الإمامیة ص ٧٣.

(٢) الطوسي: التبیان ١٠٤/١ - ١٤٠ - ١٢٩، ٢٢٩، ٩٠/٢، أنظر الحکیم: الشيخ الطوسي ص ٢٢٣.

(ت٧٢٣هـ)^(١)، وكان كثير من النقباء العلوين فقهاء وأدباء، ولهم مشاركة في جميع الفنون والآداب وينتمي بعضهم إلى بيوت القضاء والحكم والحديث والرواية أو من البيوت المعروفة بالفضل والعلم^(٢).

وتشير بعض النصوص إلى أنه كان في مدینتي الكوفة والنجف، نساء عالمات محدثات في القرنين الخامس والسادس الهجريين فقد عرفت بنتاً الشيخ الطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ) بأنهما من حملة العلم، وربات الإجازة، ومن أهل الدرية والرواية^(٣)، وإن سنت العشيرة بنت أحمد بن سعيد البصري المها بي كانت فاضلة عالمة محدثة مجازة في الرواية سمعاً عن جدها لأمها أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون (ت٥١٠هـ)، ويروي عنها السيد جلال الدين النسابة عبد الحميد بن التقى عبد الله في منزلها بالكوفة في شوال عام ٥٦٦هـ^(٤).

وإذا نظرنا إلى خصائص مدرسة النجف نجد أنها تلتقي بخصائص مدرسة الكوفة، فنظام الحلقات يعد سمة بارزة في المدرستين، فإن الأستاذ أو الشيخ يعرض فكرة على تلاميذه بأسلوب الاستفهام والتساؤل ثم يذكر كل ما يمكن أن يقال حولها من الآراء المتناقضة المتضاربة، ويبذل الجهد كله لإثارة الاعتراضات على ما يراه ويختاره ثم يفنده واحداً واحداً بالمنطق والحججة القاطعة بحيث لا يدع مجالاً للاحتمال أو التشكيك بالحق والصواب ويمضي طابع النقاش والجدل في المدارس والجواجم والبيوت، وما زالت الإجازة بالاجتهاد هي الشهادة التي تمنحها جامعة النجف لخريجيها بحيث يصبح الطالب قادراً على استبطاط الأحكام من أدلةها، وقد حافظت النجف على استمرارية فتح باب الاجتهاد، فإن الطالب في مرحلة الدراسة الأخيرة المعروفة باسم (الخارج) قد يصل إلى درجة الاجتهاد، بعد أن يجتاز جميع المراحل الدراسية ويتلمس أهل العلم صاحب الأعلمية

(١) آل ياسين: الحياة الفكرية في العراق ص ٢٤.

(٢) ن. م ص ٢١٥ - ٢١٦.

(٣) الطهراني: مقدمة كتاب (التبیان) للشيخ الطوسي ص (١٢).

(٤) الأمین: أعيان الشيعة ٣٣ / ٤٢١.

بسهولة، وبخاصة الذين يصلون إلى درجة الاجتهاد، وهو الذي له القدرة على الاستنباط كلما أراد من المسائل الفقهية، في جميع أبواب الفقه، وأصبح تقليد الأعلم من موجبات التقليد، ولذا قيل: إذا قلد الأعلم فصار غيره أعلم منه وجب العدول إليه^(١).

ومنذ عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م انبثقت فكرة تأسيس جامعة حديثة في مدينة النجف الأشرف تجمع بين الدراسات الفقهية القديمة والدراسات الجامعية الحديثة، وقد تصدى لهذه الفكرة عدد من المثقفين واستمرت الاجتماعات تعقد هنا وهناك، وكان الإنسان يشعر إذ ذاك إن الأمل أخذ يحل محل اليأس^(٢)، وقامت بعد ذلك جمعية منتدى النشر بإحياء فكرة الجامعة، فجاءت كلية الفقه عام ١٩٥٨م نواة للجامعة على أن تجمع في مناهجها الدراسات الحوزوية النجفية، والدراسات الجامعية الحديثة، وكانت تستهدف إدخال عنصر التنظيم على المراحل الدراسية الأولى السائدة في حلقات النجف تقصيرًا للمرة التي يقضيها الطالب في تدارسه تأكيداً لروح المسؤولية فيه بالإضافة إلى سد حاجته إلى أنواع من المعرفة تقتضيها طبيعة رسالته الدينية والعلمية، وقد حفلت مناهج كلية الفقه جملة من علوم الشريعة الإسلامية، واللغة العربية، والعلوم المساعدة، وفي ٢٦/٥/١٩٦٣م وافق مجلس الوزراء على اعتبار شهادة كلية الفقه شهادة أولية جامعية، وقد تخرجت الدورة الأولى عام ١٩٦٢م-١٩٦١م، وفي عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م انبثقت فكرة جامعة أهلية باسم (جامعة الكوفة) وقد تأسس مجلس التخطيط العلمي للجامعة، واختيرت بقعة أرض واسعة ضمن حدود بلدية النجف لتبنى عليها كليات الجامعة، ولكن هذه الفكرة لم يكتب لها النجاح، وفي عام ١٩٧٤م عادت من جديد فكرة الجامعة، وقد تبنت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي هذه الفكرة، فصدر قرار بإنشاء كلية الزراعة كنواة لهذه الجامعة، ولكن القرار لم يصل إلى حيز التنفيذ، فألغيت الكلية المذكورة بعد ذلك، وكان وجود كلية الفقه

(١) الفقيه: جامعة النجف ص ١٣٩.

(٢) المخزومي: (النجف والرأي العام) مجلة البيان، العدد الأول، السنة الأولى ١٩٦٤م.

في النجف وكلية الطب في الكوفة، وقد ألحقتا بالجامعة المستنصرية في عام ١٩٧٧-١٩٧٨م يشكلان نواة الجامعة المقترحة، وقد تحقق هذا بقرار مجلس قيادة الثورة رقم ٩٥١ والذى نص عليه تأسيس أربع جامعات جديدة في العراق، وكانت جامعة الكوفة واحدة منها، وقد ضمت الجامعة كلية الفقه في النجف وكلية الطب في الكوفة، وكلية الفنون الجميلة في الحلة، ولكن بعد أحداث النجف عام ١٩٩١م تقرر إلغاء جامعة الكوفة واستحداث جامعة بابل ولم يمض على هذا الإلغاء سوى أربعة شهور حتى عادت جامعة الكوفة من جديد ولكن بانفصال كلية الفنون الجميلة عنها وإلهاقها بجامعة بابل وإلغاء كلية الفقه وإلهاقها بكلية العلوم الإسلامية ببغداد وتضم جامعة الكوفة في عام ٢٠٠٠م الكليات الآتية:

١- كلية الآداب.

٢- كلية القائد للتربية للبنات (و عند سقوط النظام عام ٢٠٠٣م سميت الكلية باسم (التربية للبنات)).

٣- كلية الطب.

٤- كلية الإدارة والاقتصاد.

٥- كلية الهندسة.

٦- كلية العلوم.

٧- كلية الزراعة.

٨- كلية الصيدلة.

ولما انيطت لي مهام رئاسة جامعة الكوفة منذ عام ٢٠٠٣م، أضفت إلى

جامعة الكوفة الكليات الآتية:

١- كلية الفقه.

٢- كلية القانون.

٣- كلية طب الأسنان.

٤- كلية التمريض.

وقدمت مقترحاً إلى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بفتح كلية التربية الرياضية وكان مشروع (جامعة النجف الاشرف للفكر الإسلامي) قد اخذ مجرأه في الوزارة، واعددنا خطة علمية للكليات التي تقع ضمن جامعة النجف المقترحة وفي جامعة الكوفة مركزان علميان هما:

- ١- مركز دراسات الكوفة.
- ٢- مركز أبحاث السرطان.

الطب في الكوفة بين موروث الحيرة وأصالة الفكر الإسلامي

برز لفظ الحكيم في التراث العربي والإسلامي للدلالة على طيب الأبدان ولفظ الكحال للدلالة على طيب العيون، وورد لفظ العطار على الصيدلي، إضافة إلى وجود متخصصين لأمراض الفم والأسنان، والعظام والفقارات وغيرها، فكان الطيب والمجبر والحجام والمقصد يؤدون دورهم الطبي في المدن والقصبات، وكانت مدينة الحيرة في عهدها الجاهلي حاضرة فكرية، وعلمية، فضلاً عن كونها عاصمة سياسية لدولة المناذرة الـلـخـمـيـنـ، وقد أعد ملك الحيرة النعمان بن المنذر قصر الخورنق ليكون مصحاً، وقد جاء في القول المشهور: لبيتة ليلة بالحيرة انفع من تناول الاشربة^(١)، وقد نزل في منطقة ظهر الحيرة، وهي الأرض المرتفعة من أرض الحيرة، ويقصد بها مدينة النجف الأشرف في الوقت الحاضر، ملوك الحيرة وملوک الدولة الساسانية، وخلفاء بني العباس لطيب هوائهما، وصفاء جوهرها، وصحة تربتها^(٢).

وقد أشار الشاعر إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى هذا الجانب الطبيعي من مدينة الحيرة، في قصيده الفائية منها^(٣):

ما أن رأى الناس في سهل وفي جبل أصفى هواء ولا اعذى من النجف
كأن تربته مسک يفوح به أو عبر دافه العطار في صدف
و كانت منطقة خد العذراء من ظهر الحيرة تكتسى في الريبع بالخزامي
والاقحوان والشيح والقيصوم والشقائق^(٤) وما زالت هذه النباتات تستخدم حتى
اليوم لعلاج بعض الأمراض ولما انتشر مرض الطاعون في مدينة الكوفة خلال

(١) الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض ص ٩٧.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ١/٢٩٧.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٩/٢٨٥.

(٤) ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات ١/١٦٩.

العصر الأموي، هرب كثير من الناس إلى الصحراء ونزلوا أرض النجف، فراراً من المرض فكتب شريح القاضي إلى الفارين قائلاً: أما بعد فان الفرار لن يبعد أجلاً ولا يكثر رزقاً، وإن المقام لن يقرب أجلاً، ولا يقلل رزقاً، وإن من بالنجف من ذي قدرة لقريب^(١)، وفي نص يشير إلى أن شريح القاضي نفسه قد التحق بالفارين بعد تفاقم خطر الوباء في مدينة الكوفة، ولم تشر المصادر إلى دور أطباء المدينة في مقاومة هذا الوباء.

وكانت مدينة الحيرة في عصرها الجاهلي، وعصرها القريب من ظهور الإسلام قد افتخرت بطبعها إسحاق الحيري، وابنه حنين الذي أولع بصناعة الطب^(٢) وكانت بين مدينتي الحيرة، وجند يسابور صلات علمية وفكرية في مختلف العلوم، وإن لأسرة العباديين مساهمة في تعزيز هذه الصلات فقد تلمنذ حنين بن إسحاق على يوحنانا بن ماسويه، أحد مشاهير الأطباء في جند يسابور، وقد حافظت أسرة العباديين على صناعة الطب ومنهم إسحاق وداود، حفيدي حنين بن إسحاق وحبيش بن الحسن الاعسم، ابن أخت حنين وتلاميذهم، وكان حنين وبعض أفراد أسرته يجيدون لغات عديدة كالعربية والسريانية واليونانية والفارسية، كما أضاف بعضهم علوماً في طب العيون الذي يسمى طب الكحالة فألف حنين بن إسحاق كتاب العشر مقالات في العين وقد نشرها طبيب العيون المستشرق الألماني ماكس ماير وهوف في القاهرة عام ١٩٢٨م، وله كتاب العين على طريقة المسالة والجواب، وقد أضاف حنين إلى علومه الطبية، علوماً في الصيدلة، وكتب في تركيب الأدوية وأجناسها، والأشربة والأدوية المسهلة وألف في الأغذية وطب الأسنان والأمراض الجنسية وقام بترجمة كتب جالينوس وكتب أبقراط وكتب أفلاطون وقد استقى ولده هذه العلوم منه.

(١) المحافظ: البيان والتبيين ٢٠٣/٢.

(٢) السامرائي: مختصر تاريخ الطب العربي ٢٦١/١.

وقال عنه المؤرخ ابن خلkan: انه أوحد عصره في علم الطب، وكان يلحق بايه في معرفته باللغات وفصاحته فيها^(١) وقد أشار ابن النديم إلى داود بن حنين الحيري ومكانته في الطب^(٢) ويقول ابن جلجل: إن داود العبادي لم يتشر صيته كأبيه وأخيه^(٣) وأشار الرازى إلى حكيم بن حنين وموقعه في طب العيون^(٤) وكان الطبيب حبيش بن الحسن الاعسم الدمشقى، قد عاش بين أسرة العباديين في الحيرة وفي بيت خاله حنين بن إسحاق العبادى وشارك خاله في الترجمة وأصبح من مساعديه^(٥) وعند تصوير مدينة الكوفة عام ٦٣٣ـ٥١٧هـ، كانت الحركة العلمية تساريرها فقد كان كثير من الصحابة الذين شاركوا في الفتوحات علماء وفقهاء ومفسرين، وقد التحق بهم علماء الحيرة، فقد أشارت المصادر إلى الطبيب أثير السكونى، الذى كان فى مقدمة الأطباء فى مدينة الكوفة^(٦) فقد كان له كرسى فى خندق الكوفة يجلس عليه لاستقبال المرضى، ولما أقدم عبد الرحمن بن ملجم المرادى على اغتیال الإمام علي عليه السلام، وقد أصاب سيفه رأس الإمام، استدعي أثير بن عمرو السكونى لمعالجته مع جماعة من أطباء الكوفة، ولكن كان السكونى أبصر الأطباء وأخذهم وبعد أن وقف على جرح الإمام قال: (أأنتوني برئ شاة حارة فتبىع منها عرقاً فاستخرجه وادخله في جرح الإمام ثم نفخ العرق فإذا عليه بياض من الدماغ وكانت ضربة ابن ملجم قد وصلت إلى أم رأس الإمام فقال: يا أمير المؤمنين اعهد عهداً فان عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم راسك)^(٧) وتعطى هذه الحالة الطبية السريرية مهارة أثير السكونى في معالجة الحالات الخطيرة،

(١) ابن خلkan: وفيات الأعيان ١/١٨٥.

(٢) ابن النديم: الفهرست ص ٤٢٩.

(٣) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص ٧١.

(٤) الرازى: الحاوى في الطب ٢٠٧/٢٠.

(٥) السامرائي: مختصر تاريخ الطب العربي ١/٤٦٢.

(٦) ياقوت: معجم البلدان ١/٩٣.

(٧) البكري: معجم ما استعجم ١/١٠٩ أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٣٨.

وصاحبه مهارة أثير السكوني في معالجة الحالات الخطيرة، ويقول النويري: إن أثير السكوني كان قبل الإسلام طبيب كسرى وصاحب^(١) ومن خلال ترجمم أطباء الكوفة في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ) يتبين لنا اتساع الدائرة الطبية فيها فقد ذكر المؤرخ غرس النعمة الصابي في أحداث عام ٥٣هـ، إن والي الكوفة زياد بن أبيه، قد أصيب بأصبعه، فتجمع حوله مائة وخمسون طبيباً لعلاجه^(٢) ويعطينا القسطنطي في كتابه تاريخ الحكما عدداً وافراً من أطباء الكوفة، وأشار إلى لقب شيخ الطب الذي أطلقه على بعض الأطباء الحاذقين الماهرین وقد وضع الطبيب موسى بن إسرائيل في درجة دنيا بقوله: كان قليل العلم بالطب إذا قيس إلى ما كان في دهره من مشايخ المتطبفين^(٣) وأشار ابن قتيبة إلى الأسر الطبية في الكوفة التي توارث أبناؤها هذه المهنة كأسرة آل ابجر التي تنتمي إلىبني فراس من كانانة^(٤) وقد برز فيها الطبيب عبد الملك بن سعيد الهمданى الكتاني الكوفي، حيث كان طبيباً وفيلسوفاً وكيمياوياً وقد تلمذ عليه الراهب الروماني مورينوس وتعلم منه صناعة الكيمياء^(٥) وقد أشار ابن جلجل إلى شخصية الطبيب ابن ابجر بأنه كان من نصارى الكوفة وقد اسلم على يد عمر بن عبد العزيز يوم كان أميراً ولما تولى الخلافة (٩٩-١٠١هـ) عينه طبيباً في مدينة أنطاكيا ببلاد الشام^(٦) وقد اشرف الطبيب ابن مطر (الحجاج بن يوسف)، على الوالي الأموي الحجاج الذي كان يستعين بعدد من أطباء الكوفة للطبيب ابن ابجر.

وكان بعض الأطباء يجمع بين الطب والفلسفة والكيمياء وقد اشتهر في ذلك يعقوب بن إسحاق الكندي وأصبح لفظ الحكيم شائعاً في الأوساط العلمية وان

^(١) النويري: نهاية الارب في فنون العرب ٢٠/٢١٤.

^(٢) الصابي: المقوفات النادرة ص ٨٢-٨٣.

^(٣) القسطنطي: تاريخ الحكما ص ٣١٦.

^(٤) ابن قتيبة: المعارف ص ٢٣.

^(٥) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص ٦٠.

^(٦) ن. م.

كان معروفاً عند الفرس واليونان والرومان والمصريين والصينيين والهنود وغيرهم وقد استفاد العلماء من الترجمة في نقل العلوم إلى الأوساط الإسلامية ولا سيما من اللغة السريانية.

وقد شجع خلفاء الدولة العباسية على هذه الحركة بدءاً من أبي جعفر المنصور، واتسعت في عهد المأمون فقد ترجم جورجيوس بن جبرائيل البختشيوعي للمنصور العباسي كتب الطب والفلسفة، وأصبحت مدينة بغداد ملتقى العلماء، وقد احتضن بيت الحكمة عدداً من أطباء الكوفة وغيرها من الأمصار الإسلامية، وقد احتل أبو موسى جابر بن حيان الأزدي الكوفي (١٢٠-١٩٨هـ) موقعًا متميزاً في علمي الطب والكيمياء وقد كان والده عطاراً أي صيدلانياً بمدينة الكوفة، وكان ابن حيان قد تلمذ على يد الإمام جعفر بن محمد الصادق (١٤٨هـ) عند مكوث الإمام في الكوفة برره من الزمن وبخاصة في عهد أبي جعفر المنصور ويقول الدكتور محمد الهاشمي (إن صلة جابر بجعفر كانت السبب في تقديميه في بلاط هارون الرشيد بحفاوة زائدة وكانت صلته مع البرامكة قوية أيضاً وبخاصة مع يحيى بن خالد الذي نجد ذكره في رسائله أيضاً ويحدثنا الجلدكي ذلك الكيميائي الذي عاش في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي بان جابر اتصل بهارون الرشيد نفسه بواسطة جعفر البرمكي وقد ألف له كتاباً يدعى *البلسم*^(١) ولما حصلت النكبة للبرامكة في عهد الرشيد غادر جابر بن حيان مدينة بغداد وعاد إلى الكوفة وان الباحث إذا وقف على مؤلفات جابر بن حيان التي أوردها ابن النديم في كتاب (الفهرست) يتضح له حجم موقعه العلمي فكان قد اكتشف الحوامض القوية، وترشيح السوائل وتصفيتها والتقطر بالطرق الثلاث (التصعيد والتكتيف والترشيح) وطريقة تحميض الذهب والفضة^(٢) ومن المحتمل إن مكوث جابر بن حيان في بغداد واتصاله بالخلفاء والحكام جعله طيباً خاصاً أو مقرباً لهم وإذا وقفتنا بدقة على أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) في الطب ووصياته في المأكل والمشرب نجد أثراً لها في جابر بن حيان فيقول: (إن هذه

(١) الهاشمي: الإمام الصادق ملهم الكيمياء ص ٣٣-٣٤.

(٢) الشكري: لحاظ بتأثير العراق العلمية في الكيمياء ص ١٨.

القلوب تعمل كما تعمل الأبدان) وإن سلامة الروح وصحتها تدل ولا شك على سلامه الجسم كما ورد في القول المأثور (العقل السليم في الجسم السليم) وقد أوجز الإمام الصادق معارفه الطبية وصلاتها بالأمراض والأطعمة بقوله: (لو اقصد الناس في المطعم لاستقامت أبدانهم) وأشار إلى عدوى مرض الجذام بقوله: (لا يكلم الرجل مجذوما إلا إن يكون بينهما قدر ذراع وفي نص آخر (قدر رمح)^(١) وكان عليه يصف المرض ومخاطره ويعطي الدواء الناجح وإذا تحدث عن الأطعمة والاشربة فإنه يعطي خواصها ومنافعها وأضرارها فإنه وأشار إلى نبات الثوم بقوله: (تداووا بالثوم ولكن لا تخروا إلى المسجد)^(٢) وقد ربط الدكتور محمد الهاشمي بين علوم الإمام الصادق، وعلوم جابر بن حيان بقوله: (لدى مطالعتنا للتراث الضخم الذي خلفه لنا جابر بن حيان عن الكيمياء نرى اعترافا صريحا بأن المعلم لهذه الصنعة هو الإمام جعفر الصادق^(٣)، وقد اطلع على هذه الحقيقة كثير من المستشرقين الغربيين)^(٤) وهذا ما جعل ابن النديم يقول: إن الرئاسة انتهت إلى جابر بن حيان في عصره، وكان أكثر مقامه بالكوفة، وبها كان يدير الأكسير لصحة هوائها، وله فهرس كبير يحتوي على جميع ما ألف في الصنعة وغيرها^(٥)، وأشار إلى هذا المعنى (برتيليو) بقوله: إن جميع الباحثين العرب في هذا العلم نقلوا عن جابر واعتمدوا على تاليه وبحوثه^(٦) وقد عده (ليكرك) بأنه أكبر العلماء في القرون الوسطى وأعظم علماء عصره، ويقول (اسارطون): كان جابر بن حيان شخصية فذة ومن أعظم الذين برزوا في ميدان العلم في القرون الوسطى وقد اهتم علماء الغرب بمؤلفات جابر من أمثال: (هوليمارد، بارتختين، استابلتن) وغيرهم، ووقفوا على نظريته (علم الموازين) إذ انه جعل لكل من الطبائع ميزانا، ولكل جسد من الأجسام موازين خاصة بطبائعه وكان أول من استخرج حامض الكبريتيك بتقطيره من الشب وسماه (زيت الزاج)

^(١) الخليلي: طب الإمام الصادق ص ٣١.

^(٢) المصدر نفسه ص ٥٦.

^(٣) الهاشمي: الإمام الصادق ملهم الكيمياء ص ٩٣.

^(٤) ابن النديم: الفهرست ص ٤٢٠.

^(٥) قدربي حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص ٩٧.

واستحضر حامض النتريك، وكشف الصودا الكاوية واستحضر ماء الذهب، وادخل طريقة فصل الذهب عن الفضة بالحمل بواسطة الحامض^(١) وبحث جابر بن حيان في السموم، وألف كتاباً سماه (السموم ودفع مضارها) فأتى فيه على أسرار وأقوال الفلسفه اليونان في السموم وأفعالها وضممه آراء جديدة وتقسيمات لأنواع السموم وأدويتها وتأثيرها في أجسام الحيوانات مما لم يصل غيره إليه^(٢) ويتبين من فصول الكتاب إن جابر اقسم السموم إلى حيوانية ونباتية وحجرية، وذكر من السموم الحيوانية مرارة الأفعى، ومرارة النمر، ولسان السلفة وذنب الإبل والأرنب البحري والضفدع والعقرب ومن السموم النباتية، قرون السبيل والأفيون والشيلم والخنظل والشوكران ومن السموم الحجرية الزئبق والزرنيق والزاج والطلق وبرادة الحديد وبرادة الذهب وأشارت المصادر إلى أن جابر بن حيان ألف كتاباً في الكيمياء يقع في ألف ورقة تضمنت رسائل الإمام الصادق عليه السلام، والتي بلغت خمسمائة رسالة في هذا العلم، وكانت هذه الرسائل مصدراً خصباً لعلم الكيمياء استفاد منها العلماء فائدة كبيرة وألف جمع من تلاميذه أربعمائة مصنف - بفتح النون - لأربعمائة مصنف بكسر النون^(٣) ولما توفي جابر بن حيان عام ١٩٨هـ/٨١١ م وجد تحت رأسه كتاب (الرحمة) وهو من الكتب التي أجمعـت المصادر على أنها له^(٤) وقد تصدـى للدراسة مؤلفات جابر بن حيان وآرائه كل من (هولـيـارد، وروـسـكا، وـكـراـوسـ) وتحتاج دراسـات هؤـلـاءـ الأـعـلـامـ وـغـيرـهـمـ منـ المـسـتـشـرـقـينـ لـتـبـيـانـ اـيجـايـاتـهـاـ وـسـلـيـاتـهـاـ.

ونقف عند نابغة الكوفة في عصره فيلسوف العرب والإسلام أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (١٨٥-٢٥٢هـ) الذي قال عنه ابن النديم (لم يكن في

(١) قدری حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص ١٠٠.

(٢) المصدر نفسه ص ١٠١، ينظر حسن الحكيم: لمحات من تاريخ الطب وعلوم الحياة في الكوفة ص ٨.

(٣) المفيد: الإرشاد ص ٢٧١، المحقق الحلبي: المعتبر ص ٤.

(٤) الطائي: أعلام العرب في الكيمياء ص ٤٥.

الإسلام فيلسوف غيره)^(١) فقد احتلت مؤلفاته جناحاً في بيت الحكمة في بغداد (الخزانة الكندية) ويقول الدكتور الطائي: إن الكندي أول عالم وفيلسوف مسلم طرق أبواب المعرفة كلها طبيعية وإنسانية^(٢) وكان قد رفض بعض الآراء السائدة في عصره، وألف رسالة سماها (بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم) وكان لا يؤمن بأثر الكواكب في أحوال الناس، ولا يقول بما ذهب إليه المنجمون من التنبؤات القائمة على حركات الإجرام^(٣) وبذلك يعد الكندي في علومه وآرائه نقطة تحول في تاريخ العرب والمسلمين العلمي والفلسفي^(٤) وإن قائمة مؤلفاته المتنوعة تؤكد عبقريته وهي:

كتابا في الفلسفة	٢٢
كتابا في التجوم	١٩
كتابا في الفلك	١٦
كتابا في المجدل	١٧
كتابا في الحساب	١١
كتابا في الهندسة	٢٣
كتابا في الطب	٢٢
كتابا في الطبيعتيات	١٢
كتب في الكريات	٨
كتب في الموسيقى	٧
كتب في مقدمة المعرفة	٥
كتب في المنطق	٩
كتب في الأحكاميات	١٠

(١) ابن النديم: الفهرست ص ٢٨٦.

(٢) الطائي: أعلام العرب في الكيمياء ص ٦٤.

(٣) قدربي حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص ١١٣.

(٤) الحكيم: ملحوظات من تاريخ الطب وعلوم الحياة في الكوفة ص ١٠.

١٤ كتابا في الإحداثيات

٨ كتب في الابعاديات

وقد طبق الفيلسوف الكندي الحروف والأعداد على الطب لاسيما في نظرياته المتعلقة بالأدوية، كما بني فعل الموسيقى على التنااسب الهندسي والأمر في هذه الأدوية أمر تناوب في الكيفيات المحسوسة وهي الحار والبارد والرطب واليابس^(١) قد تناول الكندي في مؤلفات (الطب الروحاني والطب البقراطي) كما تناول الأغذية والأدوية والعلل والأمراض والسموم ومن كتبه المشهورة كيفية إسهال الأدوية وكتاب في علة نفث الدم وكتاب اشفيه السموم وكتاب علة الجذام وكتاب عضة الكلب الكليب^(٢) وله كتب في وجع المعدة ومرض النقرس والأعراض الحادثة من البلغم وموت الفجاءة ومرض الطحال وتناول الكندي الضوء وأمراض العين فيقول: إن العين تبعث بجزئها الضوئية على هيئة مخاريط تتسع كلمات بعدت عن العين وتحيط بالأجسام التي تتعرض لهذه الحزم الضوئية^(٣) وكان للحسن بن الهيثم آراء جديدة في البصريات قد صحق فيها بعض آراء الكندي، وانه قد ترك آثارا خالدة في علمي الطبيعة والرياضيات، ولو لاه لما كان علم البصريات على ما هو عليه الآن^(٤) وان ما ذكرناه عن الطب في الكوفة يعطينا صورة عن الإبداع في الفكر الإسلامي حتى العصر العباسي.

(١) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص ١١٣.

(٢) ابن أبي اصبعية: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٢٩١.

(٣) الطائي: أعلام العرب في الكيمياء ص ٧٧.

(٤) قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص ١٦٧.

علماء الكوفة في المدرسة المستنصرية في بغداد

أولاً: علماء الكوفة في بغداد:

نشطت الحركة العلمية في مدينة الكوفة منذ تأسيسها عام ١٧هـ فقد نزلها الصحابة المجاهدون، فكانوا سبعين بدر ياً وثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وفي مقدمتهم عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وورد في رسالة عمر بن خطاب لأهل الكوفة:

هم النجاء من أهل بدر خذوا عنهم واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بعد الله بن مسعود على نفسي^(١)، وقد التف الكوفيون حول عبد الله بن مسعود وقد وصفوا بأنهم ((سرج الكوفة))^(٢) وقال الشعبي عامر بن شراحيل: ما رأيت أحداً كان أعظم حلماً ولا أكثر علماً ولا أكف عن الدماء من أصحاب عبد الله بن مسعود، إلا ما كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٣)، وكان التفسير والفقه الدعامتان الأساسيةان لمدرسة الكوفة منذ تأسيسها، وقد أخذت هذه المدرسة العلمية بالتوسيع منذ أن وطأ أرضها الإمام علي عليه السلام عام ٣٦هـ، وجعلها عاصمة للمسلمين، وقد اتجه إليها المسلمون من كل حدب وصوب، وأصبح مسجد الكوفة يعج بالقراء والمفسرين والفقهاء وكان لهم دوي كدوبي النحل، وقد ألقى الإمام علي عليه السلام خطبه في مسجد الكوفة، وأصدر فتاواه في معضلات المشاكل، وحكم بالقضاء العادل في أخطر الأحداث، وكل هذا في مسجد الكوفة، وأخذت المدرسة الكوفية النحوية تبرز منذ أوائل القرن الثاني

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٩٣/٦، ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص ١٥٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٨٨/٦، ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص ١٥٥، النووي: تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٠٩.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٩١/٦.

للهجرة، وهي تزاحم مدرسة البصرة في علوم اللغة والأدب. وتناظرها في العلوم الأخرى، وعند تأسيس مدينة بغداد ١٤٥هـ على يد أبي جعفر المنصور استقطبت أعلام المصريين (البصرة والكوفة) فيقول أبو بكر بن عياش الكوفي: ((الإسلام في بغداد وأنها لصياد تصيد الرجال))^(١)، وأصبحت حاضرة الإسلام وملتقى الأعلام، حتى أنها فرضت نفسها على مدینتي البصرة والكوفة^(٢)، وقام بعض أعلام الكوفة بدور المؤذبين لأنباء الخلفاء العباسيين، فقد كان أبو العباس الفضل بن محمد الضبي الكوفي، المتوفى عام ١٧٨هـ مؤذناً للمهدي^(٣)، وكان شرقي بن القطامي مؤذناً لأنباء المنصور^(٤)، وكان الكسائي علي بن حمزة الكوفي المتوفى عام ١٨٩هـ مؤذناً للرشيد. ومن ثم أقامه الرشيد مؤذناً لولده محمد الأمين^(٥)، وقصد مدينة بغداد جمع من فقهاء الكوفة كالإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت وأبي يوسف القاضي، والحسن بن زياد اللؤلؤي، ومحمد بن الحسن الشيباني، وأبي بكر بن أبي شيبة وغيرهم، وقد تولى بعض فقهاء الكوفة التدريس بمدينة بغداد. وقد حظيت بغداد بال نحو الكوفي الكبير يحيى بن زياد الفراء المتوفى عام ٢٠٧هـ، والشاعر الكوفي حماد عجرد المتوفى عام ١٦١هـ، والإخباري الهيثم بن عدي الكوفي المتوفى عام ٢٠٧هـ والشاعر المعروف أبو العتاية المتوفى عام ٢١١هـ وقائمة أعلام الكوفة في بغداد طويلة، لأنهم استغرقوا العصر العباسى بأكمله. وأشار الخطيب البغدادي في كتابه ((تأريخ بغداد)) إلى عدد من الكوفيين الذين ساهموا في الحركة العلمية في بغداد وكانت رسالة السيد عوض عبد الكريم المقدمة إلى كلية الآداب بجامعة بغداد و الموسومة ((إسهامات علماء الكوفة في

^(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٤٧/١.

^(٢) السيوطي: المزهر ٤١٤/٢.

^(٣) ابن النديم: الفهرست ص ٧٥.

^(٤) ابن قتيبة: المعارف ص ٢٣٤.

^(٥) الخطيب: تاريخ بغداد ١٠/٤٠٣-٤٠٦، ابن الأنصاري: نزهة الالباء ص ٦١، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦/١٨٤.

الحركة الفكرية في بغداد من ١٤٩-٧٦٦ هـ (٩٤٥-٢٣٤ هـ)) صورة واضحة عن علماء الكوفة في بغداد، وقد استمرت هذه المساهمة بعد التاريخ الذي حددته الرسالة المذكورة إلى سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ^(١)، وسوف أتناول جانبًا من ذلك وهو علماء الكوفة في المدرسة المستنصرية ومدى إسهاماتهم في الحركة الفكرية والعلمية في بغداد في القرنين السابع والثامن هجري.

ثانياً: علماء الكوفة في المدرسة المستنصرية:

أسس الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣ - ٦٤٠ هـ) المدرسة المستنصرية بمدينة بغداد عام ٦٢٥ هـ، وتكاملت في عام ٦٣١ هـ، وقد روعي في بنائها بأن تكون مشتملاتها كإطار يحيط بها، فالحجر والغرف والقاعات والأواني والأروقة وغير ذلك من المبني تحف بها من جهاتها الأربع، ويتوسطها صحن طويل فسيح، وكانت الرقعة المغطاة بالبناء تستوعب كل مستلزمات المدرسة كحجر الدرس والنوم والطعام وخزانة الكتب والبيمارستان (المستشفى) والصيدلية والساعة والمخازن والحمام والمطبخ وغيرها، وكانت قاعات الدرس والأواني والمسجد على ارتفاع بارتفاع الطابقين الذين تتألف منهما المدرسة، وأصبحت المستنصرية مقصد العلماء والفقهاء والفلسفه والأدباء وغيرهم، وقد استقطبت رجال العلم والفكر، وكان لمدينة الكوفة مساحة من علماء هذه المدرسة، وقد أشارت المصادر إلى مواقعهم العلمية فيها، وقد وقفنا على بعضهم، وهم وفق تواريХ وفياهم:

أولاً: ابن الحيا العباسي الكوفي، المتوفى عام ٧٠٣ هـ، كان الشيخ محبي الدين أبو الفضل محمد بن شرف الدين يحيى بن هبة الله بن الحيا العباسي الكوفي البغدادي، مدرساً في المدرسة المستنصرية، وخطيباً ببغداد، وشيخاً لرباط الشونيذية^(٢)، وكان ينتهي لبيت علم وجلالة وفقه. وقد وقع أسيراً بيد المغول عند احتلالهم مدينة بغداد عام ٦٥٦ هـ، وكان عمره يومئذ تسع سنين، وقد أنقذه من

(١) كنت عضواً في مناقشة هذه الرسالة في كلية الآداب بجامعة بغداد عام ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م

(٢) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ٩٣/١

الأسر شمس الدين أبو المنقب الهاشمي الكوفي، وأصبح فيما بعد من تلاميذه في الفقه والوعظ^(١).

ثانياً: ابن الصباغ الأسدي الكوفي، المتوفى عام ٧٢٧هـ، ولد أبو التقى محبي الدين صالح بن عبد الله بن جعفر بن علي بن صالح الأسدي في مدينة الكوفة في الرابع من ربيع الأول عام ٦٣٩هـ، وأصبح ((عالم الكوفة)) و((نادرة العراق))^(٢) ويقول السيوطي: انه فاضل الكوفة في عصره^(٣)، وجمال بلدته وأمامها في أنواع العلوم^(٤)، وقد أجازه الصاغاني والموفق الكوشي وروى عنهم، واخذ عنه الفصيح فخر الدين، وأجاز تقى الدين بن رافع^(٥)، وقد عرض عليه التدريس في المدرسة المستنصرية فامتنع لأنه أراد الانصراف إلى التأليف^(٦)، وقد يكون بسبب الورع والتعفف باعتقاده إن المرتبات التي كانت تدفع للمدرسين تنقص من قيمة العلم وتحط من قدره^(٧)، كما انه امتنع عن تولي منصب القضاء في المدرسة المستنصرية، وقد أشارت المصادر إلى علمه وزهره وورعه فيقول ابن حجر: كان فريداً في علوم التفسير والفقه والفرائض والأدب^(٨)، ويقول ابن الفوطى: انه من فضلاء الدهر واعيان علماء العصر^(٩)، وكان انشغال ابن الصباغ الكوفي بالتدريس ملاً عليه وقته واثر على انصرافه للتأليف، وله كتاب ((الكافية في

(١) ابن الفوطى: تلخيص مجمع الآداب ٥/٤٢٢ - ٤٢٣: ابن أبي الوفاء: الجواهر المضية ٢/١٤٤.

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة ٢/٣٠٠.

(٣) السيوطي: بغية الوعاة ٢/١٠.

(٤) العزاوى: تاريخ الأدب العربي ١/١٦٧، العراق بين احتلالين ١/٥٠٢، مفيد آل ياسين: الحياة الفكرية في العراق ص ٢٧٩.

(٥) ابن حجر: الدرر الكامنة ٢/٣٥٨.

(٦) م. ن.

(٧) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ٢/٤٠٩.

(٨) ابن حجر: الدرر الكامنة ٢/٢٩٩.

(٩) ابن الفوطى: تلخيص مجمع الآداب ٥/٣٧١.

علم الفرائض^(١)، وكان قد ألقى كتاب ((الكتشاف)) دروساً من صدره ثماني مرات مع بحث و تدقيق وإيراد وتسلیک^(٢).

ثالثاً: ابن الفصیح الکوفی، المتوفی عام ٧٤٥ھـ. ولد جلال الدین أبو محمد عبد الله بن احمد بن علي الکوفی الهمدانی عام ٧٠٢ھـ، وأصبح أديباً ثبتاً، وقد درس اللغة العربية في المدرسة المستنصرية، كما انه كان فقيهاً معروفاً، وقد توفي عام ٧٤٥ھـ قبیل والده. ويقول ابن العماد: انه طلب الحديث وسمع من الخزرجي وشارك في الفضائل^(٣).

رابعاً: جلال الدين الهاشمي الکوفی، المتوفی عام ٧٤٦ھـ. ولد جلال الدين أبو هاشم محمد بن محمد بن (حمد بن عبد الله) الکوفی البغدادي الاتراري عام ٦٦٣ھـ، وقد سمع من الرشید بن أبي القاسم والنظام الھروي ((جامع الترمذی)), وقد أجاز له عبد الصمد بن أبي الجيش والموفق الکوشی وآخرون وقد رتب مسمعاً للحديث في المدرسة المستنصرية بعد تقیي الدنيا الداقوقی، وقد قيل عنه ((كان اکبر أمناء بغداد^(٤)، وقد نعت بالمدرس، وما يدل على استشهاده بالتدريس خارج نطاق التعليم المدرسي^(٥) .

خامساً: فخر الدين الهمدانی الکوفی، المتوفی عام ٧٥٥ھـ. ولد فخر الدين أبو طالب احمد بن علي بن احمد الهمدانی الکوفی البغدادي. بمدينة الكوفة عام ٦٨٠ھـ، ونشأ بها ودرس فيها، وأصبح عالماً نحويَاً، واشتهر بابن الفصیح، ويقول المراغي: انه الجامع بين المعمول والمنقول^(٦)، وقد برع في الفقه وله مشاركة في العلوم من حکمة وفلسفة وأدب وله نظم ومؤلفات، فقد قرأ القراءات السبع

^(١) مفید آل یاسین: الحیاة الفکریة فی العراق ٢٧٩.

^(٢) ابن حجر: الدرر الکاملة ٢/٢٩٩.

^(٣) ابن العماد: شذرات الذهب ٦/١٤٣.

^(٤) ابن حجر: الدرر الکاملة ٤/٢٨١.

^(٥) مفید آل یاسین: الحیاة الفکریة فی العراق ص ٢٤٠.

^(٦) المراغي: الفتح المبين ٢/١٦٤.

ونظم فيها قصيدة، وأجاز روايتها وهي على وزن الشاطبية بغير رموز وسماها ((حل رموز الشاطبية)) ونظم ((السراجية)) في الفرائض و((مستحسن الطرائف في نظم كنز الدقائق)) و((منار الأنوار)) في أصول الفقه، و((النافع)) في الفروع^(١)، وأصبح فخر الدين الكوفي ((شيخ النحاة ببغداد))^(٢)، وكان قد سمع بمدينة بغداد من حسام الدين الغنافي صاحب ((النهاية)) والمدرس في مدرسة أبي حنيفة، ومن ابن عبد الحق البغدادي، المتوفى عام ٧٣٩، وتفقه عليه عبد الوهاب بن احمد بن وهبان الدمشقي^(٣)، ومن المفيد القول إن ولده جلال الدين المعروف بابن الفصيح، النابغة المعروف قد توفي عام ٧٤٥هـ، وأما فخر الدين المعروف أيضاً بابن الفصيح قد توفي بعده بعشرين سنة في مدينة دمشق، حيث أنه قصدتها عام ٧٤١هـ.

سادساً: محمد بن احمد الكوفي: كان محمد بن احمد الكوفي البغدادي الهاشمي أديباً وشاعراً وله مرات في الخليفة المستعصم والبيه وقد انشدتها في مجالسه بالمستنصرية، وقد ورثها ولده جلال الدين أبو هاشم^(٤)، ولم تشر المصادر إلى تاريخ وفاته. ومن المحتمل إن علماء الكوفة قد واكبوا الحركة العلمية في المدرسة المستنصرية إلى حين اختفاء معالمها وإخماد جذورها العلمية في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي.

(١) المراغي: الفتح المبين ٢/٦٤، ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ٢/٢٩٧.

(٢) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ٢/٢٩٨.

(٣) المراغي: الفتح المبين ٢/٦٤.

(٤) ابن حجر: الدرر الكامنة ٤/٢٨١.

مدينة الكوفة بين التواریخ المحلية والحركة الإخبارية

خصصت التواریخ المحلية للمدن والأماصار الإسلامية، فهي عادة تتناول مقدمة طبغرافية للمدينة، وابرز رجالها في العلوم والفنون والأداب، وقد وصلتنا بعض هذه التواریخ المحلية، وأصبح بعضها في عداد الكتب المفقودة، وهي على النحو الآتي:

- ١- خطط الكوفة وخطط البصرة للهيثم بن عدي (ت ٢٠٧ هـ).
 - ٢- تاريخ مكة للازرقي (ت ٢٢٣ هـ).
 - ٣- تاريخ مصر وفتح المغرب لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ).
 - ٤- فضائل بغداد وأخبارها لأحمد بن محمد السرخسي (ت ٢٨٦ هـ).
 - ٥- تاريخ واسط لأبي الحسن اسلم بن سهل (بحشل الواسطي) ت ٢٨٨ هـ.
 - ٦- تاريخ الموصل لأبي زكريا يزيد بن محمد بن اياس (ت ٣٤ هـ).
- وتالت المؤلفات في خطط المدن وتاريخها بعد القرن الثالث الهجري، الموافق للقرن التاسع الميلادي، وبرز من أعلام الكوفة في علم الرجال: الحسن بن علي بن فضال التيمي الكوفي (ت ٢٢٤ هـ) وولده علي بن الحسن^(١). وأشار حاجي خليفة إلى ((تاريخ الكوفة)) لأبي الحسين محمد بن جعفر بن محمد المعروف بابن النجار الكوفي (ت ٤٠٢ هـ)^(٢). وقد حاول البلداينون المؤرخون أبرز دور الكوفة في الحياة العلمية والفكرية والسياسية، وان كانت الاعتبارات الدينية في مقدمة العوامل المساعدة على كتابة التاريخ المحلي، ويقول الدكتور السيد عبد العزيز سالم: ((كان عدد كبير من كتب التاريخ الإسلامي، المحلي صنفت من أجل

^(١) الطوسي: الفهرست ص ١١٨، شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ٢٠٦/١.

^(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون ١/٣٠٢.

اعتبارات دينية^(١). وقد تكون الاعتبارات القطرية والولاء للمدينة والاعتراض بتاريخها ورجالها دافعاً أساسياً لكتابه التاريخ المحلي، يقول الأستاذ روزثال ((كان الاهتمام بالتاريخ المحلية في كل الأزمنة تعبراً أدبياً محباً عن شعور الجماعة... وقد عبرت المجتمعات التي تكون العالم الإسلامي كافة عن الرباط الوثيق الذي يربط الناس بمكان مولدهم، مع إن كثيراً من التواريخ المحلية في الإسلام نشأت من الاعتبارات الدينية والفقهية))^(٢). ويمكن اعتبار الكتابة في التاريخ المحلي جاء من ارتباط الاتجاه الديني باتجاه الدنوي، وهذا ما تؤيده الكتب المحلية التي وصلتنا، إذ أنها تتناول الإدارة والمجتمع والمؤسسات العلمية ورجال العلم والفكر والأدب وغير ذلك. ومن المحتمل إن تخطيط مدینتي البصرة والكوفة في عامي ١٤، ١٧ للهجرة، واحتلالهما موقعاً متقدماً في الحياة السياسية والإدارية والعلمية، جعل الاهتمام بهما أكثر من المدن الأخرى. ويقول الأستاذ بروكلمان: إن أبو زيد عمر بن شبة النميري (١٧٣-٢٦٤هـ) أول من صنف أخبار أهل البصرة^(٣). ولكن نجد الهيثم بن عدي (ت ٢٠٧هـ) قد كتب ((خطط البصرة)) و((خطط الكوفة)) وإن كلاً منها تاريخ للمدينة ويحتوي على معلومات طبغرافية واجتماعية، وقد عرف كتاب خطط البصرة باسم ((فضائل البصرة))^(٤). أما المؤرخ بخشل الواسطي، أبو الحسن اسلم بن سهل بن حبيب الرزاز (ت ٢٨٨هـ) فقد جمع تاريخ واسط، وضبط أسماء أهلها ورتب طبقاتها^(٥). وقد وصف ياقوت الحموي، بخشل الواسطي بأنه ثقة، لا مزيد عليه في الحفظ والإتقان^(٦). ولكن يؤخذ على المؤرخ بخشل اقتضابه للحوادث والرجال،

(١) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب ص ١٠٤.

(٢) روزثال: علم التاريخ عند المسلمين ص ٢٠٦.

(٣) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٢/٣.

(٤) حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/١٢٧٤.

(٥) ياقوت: معجم الأدباء ٦/١٢٧.

(٦) المصدر نفسه.

ومع هذا فإن له منهجة متميزة في الكتابة أشار إليها المستشرق ((روزنثال)) بقوله: ((استعمل كلمة قرن بدل كلمة طبقة التي انتشر استعمالها فيما بعد في هذا المضمار، فأول جيل هم من جاء واسط من صحابة الرسول الذين خدموه ورووا أحاديثه وسمعوا كلامه وقد كتب عن كل مترجم أخباراً قليلة جداً تقتصر عموماً على ذكر الراوي وأحاديثه ومن روى عنه وحديثهم ورواية الحديث المنسوب إلى ذلك الراوي للتعریف بمركز كل شخصية في العلم ودرجة توثيقه))^(١). ولعل المؤرخ الواسطي قد تأثر بأسلوب المحدثين في دراسته لتاريخ واسط. أما المؤرخ الأزدي (ت ٢٢٣هـ) في كتابه ((تاريخ الموصل)) فإنه قد أشار إلى بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، فقد وصف حالة الجماعة التي وقعت في الموصل عام ٢٠٧هـ بقوله: ((كان سوق الطعام في ناحية دور أبي وهب بالقرب من سوق الحشيش وكان لا يجترئ أحد أن يظهر بنموج طعام، وإنما يخرج الرجل شيئاً من كمه فيبيعه سراً وربما كتمه خوفاً من الناس)) وان مثل هذه الأخبار، وان كانت قليلة إلا أنها مادة أساسية لتأريخ مدينة الموصل^(٢). ولعل الذي يميز مدينة الكوفة عن غيرها من المدن والأقصارات الإسلامية، هو بروز الحركة الإخبارية فيها، وذلك في قبال مدرسة المدينة التي اتجهت إلى دراسة السيرة النبوية والمغازي بحيث طفت عليها دراسة الحديث الشريف على غيره، وكانت الحركة الإخبارية في العراق قد بدأت في القرن الثاني للهجرة، فتصدى الإخباريون إلى جمع الأخبار وضم بعضها إلى بعض، وتذوين ذلك في رسالة وكتاب^(٣). ولم تسلم هذه الأخبار من تعصب للمدينة أو ارتباط لقبيلة، ويقول الدكتور عبد العزيز الدوري: يتميز الأسلوب الإخباري بالبساطة والصورة الحية للحوادث، وحين يكتب الإخباريون عن المعارك نجد لهم يوردون الشعر والخطب والمحوار من خلال أخبارهم، ونجد القصة عادة متسلسلة في كتاباتهم، كما نحس أحياناً بنبرة أسلوب قصص الأيام

(١) روزثال: علم التاريخ عند المسلمين ص ٢٢٩.

(٢) روزثال: علم التاريخ عند المسلمين ص ٢١١.

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام ٣٤١/٢.

فيها^(١). ولما كانت القصص والنواذر والروايات والانتماء القبلي والعقائدي تثلج جانباً كبيراً من مرويات الإخباريين، فإنها تحتاج إلى وقفة تأمل في محاولة للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وإن الواقع على بعض روايات أبي خنف على سبيل المثال، يجد في جملتها روايات كوفية، وإن أضاف إليها روايات شامية ومدنية^(٢). فإن في رواياته أشياخ من قبائل الأزد وغير ومحارب وتميم، كما إن سيف بن عمر يورد روايات عن قبيلة كلب، ولكن إلى جنب هذه الروايات فإن بعض الإخباريين من يتبع في دراساته ويبيّن عن حدود القبيلة والمدينة، بأنهم يجولون بأفكارهم عبر العراق والشام ومصر وغيرها. معتمدين على الرواية الشفهية من جانب وعلى المدونات الأولى من جانب آخر، وكانت كتب حماد الرواية والاصمعي في مقدمة مصادر الإخباريين وبما إن رواياتهما لم تكن على جانب من الثقة والاطمئنان، فأصبح من اللازم الوقوف عليها بدقة في حالة قبولها أو رفضها ويقول الأستاذ جميل نخلة: إن الخلل في رواية حماد الرواية أنه يقول الشعر على لسان المتقدمين فيها يروم إسناده من نكتة أو من خبر فهو إلى المؤأخذة بما يدخل على التاريخ من الأخبار الموضوعة اقرب إلى الثناء على ما يضعه في الشعر الذي لا يفترق عن كلام الجاهليين، يقال انه روی لهم ألفين وتسعمائة قصيدة، لكل حرف من الحروف الأبجدية مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات^(٣). واليه أشار محمد بن سلام الجمحي بقوله: انه أول من جمع أشعار العرب^(٤). وإن تلقيه بالرواية جاء من علميته أيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها^(٥). حيث انه كان لم يترك أثراً مكتوباً كما تدل النواذر المروية عنه، حتى

(١) الدورى: نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٢٥.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٤.

(٣) جميل نخلة: حضارة الإسلام ص ٢٠٨.

(٤) السيوطي: المزهر ١/١٧٥.

(٥) الزركلي: الأعلام ٢/٣٠١.

انه كان يلجم دوماً في الرواية إلى ذاكرته^(١). وقد أصبح له مقام رفيع في البلاط الأموي لما استدعاه الوليد بن يزيد إلى الشام للاستماع إلى أحاديثه ومروياته ومن المحتمل إن السلوكية الشاذة التي عاشها حماد الرواية في مدينة الكوفة واستشهاده بالبعث والجحون والخلاعة، جعلت الوليد بن يزيد، الذي كان على شاكلته أن يحيى في بلاطه تلك الحياة التي اعتادها، وقد سأله الوليد يوماً، بم استحققت لقب الرواوية؟ قال: أني اروي شعراً قدماً أو محدثاً إلا ميزت القديم عن المحدث، قال: فكم مقدار ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثير، ولكن أنشدك عن كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطوعات من شعر الجاهليه دون الإسلام. وقد تصدى له الإخباريون وقالوا: كان يلحن ويكتب ويكسر^(٢). وكان خلف الأحمر في البصرة يقابل حماد الرواية في الكوفة، إذ انه كان معلم الأصمعي، ومعلم أهل البصرة واليه أشار الاخفش بقوله: لم أدرك أحداً اعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي، وقال ابن سلام: اجمع أصحابنا أن خلف الأحمر كان أفرس الناس ببيت شعر، واصدق لسانا، وكنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً إلا نسمعه من صاحبه^(٣). وقد وجهت خلف الأحمر مثالب شبيهة للمثالب التي وجهت لحماد الرواية، ومنها وضع الشعر ونسبه إلى العرب^(٤).

(١) بلاشير: تاريخ الأدب العربي ص ١٠٨.

(٢) السيوطي: المزهر ١/١٧٦.

(٣) ياقوت: معجم الأدباء ١١/٦٨.

(٤) المصدر نفسه ١١/٦٨.

الكوفة في الندوات الأدبية النجفية

كانت الندوات الأدبية والعلمية في النجف الأشرف لها اسهاماً كبيرة في الحركة الثقافية في العراق، إذ إن كثيراً من أدباء وشعراء المدن العراقية يشاركون في ندوات النجف الأشرف، وقد أطلق على بعضها لفظ (المعركة الأدبية)، لأن المساجلات كانت تأخذ موقعاً فيها، ويغلب على بعض هذه الندوات طابع النكتة والطرف، ويفضل أدباء النجف وشعراؤها مناظر الكوفة الخلابة، وفراطها الجميل مكاناً للراحة وقضاء وقت من المتعة بين الماء والخضراء. وكانت (ندوة الغرق) إحدى الندوات الفكاهية النجفية، وقد شارك فيها: الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ محمد جواد الشيباني، والسيد جعفر الحلبي، والشيخ رضا الأصفهاني، والسيد باقر الهندي، والشيخ هادي كاشف الغطاء، وقد اختار هؤلاء الأعلام منطقة عشيرة (آل مواش) مكاناً للجلوس على نهر الفرات، ومن ثم النزول إلى النهر للسباحة وكان السيد جعفر الحلبي، لا يحسن السباحة حتى كاد يغرق في نهر الفرات لو لا إنقاذه من قبل الشيخ سليمان آل كريم آل مواش، فأنسد السيد جعفر الحلبي قائلاً^(١):

فسخر الريح (سليمان) له من (آل مواش كريم) معرقه
وتحولت الجلسة بعد ذلك إلى ندوة أدبية تباري فيها الشعراء، وحدد تاريخ
الحادية بكلمة (مغرقه) وهو عام ١٣١٥.

وقد عقدت إحدى ندوات (التاجين) التي شارك فيها الشيخ علي ثامر، والأستاذ جعفر الخليلي، فالشيخ قاسم محبي الدين، والشيخ محمد الخليلي في دار الشيخ محمد صالح الخليلي في مدينة الكوفة، وقد أعد وليمة (ماش مطبق بالخضيري) وقد أنسد الشيخ محمد الخليلي أرجوزة في هذه الوليمة، ذكر فيها حضارها وهم: الشيخ قاسم محبي الدين، والشيخ محمد جواد الشيخ راضي

^(١) الخليلي: هكذا عرفتهم ٣٨٢/١.

والشيخ محمد كاظم الشيخ راضي، والشيخ علي ثامر، والشيخ محمد الخليلي، والشيخ محمد الشريعة، والشيخ محمد رضا المظفر، والشيخ محمد صالح الخليلي، والأستاذ جعفر الخليلي، ومن أبيات هذه الأرجوزة:

ياما أحيلا حلبة الأحباب ومتدى الأخلاق والأداب
ومجلساً بالنخبة الزكية قد عمنا لطفاً واريحه
وفيهم العلامة الحبر الغني عن وصفه (القاسم نجل الحسن)
وقد أراد بالبيت الثالث، العلامة الشيخ قاسم محبي الدين، وقد استمر
الشيخ محمد الخليلي بذكر حضار الندوة في أرجوزته الواحد بعد الآخر. وبعد أن
تناول الحضور الشاي والقهوة تقدم الشيخ محمد صالح الخليلي فأنسد أرجوزة
منها:

ذا شرف الإخوان من ارض النجف الحمد لله على حسن الصدف
ومن بهم مجلس انسنا صفا نخبة أهل الفضل إخوان الصفا
ومن مصابيح الظلام المدلهم أكرم بهم من عقد جوهر نظم
ترضون من أخيكم هذا الرجل أقول هل أسمعكم نظمي وهل
ولم يكن يعرفني شيطاني ذا لست من خرسان ذا الميدان
وأخذ الشيخ الخليلي بعد ذلك يصف المائدة وما فيها من (طبيخ الماش)
والكمش والزعفران ووصف الأواني ومحتوياتها. ولما أكمل الشيخ الخليلي
أرجوزته، أعقبه الشيخ محمد رضا المظفر بقصيدة طريفة منها:

أين المفتر من العزيمة يا بعدها خططا حكيمه
وقد وقعت بها أغنية نصبوا (أبا الهادي) الشباك
أم جبور لك للوليمة صادوك أم صادوا طيورك
وكان الشيخ المظفر في قصيده يكرر اسم (أبو الهادي) والمقصود به الشيخ
محمد صالح الخليلي^(١). وهو والد الأستاذ الدكتور عبد الهادي الخليلي وتعد ندوة

(١) الخليلي: هكذا عرفتهم .٣٢/٢

(ماء الكوفة) من روائع الندوات الأدبية النجفية، وقد عقدت في الكوفة بحضور قائم مقام النجف الأستاذ السيد حسن الجواد عندما شرع بتنفيذ مشروع الماء والكهرباء، فتقدم الشيخ علي البازمي فشكر السيد الجواد نيابة عن أهالي مدينة الكوفة، وقد طالبه بعد أنابيب الإسالة لتصفية الماء بقوله^(١):

أخي مثل عصر النور نحيى بظلمة
 على النهر شاطئ الفرات يوتنا
 أنابيبه جاءت ولكن مدها
 فأنجز لنا مشروعنا واربح الثنا
 وقد أراد شعراء النجف تحويل هذه المناسبة إلى جلسة أدبية ظريفة، فأنشد
 الشيخ محمد علي اليعقوبي بيتين طالب فيما عدم الاستماع لمطلب الشيخ علي
 البازمي وهما:

لا تعر أهل كوفة الجندي سمعاً
 دع الناس يهلكون ضماءاً
 كيف تسقي يا بن الجواد أناساً
 منعوا جدك الحسين الماء
 وقد شطر هذين البيتين كل من: السيد محمود الحبوبي، والشيخ علي
 البازمي، والشيخ عبد الغني الخضري، والشيخ محمد علي اليعقوبي، والأستاذ عبد
 الأمير الشرقي، والشيخ محمد الخليلي. وقد كشفت هذه الندوة الأدبية عن حضور
 النكتة والطريقة وسرعة البديهة التي كان عليها شعراء النجف الأشرف^(٢).

وكانت ندوة الشاي التي عقدت في دار الأستاذ جعفر الاعسم، وقد
حضرها مدير ناحية الكوفة الأستاذ لطفي علي عام ١٣٦٠هـ/١٩٤١م، قد شارك
فيها الشيخ محمد علي اليعقوبي والأستاذ إبراهيم الوائلي، والشيخ عبد الغني

(١) الحاقاني: شعراء الغري ٣٧٠/٦ - ٣٧١.

(٢) حسن الحكيم: كيف صيرت النجف قائمة شاعراً، مجلة الذكرات (دراسات ونصوص)
ص ٢٥ - ٢٠.

الحضرى، والشيخ علي البازى، والشيخ محمد حسن حيدر، وبدأ الندوة الأستاذ إبراهيم الوائلى، بقوله^(١):

كوفة الجند على ضفاف الفرات جددي للعراق عهد الآباء
وتعاقب بعده الشعراء بإنشاد البيت والبيتين حتى بلغت عدد أبيات
القصيدة أربعة وعشرين بيتاً.

وتقدم هذه النماذج الأدبية صورة عن الحياة التي كان يعيشها الأديب النجفي في النصف الأول من القرن العشرين، وما فيها بساطة في السلوك، وعفوية الخاطر، وسلامة النية، وقد أسهمت هذه الندوات في الحركة العلمية والأدبية في النجف الأشرف، وتحتاج إلى دراسة فنية متخصصة لإبراز خصائصها الأدبية، وتحديد الأصالة والإبداع منها.

(١) جريدة الغري، العدد (٦٩ - ٧٠) السنة الثانية ١٣٦٩ هـ / ١٩٤١ م.

إسهامات الفيلسوف الكندي في تطوير الفكر العربي والإسلامي

أطلق لفظ (فيلسوف العرب) على المفكر الكبير أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (١٨٥-٢٥٢هـ)، لأنه كان قد مثل فلسفة أرسطو طاليس تشيلاً كبيراً، ويقول الأستاذ الدكتور فيليب حتى، في كتابه (تاريخ العرب) إن الفيلسوف الكندي قد استقى آراءه من شتى المصادر ثم سعى مثل أصحاب الفلسفة الأفلاطونية الجديدة إلى مزج آراء أفلاطون وأرسطو، متخذًا الرياضيات التي خلفتها مدرسة فيثاغورس المتأخرة أساساً للعلم على الإطلاق، وفي الحقيقة إن أبو يوسف الكندي لم يكن فيلسوفاً وحسب، بل كان عالماً بالتجيم، والكيمياء، والرياضيات، وقد أشارت المصادر إلى تأليفه البالغة أكثر من مائتين وخمسة وستين كتاباً، ولكن مما يؤسف عليه أن أكثر هذه الكتب أصبحت مفقودة، وقد تحتاج إلى من يفتح عنها في خزائن الكتب العربية والأجنبية، وقد يعثر على هذا الكتاب أو ذاك، أو قد يكون بعضها قد تداخل مع مجاميع من الكتب، إذ إن كثيراً من الرسائل تدمج مع كتب معينة، وتحمل اسمها وأحداً، مما يؤدي إلى ضياع هذه الرسائل، ومن الملاحظ أن القرن الثالث الهجري، الموافق للقرن التاسع الميلادي والذي عاش فيه الفيلسوف الكندي، وقد عاصر فيه جماعة من الفلاسفة والمتكلمين والعلماء من اختصاصات مختلفة، كان بداية الازدهار الحضاري والفكري في بغداد حاضرة الفكر والعلم والحضارة، وحواضر الإسلام الأخرى في المشرق والمغرب، وقد استقطبت مدينة بغداد جهابذة العلم والثقافة، وفي هذه الأجواء برع الفيلسوفان العظيمان: يعقوب بن إسحاق الكندي، وجابر بن حيان الكوفي وغيرهما من علماء العرب وال المسلمين المتخصصين بالتفسير والحديث والفقه والأصول واللغة والأدب والتاريخ والفلسفة والرياضيات والفلك والطب والهندسة وعلوم الحياة وغيرها من العلوم والمعارف والفنون وقد شهد القرن الثالث الهجري تلاقياً فكريًا بين الثقافات، وامتزج فيه العلماء وكان الفيلسوف

الكندي قد فرض وجوده العلمي على مجتمع عصره، وقد جعله الخليفة العباسى، المعتصم بالله مؤدباً وأستاذًا لولده أحمد، لأنَّه جمع بين الطب والفلسفة والتريية وغيرها من العلوم، وقد احتلت مؤلفاته مساحة كبيرة في المكتبات، وخرائط الكتب، وانتشرت في الأوساط الإسلامية العالمية، وقد أشارت المصادر إلى مصنفه الفريد في علم البصريات، مطبقاً على الآراء الهندسية والفيزيولوجية، بناء على مؤلف (أقليدس) في البصريات، والمحفوظ في خزانة (بشون Theon) وبقي لهذا الكتاب موقع مميز، إلى أن حل محله كتاب أوسع لابن الهيثم، ويقول الدكتور فيليب حتى (وقد تأثر روجر باكن بترجمة لاتينية لكتاب الكندي عنوانها De aspectibus وللفيلسوف الكندي ثلاث رسائل أو أربع وهي في الموسيقى من الناحية النظرية، وهي أقدم مخطوط لأثر عربي قد تأثر بعلوم اليونان، أما في علم النفس فان للKennedy إسهامات كبيرة فيه، وان قوله: (إن النفس بسيطة ذات شرف وكمال، عظيمة الشأن جوهرها من جوهر الباري عز وجل كقياس ضياء الشمس من الشمس)، شاهد على عمليته في النفس، وذكر الأستاذ عبد علي الجسماني في بحثه (الكندي) والمنشور في جريدة الشورة البغدادية في عددها (٦٨٩) بتاريخ ١٩٨٩/١/١٧، على إن الفيلسوف الكندي في حديثه عن النفس الإنسانية يقول: أنها لا تنام البتة، وإنما في يقظة دائبة، وان الكندي لا يكتفي بالقول مطلقاً من غير أن يرده ببرهان عقلي يتضمن قوة الامتناع فهو مثلاً يتحدث عن استمرار النفس في يقظتها، ويورد قوله: إن الإنسان كونه مركباً من بدن ونفس، فمن طبيعته النوم، ولكنه يرى في النوم عجائب الأحلام على الرغم من توقف الحواس عن النشاط والعمل، ويعرف النوم بأنه: (ترك استعمال النفس للحواس جميعاً، فانا إذا لم نبصر، ولم نسمع، ولم نذق، ولم نشم، ولم نلمس من غير مرض عارض، ونحن على طبعنا فنحن نائم)، ولل濂يسوف الكندي رأي في العقل، إذ وصفه بخمسة أوصاف هي: العقل الأول، والعقل بالفعل، وانه الفعل بنوعية الأشياء التي هي بالفعل أبداً، وانه العقل المخرج النفس إلى أن تصير عالقة بالفعل، بعد أن كانت عالقة بالقوة، وانه ليس هو وعالقه شيئاً واحداً وقد تناول الفيلسوف الكندي في

شرح هذه الأوصاف، ولاشك إن رأي الكندي بالنفس والإنسان والعقل، ناتج من اهتماماته، رأى شابا مريضا فطلب إحضار أربعة من تلاميذه لهم ألمام بالموسيقى، وضرب العود، فأخذوا يعزفون عند رأسه، وكان الكندي يراقب نبضه، إذا أخذ بالتحسن شيئاً فشيئاً، إلى أن بدأ بالتحرك، ولم يفتر العازفون عن الضرب على أعوادهم، عند ذلك طلب الفيلسوف الكندي من والد المريض أن يسأله، ولما غفل الضاربون عن العزف عاد المريض إلى حالته السابقة، ثم فارق الحياة، فقال الكندي: (أنها أمانة استردها خالقها، وإنما كانت طريقته، فإن الشاب كان في رممه الأخير، فاستطاع أن يستبقي بعض الحشاشة لمدة وجيزة، ولكن الإنسان لا يستطيع أن يتجاوز الحدود على مشيئة الله، ويعطي هذا النص دلالات على تعدد معارف الكندي، واستخدم فكره في مجالات الحياة.

الريادة العلمية في فكر جابر بن حيان

أعطى كثير من المؤلفين والباحثين صفة الريادة للمفكر الإسلامي الكبير جابر بن حيان الكوفي، المتوفى عام ١٩٧هـ / ٨١٣م، فقد ذكرت المصادر انه كان متقدماً في العلوم الطبيعية، وبارعاً في صناعة الكيمياء، وأشار الأستاذ الدكتور فيليب حتى في كتابه (تاريخ العرب) إلى انه (أبو الكيمياء) في الفكر العربي والإسلامي، وكان قد أنجبته مدينة الكوفة، وعاش في أجوائها العلمية، وبذر اسمه في علوم الطلب والصيدلة، بعد إن طفى اسم الفيلسوف الرازى في الميادين المعرفية وكان لجابر بن حيان الفضل الأكبر في تطور علم الكيمياء عند المسلمين وفي عهدي المأمون والمعتصم، واوجد طريقة الاختبار العلمي للطلبة، فلم يمنع احدهم إجازة إلا بعد اجتياز الامتحان وقد عرفت مدينة بغداد في العصر العباسي (الأجازة العلمية للأطباء) وقد أدرك جابر بن حيان قيمة التجربة في الكيمياء، فإنه قد وصف التكليس والتتصعيد والإذابة والبلورة وعرف تركيب الحامض ومزجه حتى يستخرج منه (الماء الملكي أو ماء الملوك) الذي يمكن أن يذاب فيه الذهب والفضة، واليه يعود الفضل إلى معرفة هيدروكسيد الصوديوم، وأصبح لعلوم جابر بن حيان الكيميائية موضوع اهتمام في الجامعات الأوورية في القرن الثامن عشر الميلادي، وأضاف أبو الحسن القفطي في كتابه (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) جوانب من اهتمامات جابر بن حيان في علوم الفلسفة وعلم الباطن، وهو مذهب المتصوفة المسلمين، وذكر محمد بن سعيد السرقسطي المعروف بابن المشاط الأصفر لأبي الأندلسى انه شاهد لجابر بن حيان في مصر تاليفاً من عمل الاضطراب يتضمن ألف مسألة لا نظير لها، وقام الأستاذ (باول كراوس) المختص بالعلوم الإسلامية بدراسة دقيقة لعلوم جابر بن حيان في علوم الكيمياء والفلك والموسيقى والتربية وغيرها، ويمكتنا القول: ان دراسات المشرقين والغربيين مؤلفات جابر بن حيان كانت محدودة ن لأن بحوثه العلمية المتنوعة بحاجة إلى تحقيق الكتب الإسلامية التي تناولت العلوم والأداب والمصادر المعرفية الأخرى

التي وضع جابر بن حيان بصفاته عليها، ومع هذا فإننا نشمن جهود كراوس وروسكا وهو لمبارد وغيرهم من المشرقيين الذين درسوا الفكر الإسلامي، ووقفوا على أراء جابر بن حيان في العلوم الكيميائية.

وتوصل الباحثون إلى أراء جابر بن حيان للوصول إلى حالة التوازن بين الطبائع والنوعيات باستخدام الإكسير، وهو مادة من الخامات المعدنية أو النباتية أو الحيوانية وإن مثل هذه العلوم بحاجة إلى دراسة مستفيضة من المختصين للوقوف على حيئات هذه العلوم، ويمكنا أن نجد في نظرية الكبريت والزئبق وتركيب المعادن مثالاً رائعاً عن موقف جابر بن حيان من علوم عصره، وريادته في تطويرها، وفصل في أبوابها، وإننا إذا وقنا على قائمة مؤلفات جابر بن حيان التي أوردها ابن النديم في كتابه (الفهرست) فنجد من بينها مائة وأثنا عشر كتاباً ورسالة ومقالة في مختلف العلوم، وكتب الأستاذ الدكتور فاضل الطائي (أعلام العرب في الكيمياء) أشار فيه إلى التراث الضخم الذي تركه جابر بن حيان، وهذا مما يجعلنا غيل إلى القول إن جابر بن حيان جمع بين علمي الكيمياء والفلسفة وذكر الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود: أن الصعوبات التي واجهته عند تأليف كتبه كانت تتعلق بوجود عدد قليل من تأليف جابر بن حيان لديه، لأن كثيراً من مؤلفاته بقيت مخطوطة، وبمعشرة بين مكتبات أوروبا والعالم الإسلامي، ومن الطريف إن الأستاذ (بول كراوس) قد جمع مخطوطات جابر بن حيان المحفوظة في خزائن أوروبا، وهي غير موجودة في المكتبات العربية والإسلامية وإن جهده العلمي هذا قد قلص كثيراً من العناء الذي يتعرض إليه المهتمون بدراسة مؤلفات جابر بن حيان، وإن الجهد الذي بذله الأستاذ الفرنسي (برتلتو) قد أعطى لجابر بن حيان موقعاً علمياً كبيراً، ويقول: أن لجابر بن حيان في علم الكيمياء ولارسطو قبله في علم المنطق، وكان على الجامعات وأقسام الكيمياء في كليات العلوم والتربية والطب تكثيف الدراسات حول هذه الشخصية العلمية الرائدة، وتحقيق ما تيسر من مخطوطات محفوظة في خزائن الكتب، وعند ذلك يتوصل الباحثون إلى حجم العلوم التي استقاها جابر بن حيان من الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وقد

استطاع الدكتور يحيى الهاشمي في كتابه (الإمام الصادق ملهم الكيمياء) أثبات تلمذة جابر بن حيان على الإمام الصادق (عليه السلام)، ورد على مشككين من مسلمين ومستشرقين بأسلوب علمي دقيق فيقول: من الأمور التي تلفت النظر في تاريخ العلوم مشكلة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وعلاقته الكبرى مع جابر بن حيان أبو الكيمياء في العصور الوسطى ولقد تصدى إلى هذا الموضوع عدد من المستشرقين والكميائين فلم يوفوه حقه، لأنهم عالجوا المشكلة دون أن يكلفو أنفسهم عناء البحث في رسائل جابر نفسها مستقرئين الأقوال المنسوبة إليه مما لها علاقة مع الإمام الصادق (عليه السلام) مبرزين ميزاتها وإمكانية صدورها عن الإمام^(١)) وناقش الأستاذ الهاشمي أراء عدد من المستشرقين ومنهم:

كراوس، في مختاراته عن جابر بن حيان.

هولبارد في كتابه (مصنفات في علم الكيمياء للحكيم جابر بن حيان الصوفي).

برتلوا، في كتابه (الكيمياء في القرون الوسطى).

روسكا، في نقده لأراء برتلوا.

وحاول الدكتور الهاشمي نقض الشبهات التي أثيرت حول تلمذة جابر بن حيان على الإمام الصادق (عليه السلام)، وكان في الوقت نفسه وقف على أراء عدد من المؤلفين العرب المعاصرين ومنهم:

الأستاذ إسماعيل مظہر في كتابه (تاريخ الفكر العربي).

الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه (الإخلاص في الإسلام).

وناقش تشكيكاتهم في العلاقة العلمية بين الإمام الصادق (عليه السلام) وتلميذه جابر بن حيان، فيقول: ((ليست التأملات الفلسفية هي الوحيدة في

(١) الهاشمي: الإمام الصادق (عليه السلام) ملهم الكيمياء ص ١٠.

الأهمية، فللتركة الدينية أهمية أعظم، يكاد يقسم جابر بسيده جعفر في كل فصل من فصول كتبه: وحق سيدي جعفر وحق سيدي خالقي، وفي بعض الأحيان يقول صراحة (وسيدني جعفر بن محمد) ان ما يقصده جابر ولا شك الإمام الصادق (عليه السلام) الإمام السادس للشيعة، وجد جابر نفسه انه مدين له بالشك في جميع علومه، ومنه يأخذ وعلى توجيهاته يسير، وبنصائحه يسترشد، وكثيراً ما يحاوره^(١)) وكانت آراء الدكتور الهاشمي للمستشرقين وغيرهم مبنية على الحجة والإقناع، وبحكم تخصصه الدقيق بعلم الكيمياء توصل إلى الحقائق العلمية البصيرة عن التحiz، وكان يطلق عبارات تؤكد على قناعته التامة في تلمذة جابر بن حيان على الإمام الصادق (عليه السلام) من خلال نقده للباحثين ومنها: (لاصمة لما يدعى كراوس) و (يدعى كراوس) وبخاصة حينما يذهب إلى أطلاق الكلمة (الاتتحال) في العلاقة بين الإمام الصادق (عليه السلام) وبعض تلاميذه، وذهب إلى القول ((وإذا كان الأخصائيون يجهلون مصادر معلوماته عن العمليات الكيميائية الايجابية (بعد تقرير المتحول والأصلي) فإنه لمن الواضح الجلي ان من أهم مصادر معرفته الإلهامات الباطنية التي اقتبسها عن أمامه جعفر الصادق، وهي سوف تمثل مكاناً ساماً في تاريخ الفكر البشري يوم تدرس بإمعان من قبل أخصائيين كرسوا حياتهم في سبيل كشف الغطاء عن غواضتها))^(٢) وأشار الأستاذ فؤاد سجعان جرداق إلى تلمذة جابر بن حيان على الإمام الصادق (عليه السلام) وغيره من الإعلام وقال: ((وكان الإمام الصادق (عليه السلام) خزانة العلوم الإلهية والمادية في الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة والحجج الدامغة والآراء الصائبة، فنشر من فيضه الشيء الكثير من المعارف والعلوم الكونية

(١) الهاشمي: الإمام الصادق (عليه السلام) ملهم الكيمياء ص ٦٢.

(٢) الهاشمي: الإمام الصادق (عليه السلام) ملهم الكيمياء ص ١٥٨.

والطبيعة وهي مازالت إلى هذا اليوم مشرعاً فراتاً يستقي منه العلماء وجهاهذة
أهل البحث والاستقراء^(١).

(١) فؤاد سجعان: أفق الإمام الصادق ونصيبيه من الفيض، بحث في كتاب (أشعة من حياة
الصادق) ص ١٠٦.

إخباريون ومؤرخون

إسماعيل بن عبد الرحمن السدي (ت ١٢٨ هـ / م ٧٤٥)

كان أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب (ابن أبي كريمة) السدي الأعور حجازي الأصل، لكنه سكن مدينة الكوفة ونسب إليها، وعرف بصاحب التفسير والمغازي والسير^(١) وقد روى عن أنس بن مالك، وعبد خير، وأبي صالح، ورأى عبد الله بن عمر^(٢) وقد وثقه جماعة من المحدثين وذكروه بخир واستقامة، وقال عنه يحيى بن سعيد القطان: لا بأس به، ما سمعت أحداً يذكره إلا بخير، وما تركه أحد، وقال ابن عدي الجرجاني: هو مستقيم الحديث: صدوق لا بأس^(٣) أما الذهبي فأنه قال ((حسن الحديث))^(٤) ويقول الشيخ القمي: انه المفسر المعروفة أقواله في كتاب ((التبیان)) للشيخ الطوسي وغيره، كان نظير مجاهد وقادة والكلبي والشعبي ومن يفسرون القرآن الكريم بآرائهم^(٥) وقد أخذ الشيخ الطوسي برأيه عند تفسير الآية الكريمة «وَإِذْ أَخَذْنَا مِثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خَلَدُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَبَنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسًا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»^(٦) وقد استعرض آراء قادة وأبي العالية والسدي قال ((وإلا دل عليه أكثر محصلي المفسرين وهو الصحيح))^(٧). ومن المحتمل إن الشيخ الطوسي برجحه رأى السدي جعل ابن حجر يقول: انه رمي بالتشيع^(٨) وقد ترجمه الخوانساري في ((روضات الجنات))

(١) الذهبي: العبر ١/١٦٥، ابن تغري بردي: النجوم الزهرة ١/٣٠٨.

(٢) ياقوت: معجم الأدباء ٢/٣٤٦.

(٣) المزي: تهذيب الكمال ٣/٤٦٢، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/٧١-٧٢.

(٤) الذهبي: الكافش ١/١٢٥.

(٥) القمي: الكنى والألقاب ٢/٢٨٤-٢٨٥.

(٦) البقرة: ٩٣.

(٧) الطوسي: التبیان ١/٣٥٤.

(٨) ابن حجر: تقريب التهذيب ١/٧١-٧٢.

والسيد الأمين في ((أعيان الشيعة)) وقد وثقه ياقوت الحموي بقوله ((كان ثقة مأموناً)) وذكر من رواته^(١):

- ٤- سماك بن حرب.
- ٥- إسماعيل بن أبي جذيمة.
- ٦- سليمان التيمي.
- ١- سفيان الثوري.
- ٢- شعبة.
- ٣- زائدة.

ويبدو إن تفسير القرآن الكريم قد غلب على علومه الأخرى حتى قيل (صاحب التفسير)، بينما كانت روایاته التاريخية كثيرة، وبخاصة عن عصر ما قبل الإسلام، وقد استقى منه الطبری وابن الجوزی وغيرهما نصوصاً كثيرة بعضها تنتهي بعد الله بن العباس وبعضها بعد الله بن مسعود^(٢) وكان ابن الجوزی يستقى هذه النصوص من السدي ويقف عند بعضها موقف الناقد بلفظ ((زعم)) أو ((ليس هذا صحيح)) أو ((مثل هذا قبيح)) واعتراض على رواية السدي المقتبسة من العهد العتيق حول الخصومة بين (عيسى ويعقوب) في بطنه أمهما^(٣) وإن ما يتعلق بالأنبياء وقصصهم حيث استقاها ابن الجوزي من السدي فانه رواها في كتاب ((المنتظم في تاريخ الملوك والأمم)) في حين إن تفسير السدي لم يصل إلينا^(٤) وإن الذي يقف على روایات السدي في الجزء الأول من كتاب ((المنتظم)) تتوضّح لديه آرائه في التفسير وأخبار الأنبياء.

(١) ياقوت: معجم الأدباء / ٢ / ٣٤٧.

(٢) الطبری: التاريخ / ١ / ٥٢ - ٨٥ - ٩٤ - ١٠٣ - ١٠٦ - ٢٣٤ - ٢٧٢ - ٤٣٢ - ٤٥٨ - ٥٨٦ - ابن الجوزي: المنتظم / ١ / ورقة ٢ - ٧ - ١٥ - ١٧ - ٢٨ - ٢٩.

(٣) العهد العتيق: سفر التكوين / ١ / ٤١، ابن الجوزي: المنتظم / ١ / ورقة ٢١.

(٤) فؤاد سرکین: تاريخ التراث العربي / ١ / ١٩٢.

أبو النصر محمد بن السائب الكلبي **رائد النسابين في الكوفة**

المقدمة:

يرتبط التاريخ بعلم النسب ارتباطاً وثيقاً، إذ إن مؤرخي الأنساب غالباً ما يكونون مؤرخين، ويعتمدون على الروايات القبلية، ويدققون في صحتها، فيوثقون هذا ويضعفون ذاك، في الوقت الذي نهى الإسلام عن التعصب القبلي بقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شَعُوبًا وَقَبَائِلَ تَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءِكُمْ»^(١). فالرابطة الإنسانية تعد أداة الوحدة، والحفظ على الأنساب صلة للرحم. فقد ورد في الحديث الشريف: ((تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فان صلة الرحم محبة في الأهل، مشرأة في المال، منساة في الأجل، مرضأة للرب))^(٢). وهذا مما شجع علماء الأنساب في الكوفة إلى دراسة الأسر والقبائل، والأشخاص من حيث انتماءاتهم النسبية، وكان محمد بن السائب الكلبي وولده هشام في مقدمة النسابين في الكوفة.

شخصية ابن السائب الكلبي:

أبو النصر محمد بن السائب بن بشر (مبشر) بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ودب بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد بن عبد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب^(٣). وينتسب ابن السائب إلى قبيلة كلب بن وبرة بن قضاعة^(٤). وكان قد عاش في مدينة

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) الإمام أحمد: المسند ٣٧٤/٢، الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ١٦٩، ابن حزم: جمهرة النسب ص ٢-٣.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٣٦/٣، البغدادي: هدية العارفين، السمعاني: الأنساب ص ٤٨٥، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٥٩/٦.

(٤) الخطيب: تاريخ بغداد ٤٥/١٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٣٨/٣.

الكوفة، وأصبح من علمائها المشهورين بالتفسير والأخبار وأيام الناس، حتى قيل انه ((مقدم الناس بعلم الأنساب))^(١). ويقول بعض العلماء: هو صاحب التفسير والأخبار والأنساب^(٢): ويقول ابن خلكان: هو صاحب التفسير وعلم النسب^(٣). وقد اجمع مترجموه انه كان عالماً بالأنساب فضلاً لعلمي التفسير والأخبار، وقد ورث ولده هشام الكلبي علم الأنساب واليهما تعود التطورات الثقافية، والصلات الوثيقة بين الأنساب والأخبار والدراسات الأدبية^(٤). فقد كان محمد بن السائب الكلبي يجلس في الكوفة للحديث والرواية والتفسير^(٥). وهو بذلك يجتمع بالناس لجمع الروايات القبلية^(٦). ويقول بروكلمان: انه كانت له عنابة بأنساب القبائل العربية^(٧). ويقول: لما قويت عنابة علماء العراق بجمع أشعار الجاهلية وشرحها، نشأت الحاجة إلى البحث والتنقيب عن أيام العرب وملوكهم وأحوالهم في الزمن القديم، وكان أعظم الفضل في حفظ هذه الأخبار وأشعار يعود إلى الكلبين محمد بن السائب وابنه أبي المنذر هشام بن محمد وعنهم أخذ المتأخرون^(٨). وكان قد رجع إلى شعر النقائض ومنها نقائض جرير والفرزدق للوقوف على الحقائق، كما انه كان ميدانياً في استخلاص التواريخ المضبوطة، فإنه قد وقف على قبور اللخميين لتحقيق تواريχهم^(٩). ويقول بلاشير: إن ابن السائب الكلبي لم يدرك أثراً مكتوباً، ولم يحفظ بشرفات ذاكرته إلا بفضل ابنه هشام^(١٠). وكان هشام قد نقل مقالات أبي مخنف عن

(١) ابن النديم: الفهرست ص ١٤٥.

(٢) ابن قتيبة: المعارف: ص ٥٣٥، اليافعي: مرآة الجنان ١/٣٠١.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/٤٣٦.

(٤) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص ٤٠.

(٥) الشكعة: مناهج التأليف ص ١١٥.

(٦) ابن النديم: الفهرست ص ١٤٠، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/١٨٠.

(٧) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٢/٢٩.

(٨) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٣/٣٠.

(٩) بركلمان: تاريخ الأدب العربي ٣/٨، Veberet Zung des Tabri, xxvii.

(١٠) بلاشير: تاريخ الأدب العربي ص ١٠٨.

أبيه، وعنده قد نقل المؤرخ الطبرى هذه المقالات في تاريخه الكبير^(١). وقد أشارت المصادر إلى مؤلفاته في الأنساب وفي مقدمتها ((النسب الكبير)) وهو يحتوي على أنساب قبائل العرب من عدنانيين وقطانيين فضلاً عن الأنساب المفردة لأشهر القبائل^(٢). وذهب المصادر إلى تشيع محمد بن السائب الكلبي، وأنه من أصحاب الإمامين البارق والصادق عليهما السلام^(٣). وما يؤكد تشيعه أن جده بشر وبنوه (السائب وعييد وعبد الرحمن) قد شهدوا واقعتي الجمل وصفين مع الإمام علي عليه السلام^(٤). ويبدو إن أسرته لم تكن متعاطفة مع الأمويين حيث إن والده قد قتل مع مصعب بن الزبير في عهد عبد الملك بن مروان^(٥). وشهد محمد نفسه موقعة دير الجمامجم مع عبد الرحمن بن محمد الأشعث الكندي عام ٨٢هـ، ضد الحجاج بن يوسف الثقفي، عامل عبد الملك بن مروان في العراق^(٦). ومن المؤكد أن تشيع محمد بن السائب الكلبي وأسرته جعلت بعض مترجميه يضعون علامات التضييف والتکذيب حوله حتى اتهموه بالغلو، ونسبوه من أصحاب عبد الله بن سبا. كما اتهموه بالكذب والرفض^(٧). وقال عنه ابن معين ((ليس بشيء))^(٨). ويقول الدكتور شاكر مصطفى: ((هو متهم بالتشيع مع إن هذا قد يكون السبب في نقد المحدثين له، إلا إن ثمة اتفاقاً على أنه أول النسابين الكبار))^(٩). وذكر ابن سعد أنه ليس بذاك^(١٠). وقد روى عنه

(١) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٢٩/٢.

(٢) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ١٥٢/٢.

(٣) القمي: الكني والألقاب ١٠١/٣.

(٤) ابن قتيبة: المعارف ص ٥٣٥، ابن خلkan: وفيات الأعيان ٤٣٧/٣.

(٥) ن. م، ابن سعد: الطبقات ٣٥٩/٣.

(٦) ن. م، ابن سعد: الطبقات ٣٥٩/٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام ٣٤٨/٢ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٣٠/٣.

(٧) ابن خلkan: وفيات الأعيان ٤٤٧/٣، الصفدي الواقي بالوفيات ٨٣/٣، الذهبي: العبر ٢٠٦/١، ابن العماد: شذرات الذهب ٢١٨/١.

(٨) ابن معين: التاريخ ٥١٧/٢.

(٩) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١٩٠/١.

(١٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٥٩/٦.

سفيان الثوري، و محمد بن إسحاق، وكانا يقولان: حدثنا أبو النصر^(١). وكان قد استقى علومه في النسب عن أبي صالح، باذام عن عقيل بن أبي طالب، وأخذ نسب كنده عن أبي الكناس الكندي، الذي كان اعلم الناس بالأنساب، وأخذ نسب معد بن عدنان عن التجارين اوس العدواني^(٢). وأشارت المصادر إلى علمية ابن الكلبي في تفسير القرآن الكريم فقيل انه صاحب: ((تفسير القرآن))^(٣). أو ((تقسيم القرآن))^(٤). وقد أشار مترجموه بأنه ((صاحب التفسير))^(٥). ويقول ابن عدي ليس لأحد تفسير أطول من تفسير ابن الكلبي. وقد قيل انه كان آية في التفسير واسعاً في العلم^(٦). ويقول ابن قتيبة: كان سبباً، عالماً بالتفسير^(٧). ويقول ابن النديم: إن سليمان بن علي أقدم ابن السائب من الكوفة إلى البصرة، وأجلسه في داره، فجعل ي ملي على الناس تفسير القرآن حتى بلغ إلى آية من سورة براءة ففسرها على خلاف ما كان يعرف^(٨). وكان يقول: حفظت ما لم يحفظه أحد، القرآن في ستة أيام أو سبعة، ونسيت ما لم ينس أحد، قبضت على لحيتي لأخذ ما دون القبضة، فأخذت ما فوق القبضة^(٩). توفي محمد بن السائب الكلبي في مدينة الكوفة عام ١٤٦ هـ بإجماع المصادر، وذلك في عهد أبي جعفر المنصور.

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/٤٣٧، السمعاني: الأنساب ص ٤٨٥.

(٢) ابن النديم: الفهرست ص ١٠٨ تحقيق رضا تجدد: ص ٤٨٥، الذهبي: تاريخ الإسلام ٦/١١٨ - ٦/١١٩.

(٣) البغدادي: هدية العارفين ٢/٧ الطهراني: الذريعة ٤/٣١١، حالة: معجم المؤلفين ١٠/١٥.

(٤) ابن النديم: الفهرست ص ١٤٦، الطهراني الذريعة ٤/٣٨٨.

(٥) اليافعي: مرآة الجنان ١/٣٠١، الصفدي: الوافي بالوفيات ٣/٨٣، ابن قتيبة: المعرف ص ٥٣٥.

(٦) الصفدي: الوافي بالوفيات ٣/٨٣.

(٧) ابن قتيبة: المعرف ص ٥٣٦.

(٨) ابن النديم: الفهرست ص ١٠٧.

(٩) الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/٥٥٦.

أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي

(١٥٧-٢٧٤هـ)

يعد أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم (سليمان) بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة بن سعد مناة بن غامد الأزدي (شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم) فقد كان شيئاً في عقيدته، إذ إن جده وأباءه كانوا من أصحاب الإمام علي عليهما السلام^(١) وقد عد الشيخ الكشي أبو مخنف من أصحاب الإمام عليهما السلام ولكن الشيخ الطوسي رفض ذلك بقوله: إن هذا غلط لأن لوط بن يحيى لم يلق أمير المؤمنين عليهما السلام، وإنما هو من أصحاب الإمامين الحسن والحسين والإمام الصادق عليهما السلام^(٢) وإن هذه الصحة تقطع بتشييعه، ويقول الشيخ القمي: انه من أعاظم مؤرخي الشيعة.^(٣) ولم يبرز تشيعه في كثير من النصوص، ولذا كان موضع اعتماد المؤرخين عليه من غير الشيعة، يقول بروكلمان: على الرغم من إن أبو مخنف، كوفي فإنه كان يميل إلى علي وإن أخباره لم تظهر هذا التشيع شأن المؤلفات التي نسبت إليه بعد زمن طويل فيما يفصل باستشهاد الإمام الحسين والمحترث الثقفي^(٤) ويقول الأستاذ أحمد أمين: انه لا يضر الميل إلى الأمورين في كتابته^(٥) وهذا أمر طبيعي إذ انه شيعي في مذهبها، محايده في كتاباته فإذا كان لديه ميل لأحد الأطراف فمن الأولى أن يكون مع العلوين، إذ إن بعض مؤلفاته قد خصصت للائمة عليهما السلام والشخصيات الشيعية فهو قد كتب في الردة، وسبق نصر بن مزاحم في كتابته عن صفين، وتناول فتوح الشام والعراق ومعركة الجمل، وكتب عن استشهاد الأئمة:

(١) ابن التديم: الفهرست ص ١٤٢، ياقوت: معجم الأدباء ٤١/١٧.

(٢) الطوسي: الرجال ص ٥٧، ص ٧٠، ص ٧٩.

(٣) القمي: الكلني والألقاب ١/١٥٢.

(٤) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٢/٣٠.

(٥) أحمد أمين: ضحى الإسلام ٢/٣٤٢.

علي والحسن والحسين عليهما السلام، وتحدث عن فرقة الازارقة من الخوارج ووفاة معاوية، وهذا التنوع في مؤلفاته لا يتفق مع بعض الآراء الذاهبة إلى أنه جند نفسه للكتابة عن العلوين، وإن المؤرخ الطبرى قد حفظ لنا كثيراً من مرويات أبي مخنف، ولأهمية كتاباته وتنوعها فقيل عنه ((صاحب التصانيف في الفتوح وحروب الإسلام))^(١) وانه صاحب أخبار وأنساب وسير ورواية^(٢) ويقول الدكتور شوقي ضيف: انه كتب تاريخ أحداث الدول العربية^(٣) وهو بذلك يعد من أقدم الإخباريين العرب ومحدثيهم، وقد انصبت معجم كتاباته عن العراق وأخباره وفتحه يزيد على غيره من الإخباريين والمؤرخين، ويقول الدكتور الدوري إن تركيز أبي مخنف على إقليم العراق أكثر من غيره انطلاقاً من الروح الإقليمية التي كان يتمتع بها الإخباريون في أيامه، فهو يورد عادة الصور العراقية (الковية) للحوادث فهو أميل للعراق تجاه الشام نتيجة اعتزاز القبائل بمصرها^(٤) ويقول الأستاذ مرجليلوث: إن أبو مخنف أكثر من غيره معرفة بأمور العراق^(٥) وهذا مما جعل المؤرخين يعتمدون على روايات أبي مخنف عن العراق، والرجوع إلى كتبه التي تدور حول الحوادث التي وقعت في العراق^(٦) ولكن هناك من تحفظ على صدق رواياته بالقول: (ليس حديثه بشيء) أو انه (متروك الحديث) أو انه يروي عن جماعة من المجهولين^(٧) ومن المحتمل إن بعض رواياته المقلولة عن قبيلته والقبائل الأخرى كتميم وهمدان وطي وكندة قد يشم منها رائحة الانحياز القبلي، حيث انه اعتمد على روايات الأزد في الكوفة، ويقول بروكلمان: إن أبو مخنف قد

(١) ياقوت: معجم البلدان / ١٧ / ٤١.

(٢) ابن قتيبة: المعارف ص ٥٣٧، الطوسي: الرجال ص ٧٠.

(٣) شوقي ضيف: العصر العباسي الأول ص ١٢٥.

(٤) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص ٣٥.

(٥) مرجليلوث: دراسات عن المؤرخين العرب ص ٩٦.

(٦) علي ادهم: بعض مؤرخي الإسلام ص ٢٢.

(٧) ياقوت: معجم الأدباء / ١٧ / ٤١، أحمد أمين: صحي الإسلام / ٢ / ٣٤٣.

أورد أخبار قبيلته في ترسل ينتظم أكثر من ثلاثين مقالة مستقلة، تتألف كل منها في الأغلب من مشاهد مفردة ومحاورات^(١) و يقول الأستاذ السيد عبد العزيز سالم: إن أبو مخنف يعتمد على العموم في كتاباته على الروايات العائلية والروايات المدنية^(٢) وكانت مصادره عن معركة صفين، ومجيء مسلم بن عقيل عليهما السلام إلى الكوفة، واستشهاد الإمام الحسين وأصحابه في يوم كربلاء الغالب كوفية، وأضاف إليها شامية، وحجازية، كالروايات التي رواها هشام بن عروة، وموسى بن عقبة ونقل هشام الكلبي عنه رواية كوفية عن الإمام علي عليهما السلام ضد أهل الشام^(٣) ولكن يبقى أبو مخنف متميزاً عن غيره من الإخباريين بتنوع ثقافته فهو النسابة وصاحب السير والإخباري حتى أنه أصبح ((من أميز الإخباريين في العراق))^(٤) ويقول الدكتور أحمد أمين: إن أسلوبه في الكتابة على العموم سهل جميل^(٥) ذو تسلسل متصل، تخلله استشهادات شعرية، وان هذا اللون من الكتابة يعد أسلوباً لجالس السمر وشيء من وجهة قصص الأيام^(٦).

(١) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية /٢٩.

(٢) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب ص ٦٨.

(٣) جب: دراسات في حضارة الإسلام ص ١٥١.

(٤) ابن النديم: الفهرست ص ١٠٦، ابن قتيبة: المعارف ص ١٩٤، ياقوت: معجم الأدباء /٦ ٢٢٠، ابن شاكر الكتباني: فوات الوفيات ٢ /١٣٥.

(٥) أحمد أمين: ضحى الإسلام ٣٤٣ /٢.

(٦) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص ٣٦.

نموذج من تاريخ أبي مخنف

((حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده قال: لما دفن عمر امسك أصحاب الشورى وأبو طلحة يومهم فلم يحدثوا شيئاً فلما أصبحوا جعل أبو طلحة يحوشهم للمناظرة في دار المال وكان دفن عمر يوم الأحد وهو الرابع من يوم طعن وصلى عليه صهيب بن سنان، قال: فلما رأى عبد الرحمن طول تناجي القوم وتناظرهم وان كل واحد منهم يدفع صاحبه عنها قال لهم يا هؤلاء أنا اخرج نفسي وسعداً من الأمر على أن اختار يا معاشر الأربعه أحدكم فقد طال التناجي وتطلع الناس إلى معرفة خليفتهم وإمامهم واحتاج من أقام لانتظار ذلك من أهل البلدان إلى الرجوع إلى أوطانهم فأجابوا إلى ما عرض عليهم إلا علياً فإنه قال انظر واتاهم أبو طلحة فأخبره عبد الرحمن بما عرض وبإجابة القوم إيه إلا علياً فاقبل أبو طلحة على علي فقال يا أبا الحسن إن أبا محمد ثقة لك وللمسلمين فما بالك تخالفه وقد عدل الأمر عن نفسه فلن يتحمل المآثم لغيره فاحلف على عبد الرحمن بن عوف أن لا يميل إلى هوى وإن يؤثر الحق وإن يجتهد للأمة وإن لا يحابي ذا قرابة فاحلف له فقال اختر مسدداً وكان ذلك في دار المال ويقال في دار المسور بن مخرمة ثم إن عبد الرحمن احلف رجلاً منهم بالإيمان المغلظة وأخذ عليهم المواثيق والعقود أنهم لا يخالفونه إن بایع منهم رجلان وإن يكونوا معه على من يناویه فحلقوها على ذلك ثم أخذ بيده على فقال له عليك عهد الله وميثاقه أن لا تحملبني عبد المطلب على رقاب الناس وعلى أن تسير بسيرة رسول الله ﷺ لا تحول عنها ولا تقص في شيء منها فقال علي لا أحمل عهد الله وميثاقه على مالاً أدركه ولا يدركه أحد من ذا يطيق سيرة رسول الله ﷺ ولكن أسير من سيرته بما يبلغه الاجتهاد مني وبما يكتني وبقدر علمي، فأرسل عبد الرحمن يده ثم احلف عثمان وأخذ عليه العهود والمواثيق إن لا يحملبني أمية على رقاب الناس وعلى أن يسير بسيرة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ولا يخالف شيئاً من ذلك فاحلف له فقال علي قد أعطاك أبو

عبد الله الرضا فشانك بباعه، ثم إن عبد الرحمن عاد إلى علي فأخذ بيده فعرض عليه أن يخلف بمثل تلك اليمين أن لا يخالف سيرة رسول الله وأبي بكر وعمر فقال علي علي الاجتهاد وعثمان يقول ونعم علي عهد الله وميثاقه وآشد ما أخذ على أنبيائه أن لا أخالف سيره رسول الله وأبي بكر وعمر في شيء ولا أقصر عنها بباعه عبد الرحمن وصافقه وبباعه أصحاب الشورى وكان علي قائماً فقعد فقال له عبد الرحمن بايع وإلا ضربت عنقك ولم يكن مع أحد يومئذ سيف غيره. فيقال إن عليا خرج مغضباً فللحقة أصحاب الشورى وقالوا بايع وإلا جاهدناك فاقبل معهم يمشي حتى بايع عثمان))

البلاذري: أنساب الأشراف ٢١-٢٢/٥

نموذج آخر من تاريخ أبي مخنف

المسير إلى صفين:

قال أبو مخنف: وحدثني تميم بن الحارث الأزدي، عن جندب بن عبد الله، قال: أنا لما انتهينا إلى معاوية وجذناه قد عسکر في موضع سهل افيح قد اختاره قبل قدومنا إلى جانب شريعة في الفرات، ليس في ذلك الصقع شريعة غيرها، وجعلها في حيزه، وبعث عليها أبا الأعور يمنعها ويحميها، فارتفعنا على الفرات رجاءً أن نجد شريعة غيرها نستغني بها عن شريعتهم فلم نجدها، فأتينا علياً فأخبرناه بعثش الناس، وأنا لا نجد غير شريعة القوم، قال: فقاتلواهم عليها فجاءه الأشعث بن قيس الكندي فقال: أنا أسير إليهم، فقال له علي: فسر إليهم. فسار وسرنا معه، حتى إذا دنومنا من الماء ثاروا في وجوهنا ينظروننا بالنبيل ورشقناهم والله بأنبل ساعة، ثم طعنا والله بالرماح طويلاً ثم سرنا آخر ذلك نحن والقوم إلى السيف، فاجتذلنا بها ساعة. ثم إن القوم أتاهم يزيد بن أسد البجلي مدائ في الخيل والرجال، فاقبلوا نحونا فقلت في نفسي: فأمير المؤمنين لا يبعث إلينا من يغنى عن هؤلاء، فذهبت فالتفت فإذا عدة القوم أو أكثر، قد سرحهم إلينا ليغنوونا عنا يزيد بن أسد وأصحابه، عليهم شبث بن ربعي الرياحي، فوالله ما ازداد القتال إلا شدة، وخرج إلينا عمرو بن العاص من عسکر معاوية في جند كثير، فأخذ يمد أبا الأعور ويزيد بن أسد وخرج الاشتـر من قبل على في جمع عظيم. فلما رأى الاشتـر عمرو بن العاص يمد أبا الأعور ويزيد بن أسد، أمد الأشعث بن قيس وشـبث بن ربعي، فاشتد قتالنا وقتالهم، مما أنسى قول عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي:

خلو لنا ماء الفرات الجاري أو اثبـوا لجـفـل جـرار
لكل قـوم مـسـتمـيـت شـاري مـطـاعـن بـرـمـحـه كـرار
ضـرابـهـامـاتـ العـدـاـمـغـوار

قال أبو مخنف: وحدثني رجل من آل خارجة بن التميمي إن ضبيان بن
 عمارة جعل يومئذ يقاتل وهو يقول:
 هل لك بما ضبيان من بقاء
 لا والله الأرض والسماء
 بالسيف عند حمس الوغاء
 في ساكن الأرض بغير ماء
 فاضرب وجود الغدر الأعداء
 حتى يجعلوك إلى السواء

الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ٥٦٩/٤

مسير الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق:

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن كعب الوالبي عن عقبة (عتبة) بن
 سمعان، إن حسيناً لما اجمع المسير إلى الكوفة أتاه عبد الله بن عباس فقال: يا بن
 عم انك قد ارجف الناس انك سائر إلى العراق، وبين لي ما أنت صانع؟ قال: إني
 قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى، فقال له ابن عباس: فاني
 اعيذك بالله من ذلك اخبرني رحمك الله، أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم،
 وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوهم؟ فان كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم، وان كانوا
 أبداً دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعمالهم تجبي بلادهم، فأنهم إنما
 دعوك إلى الحرب والقتال، لا امن عليك أن يغروك ويذبوك وينحالفك
 ويخذلوك، وان يستنفروا إليك فيكونوا اشد الناس عليك، فقال له الحسين: واني
 استخير الله وانظر ما يكون. قال: فخرج ابن عباس من عنده، فاتاه ابن الزبير
 فحدثه ساعة، ثم قال: ما ادرى ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم، ونحن أبناء
 المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم خبرني ما تريد أن تصنع؟ فقال الحسين: والله
 لقد حدثت نفسى بإتيان الكوفة، ولقد كتب إلى شيعتى بها وأشراف أهلها،
 واستخير الله، فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها،
 قال: ثم انه خشى أن يتهمه فقال: أما انك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر

هاها ما خولف عليك إن شاء الله، ثم قام فخرج من عنده، فقال الحسين: هاها
أن هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحب إليه من أن اخرج من الحجاز إلى العراق،
وقد علم انه ليس له من الأمر معي بشيء، وان الناس لم يعدلوه، فود إني خرج
منها لتخليو له.

الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ٣٨٣/٥

عوانة بن الحكم (ت ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م)

يعد أبو الحكم عوانة من الإخباريين المعروفين في التاريخ الإسلامي، فقد نسب إلى الكوفة تارة، ونسب إلى البصرة تارة أخرى^(١) ويدوan نسبته إلى الكوفة أقرب منها إلى البصرة كما أكدت المصادر على ذلك. وقد أغفلت المصادر تاريخ مولده، وقد كان عوانة مولى لبني أسد، إذ إن أباه كان خياطا، وان أمه أمّة لآل أمين بن خزيم بن فاتك الأستدي^(٢) وهناك رواية تشير إلى إن عوانة كان يشير إلى انتسابه إلى قبيلة كلب^(٣) وقد هجاه الشاعر ذو الرمة في مجلس وابعد عنه الانتساب إلى قبيلة كلب بقوله^(٤):

الكنى فاني مرسل برسالة إلى حكم من غير حسب ولا قرب
 ولو كنت من كلب صميمها هجوتها
 ولكنما أخبرت انك ملصق كما ألصقت من غيره ثلمة القصب
 ومن الغرابة في انتساب عوانة بن الحكم إلى أسد أو كلب دون الوقوف
 على احدها، وإن أباه كان عالماً بأخبار العرب وأنسابها، وأصبح عاماً لأسد بن عبد الله القسري على خراسان^(٥) وكان الأجرد به وبحكم موقعه الاجتماعي والإداري وعلميته بالأنساب أن يقطع الأمر بانتسابه إلى أسد أو كلب ويذهب الدكتور جواد علي إلى انتسابه لقبيلة كلب والتي ينتهي نسب ابن الكلبي إليها^(٦) ومن المحتمل إن روایات عوانة بن الحكم عن قبيلة كلب في الشام أدى إلى ترجيح

(١) ابن النديم: الفهرست ص ٩١، ابن حجر: لسان: الميزان ٤/٣٨٦، الذهبي: العبر ١/٢٢٩، ابن العماد: شذرات الذهب ١/٢٤٣، البغدادي: هدية العارفين ١/٨٤٠.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٦/٩٣.

(٣) ن. م. ٩٣/٦.

(٤) ن. م. ٩٣/٦.

(٥) الزبيدي: طبقات النحوين واللغويين ص ٢٤٦، الققطني: أنباء الرواية ٢/٣٦١.

(٦) جواد علي: موارد الطبرى، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثامن ص ٤٢٦.

الدكتور جواد علي هذا، ويقول مرجليوث ((لا يقوم هذا الحكم العام على أمثلة كثيرة، ومهما يكن الأمر فإنهم لم يميزوا أعمال الرواية من غيرهم قبل أن تتخذ الروايات صورة ثابتة صالحة للتذوين))^(١) وان الدارس لسيرة عوانة بن الحكم وعلميته الإخبارية يقف على كوفيته، فالمصادر تقول: انه من علماء الكوفة عالماً بالأخبار وروايتها، ملماً بالآثار والفتوح^(٢) ويقول المحدث الذهبي: انه أخباري مشهور عالم بالشعر وأيام الناس^(٣) وقد وصفه الزبيدي بالعالم الأديب^(٤) وكان فصيح اللسان، وكان ضريراً، واليه أشار عبد الله بن جعفر بقوله: وعوانة بن الحكم من علماء الكوفة بالأخبار خاصة والفتوح مع علم الشعر والفصاحة^(٥) ووقف بعض المؤرخين المحدثين من عرب ومستشرقين على سيرة عوانة و مقدراته الإخبارية، فيقول ((مرجليوث)) انه من العلماء بالفتوح خاصة مع علم الشعر^(٦) ووازن الدكتور شاكر مصطفى بينه وبين معاصره أبي مخنف فقال: انه عاصرABA مخنف وتصلع أكثر منه بالشعر والأنساب، وان تساويا في معرفة أخبار الفتاح^(٧) ويمكننا القول: إنABA مخنف كان علوى الهوى في روایاته، وان عوانة عثماني الهوى، فقد روى عبد الله بن المعتز عن الحسن بن عليل العنزي: إن عوانة بن الحكم كان عثمانياً، ويضع أخباراً لبني أمية^(٨) وقد حاول الدكتور حسين نصار تخفيف التعصب العثماني والأموي عن عوانة بقوله: ((كل هذه التهم تدلنا على انه كان كثير الخصوم، وانه لم نستطيع معرفتهم، وسبب خصومهم له، وان خامننا

(١) مرجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب ص ٩٨، ص ٩٨.

(٢) ابن النديم: الفهرست ص ٩١ ياقوت: معجم الأدباء ٩٤/٦، ابن حجر: لسان الميزان ٤/٣٨٦.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام ٣٦٢/٦.

(٤) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٤٦.

(٥) ياقوت: معجم الأدباء ١٦/١٣٧.

(٦) مرجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب ص ٩٧.

(٧) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١/٢٧٩.

(٨) ياقوت: معجم الأدباء ١٦/١٣٧.

الظن إن عثمانية عوانة، المزعومة ربما كانت هذه العداوة)) وقال: ((ترجح دائرة المعارف الإسلامية ذلك الرأي عثمانية عوانة – ولكن الهيثم بن عدي يروي خبراً عنه حين قتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة وكيف انه ترجم عليه وذكر فضله، وما يدل على انه يظهر العثمانية تقية منه، وخاصة انه في نهاية الخبر السابق يستفسر من المجالس إذا ما كان احد عيون الأمويين حاضراً فإذا تحقق من عدم حضور احد مدح محمد مدح رائعاً))^(١) ويعقب الدكتور شاكر مصطفى على مدح عوانة محمد بن عبد الله (النفس الزكية) بقوله: ((ربما كان هواء ضد العباسيين، لأن ثمة أخباراً أخرى تذكر أسفه لفشل ثورة محمد ذي النفس الزكية ضد أبي جعفر المنصور))^(٢) وقد ابعد الأستاذ شاكر مصطفى تعاطف عوانة مع الأمويين بقوله: ((انه لا يتغصب للأمويين وان حسب عليهم، لأنه في الواقع لا يهمل الآراء المعارضة لهم ولا الروايات العراقية والمدنية وتجد في كتاب (أنساب الأشراف) للبلاذري وروايات رواها بجانب العلوين وأخرى ضد الكوفة))^(٣) ولدى عودتنا للمصادرين التاريخيين اللذين اعتمد هما الدكتور شاكر مصطفى، وجدنا البلاذري يشير إلى رمي الكعبة بالمنجنيق نacula عن عوانة بن الحكم وقال: ((حتى ارتجت ووهت فارتفع سحابة ذات برق ورعد فسقطت صاعقة على المنجنيق فأحرقتها وقتل من أصحابها الثاني عشر رجلاً فذعر أهل الشام من ذلك وكفوا عن القتال))^(٤) وأورد المؤرخ الطبرى عن زياد بن عبد البكائى عن عوانة بن الحكم بان بيعة معاوية (بيعة ضلاله) بقوله: ((أخذ معاوية البيعة من أهل المدينة حتى وصل الأمر إلى جابر فذهب إلى أم سلمة قال لها: إني قد خشيت إن أقتل وهذه بيعة ضلاله))^(٥) ويمكتنا القول: إن عوانة بن الحكم كان

(١) حسين نصار: نشأة الكتابة الفنية ص ٢٢١.

(٢) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١٢٨/١.

(٣) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١٨٠/١.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف ٣٦٢/٥.

(٥) الطبرى: التاريخ ١٣٩/٥.

توفيقياً في آرائه تجاه السلطة سواء كانت أمومية أم عباسية، وأحياناً كان يخرج عن هذه المنهجية فيشير إلى مثالب بعض حكام الدولتين الأموية والعباسية، ولذا كان يترجم على ذي النفس الرزكية محمد بن عبد الله بن الحسن ويشي عليه^(١) ويكتب ((سيرة معاوية وبني أمية)) ويقول الدكتور عبد العزيز الدوري: ((يعتبر عوانة عثمانية في ميوله، فهو يعطي بوضوح روایات أممية، وأحياناً روایات داخلية عن الأسرة الأموية، ومع ذلك فبعض روایاته تعكس وجهة معاكسة للأمويين))^(٢) وتعكس روایتنا البلاذري والطبرى التي ذكرناها عن حيادية عوانة بن الحكم في نقل الروایات، وربما نجد في بعض النصوص روایات يشم منها ميولاً أممية، أو الميل نحو فكرة الجبر التي روجت في العصر الأموي في تفسير بعض الحوادث^(٣) وكانت روایات عوانة بن الحكم موضع اعتماد المؤرخين والإخباريين والنسابين وغيرهم كالمدائني في كتاب ((التعازى)) والبلاذري في كتابيه ((أنساب الأشراف)) و((فتوح البلدان)) والطبرى في كتابه ((تاریخ الرسل والملوک)) وأبو الفرج الأصفهانى في كتابه ((الأغانى)) والذهبي في كتابه ((سیر اعلام النبلاء)) وابن كثير في كتابه ((البداية والنهاية)) وغيرهم، ويكتننا تجمیع روایات عوانة في السیرة النبویة، والخلافة الراشدة والعصر الأموي إنتهاءً بأخبار عمر بن عبد العزيز^(٤) وكانت خطته في التاریخ العام على أساس التسلسل التاریخي أو على سیر الخلفاء، وتمثل منهجه هذه ((خطوة لها دلالتها في تطور الكتابة التاریخیة ضمن الاتجاه القبلي))^(٥) ويعتقد الأستاذ ((روزشال)) إن عوانة في كتابه ((سیرة

(١) علي ادهم: بعض مؤرخي الإسلام ص ١٢٣.

(٢) الدوري: بحث في نشأة علم التاریخ عند العرب ص ١٢٣.

(٣) الدوري: بحث في نشأة علم التاریخ ص ٣٦، شاكر مصطفى: التاریخ العربي ص ٩١.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٢٧٣-٢٧٥.

(٥) الدوري: بحث في نشأة علم التاریخ ص ٣٧.

معاوية وبني أمية)) قد نهج نهج كتب التاريخ المرتبة على الدول^(١) ومن المحتمل ان كتابه المفقود هذا قد تناول فيه، حركات الخوارج ضد معاوية بن أبي سفيان، ومقتل حجر بن عدي وأصحابه، وولاة معاوية في العراق وبلاد فارس، كما تشير إلى ذلك اقتباسات المؤرخ الطبرى (ت ٣١٠ هـ)^(٢) كما تناولت حكم يزيد بن معاوية والأحداث في عصره، وهي مهمة لدارس التاريخ الإسلامي، ولم نجد في روایات عوانة بن الحكم إسناداً، مما أشار إليه بعض المؤرخين المهتمين بعلم الحديث كالذهبي وابن حجر إلى القول: ((قل أن نرى حديثاً مسنداً))^(٣) وهذا الجانب مما يضعف من لفظ الوثاقة التي أطلقها عليه ياقوت الحموي في ((معجم الأدباء))^(٤) ولا ندري إن كتاب عوانة ((التاريخ)) الذي لم يصل إلينا وقد أشار إليه ابن النديم في ((الفهرست))^(٥)، انه قد تناول أحداث التاريخ الإسلامي في الحقبة الزمنية الأولى، ويحتمل انه اعتمد الإسناد في روایاته. وذكر ابن النديم إن عوانة بن الحكم بناء على رغبة الوليد بن عبد الملك (٩٦-٨٦ هـ) قد كتب ((ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها))^(٦) وقد روى مؤلفات عوانة تلاميذه وجماعة من أهل العلم كالاصمعي وهيشم بن عدي، وابن الكلبي والمدائني، ويقول ياقوت الحموي: إن عامة أخبار المدائني عن عوانة^(٧) وذكر الأستاذ ((فلهوزن)) في كتابه ((تاريخ الدولة العربية وسقوطها)) إن البكائي كان ينقل عن عوانة^(٨) وإن معظم أخبار المدائني نقلت عن عوانة^(٩) ومن الملاحظ إن

(١) روزثال: علم التاريخ عند المسلمين ص ١٢٨، السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب ص ٦٩.

(٢) الطبرى: التاريخ ١٣٤/٥، ١٩٥، ٢٥٥.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام ٣٦٢/٦، ابن حجر: لسان الميزان ٣٨٦/٢.

(٤) ياقوت: معجم الأدباء ١٣٤/١٦، ١٣٧.

(٥) ابن النديم: الفهرست ص ٩١.

(٦) ن. م.

(٧) ياقوت: معجم الأدباء ١٣٧/١٦.

(٨) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ص ١٠١.

المصادر تشير إلى إن عوانة بن الحكم كان ضريراً، وبناء على حالته الصحية هذه فإنه قد أملى كتبه على تلاميذه، وان روایته للشعر قد جاءت من حافظته القوية، وهي ((تعكس اثر أسلوب قصص الأيام))^(٢) ويقول الدكتور حسين نصار: إن أسلوب عوانة بن الحكم، مناسب منطلق، يعني في بعض الفقرات بالحوار وبالشعر، وما يدور بين أبطال الحوادث.^(٣) وتبقى روایات عوانة ذات أهمية تاريخية، لأنها كتبت في مطلع القرن الثاني للهجرة فيما لوأخذنا برواية ابن النديم القائلة إن عوانة توفى عام ١٤٧هـ، بينما يجمع الآخرون على أن وفاته عام ١٥٨هـ^(٤) أي في السنة التي توفى فيها الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور. وان فترة حياته تشير إلى انه عاصر او اخر الدولة الأموية، وقضى شطراً من تاريخ الدولة العباسية: ومن باب الاستشهاد بنصوص عوانة بن الحكم في العصر الأموي، نضع نصين احدهما للمؤرخ البلاذري (ت ٢٧٩هـ) وثانيهما للمؤرخ الطبرى (ت ٣١٠هـ) فقد تناول النص التاريخي الأول وفاة يزيد بن معاوية عام ٦٣هـ، والإ拉斯ات السياسية التي حصلت في هذه السنة، فأورد الطبرى ذلك على النحو الآتي:

((وأما عوانة بن الحكم فانه قال، فيما ذكر هشام، عنه وقال: لما بلغ ابن الزبير موت يزيد، وأهل الشام لا يعلمون بذلك، قد حصروه حصاراً شديداً وضيقوا عليه، أخذ يناديهم هو وأهل مكة: علام تقاتلون؟ قد هلك طاغيتكم، وأخذوا لا يصدقونه حتى قدم ثابت بن قيس بن المنقع النخعي من أهل الكوفة في رؤوس أهل العراق، فمر بالحسين بن نمير - وكان له صديقاً - وكان بينهما صهر، وكان يراه عند معاوية فكان يعرف فظهله وسلامة شرفه - فسأل عن الخبر فاخبره

(١) شاكر مصطفى: التاريخ العربي و المؤرخون ١٢٨/١.

(٢) حسين نصار: نشأة التدوين التاريخي ص ٥٨.

(٣) حسين نصار: نشأة التدوين التاريخي ص ٥٨، نشأة الكتابة الفنية ص ٢٢٣.

(٤) ابن النديم: الفهرست ص ١٤٠، ياقوت: معجم الأدباء ١٣٦/١٦، الذهبي: العبر ٢٣٠/١،

ابن العماد: شذرات الذهب ٢٤٣/١.

بهلاك يزيد، فبعث الحصين بن نمير إلى عبد الله بن الزبير، فقال: موعد ما بيتنا وبينك الليلة الابطح، فالتقى ف قال له الحصين: إن يك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر، هلم فلنبايعك، ثم اخرج معي إلى الشام، فان هذا الجندي الذين معه هم وجوه أهل الشام و فرسانهم، فوالله لا يختلف عليك اثنان، و تؤمن من الناس و تهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك، والتي كانت بيننا وبين أهل الحرة، فكان سعيد بن عمرو يقول: ما منعه أن يبايعهم ويخرج إلى الشام إلا طير، لأنه مكة التي منعه الله بها، وكان ذلك من جند مروان، وان عبد الله والله لو سار معهم حتى يدخل الشام ما اختلف عليه منهم اثنان، فزعم بعض قريش انه قال: أنا أهدر تلك الدماء أما والله لا أرضي أن اقتل بكل رجل منهم عشرة، وأخذ الحصين يكلمهم سراً، وهو يجهر جهراً، وأخذ يقول: لا والله لا افعل، فقال له الحصين بن نمير: قبح الله من يدك بعد هذه داهياً قط أو أديباً قد كت أظن إن لك رأياً، إلا أراني أكلمك سراً وتكلمني جهراً وادعوك إلى الخلافة وتعدنني القتل والهلاكة.

ثم قام فخرج و صاح في الناس، فاقبل عليهم نحو المدينة، وندم ابن الزبير على الذي صنع، فأرسل إليه: أما أن أسير إلى الشام فلست فاعلاً، واكره الخروج من مكة، ولكن بايعوا لي هنالك فاني مؤمنكم وعادل فيكم فقال له الحصين: أرأيت إن لم تقدم بنفسك، ووجدت هنالك أنساناً كثيراً من أهل هذا البيت يطلبونها يحببهم الناس، فما أنا صانع؟ فاقبل بأصحابه ومن معه نحو المدينة فاستقبله علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب و معه قتّ و شعير، وهو على راحلته، فسلم على الحصين، فلم يكدر يلتفت إليه، ومع الحصين بن نمير فرس له عتيق، وقد فنى قته و شعيره فهو غرض وهو يسب غلامه و يقول: من أين نجد هنا لدابتنا علفاً، فقال له علي بن الحسين: هذا علف عندنا، فاعلف منه دابتكم، فاقبل علي علي عند ذلك بوجهه فأمر له بما كان عنده من علف، واجتراً أهل المدينة و أهل الحجاز على أهل الشام فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته ثم نكس عنها، فكانوا يجتمعون في معسكرهم فلا يفترقون. وقالت لهم بنو

أمية: لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام ففعلوا، ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشام، وقد أوصى يزيد بن معاوية بالبيعة لابنه معاوية بن يزيد، فلم يلبث إلا ثلاثة أشهر حتى مات.

وقال عوانة: استخلف يزيد بن معاوية ابنه معاوية بن يزيد فلم يكث إلا أربعين يوماً حتى مات)).

الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ٥٠١-٥٠٣

نصوص من تاريخ عوانة بن الحكم:

((قال عوانة: وكان إبراهيم بن الاشتراط عاملاً للمختار حين قتل على الموصل ونواحيها فكتب إليه مصعب يدعوه إلى طاعته والبيعة لعبد الله بن الزبير فسارع إلى ذلك وقدم عليه فولى المهلب ما كان يليه من الموصل والجزيرة ثم عزله وأعاد إبراهيم بن الاشتراط إلى عمله، فلما صبح عنده وصول عبد الملك يريده بعث إلى ابن الاشتراط فأقدمه عليه فجعله على مقدمته وسار حتى أتى دمماً وهي من عمل الانبار ثم قطع منها حتى نزل بقرب أوانا وهناك دجبل وزير الجاثيلق وباجميرا فعسكره وموضع وقوفه بين هذه الموضع، وكاتب عبد الملك وجوه أهل الكوفة والبصرة ورغمهم في الأموال والأعمال وكتب إليه جماعة منهم يستعجلونه على نصرتهم وإيهان ونحرافهم عن مصعب ولاده اصبهان فكان يسأل عنها ويقول ما اصبهان هذه أتنبت الذهب والفضة لقد كتب إلي فيها أربعون كتاباً، وكتب عبد الملك إلى إبراهيم بن الاشتراط فجعل له ولادة العراقيين فأخذ كتابه فدفعه إلى مصعب وقال له أصلح الله الأمير إن عبد الملك لم يكتب إلي بهذا الكتاب إلا وقد كتب إلى هؤلاء الوجوه بمثله وقد أفسدتهم عليهم فانا أرى أن تأخذ وجوه أهل المصريين فنشدهم بالحديد فقال له يا أبو النعمان أناخذ الناس بالظنة قال فاجمعهم في أبيض المدائن لئلا يشهدوا الحرب معك قال إذا أفسد قلوب عشائرهم قال فأبعث بهم إلى أخيك بمكة فقال ليس هذا رأيي قال فان لقيت العدو فلا تمدني بأحد منهم واتهمهم...))

البلاذري: أنساب الأشراف ٥/٣٦٣ - ٣٣٧

سيف بن عمر الأسداني التميمي (ت ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م)

يعد سيف بن عمر الكوفي الأسداني التميمي من مؤرخي مدرسة العراق الإخبارية، فإنه نشأ في المدينة المنورة، وعاش في الكوفة، وأصبح من أصحاب السير والأحداث^(١) إذ أنه كتب ((الفتوح الكبير والردة)) وكتب ((الجمل ومسير عائشة وعلي))^(٢) وقد تعرض في كتاباته عن الفتنة التي أوججها معاوية بن أبي سفيان ضد أمير المؤمنين علي عليه السلام، ويقول الدكتور الدوري: إن كتاب (الفتوح الكبير والردة) طريف في نظرته التاريخية التي تجمع بين حركتي الردة والفتوحات^(٣) ولم يبق من كتب سيف بن عمر سوى ما نقله المؤرخ الطبرى وغيره من المؤرخين، وأشار ابن خلkan إلى كتاب ((الروايات)) وكتاب ((طسم وجديس)) وكتاب ((صفة النبي)) وكتاب ((فضائل الأنصار)) وكتاب ((فضائل الكبير)) وكتاب ((ولد إسماعيل عليه السلام)). وكانت قولات الطبرى عن سيف بن عمر، تعبّر عن الروح الإقليمية، إذ انه كان. الأساس للنظرية العراقية^(٤) حيث انه استفاد من شيوخ مدينة الكوفة، ولعله هو الذي جعله يميل إلى الجانب القبلي والتعصب الظاهر له^(٥) وإلى هذا الجانب أشار المستشرق بروكلمان بقوله: كان سيف بن عمر في كتبه مغالياً في الفخر لقبيلته، فكان يحرف الأحاديث والأحداث، ويعظم بعضاً ويحرق بعضاً، ولكنه كان يحسن الوصف والبيان^(٦) وهذا له دلالة أن الدوافع الإقليمية والقبلية يصيغان كتابات سيف بن عمر، فيقول المستشرق جب

(١) ابن النديم: الفهرست ص ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص ٣٧.

(٤) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص ٣٧.

(٥) عبد العزيز سالم: التاريخ و المؤرخون العرب ص ٦٨.

(٦) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٣/٣٦.

((إن سيف بن عمر روج روایةبني تمیم في صورة قصص تاریخیة عن الفتوحات واستندت في الغالب إلى أشعار كانت صلتها بالشّر تكون نفس الصلة بين هذین الفتن من القصص الأیام^(١)) وكان استخدام سیف بن عمر للإسناد في روایاته ما قربه لمنهج المحدثین، ولهذا تعرض لمصطلحات الجرح والتعديل، فقد وجهت إليه تهمة الوضع في الروایات، وهذا ما أدى إلى تحریمه وتضعیفه^(٢) فكان قد روی عن الإمام علي عليه السلام روایة في فضائل الكوفة وإیمان أهلها وأنها ((لقبة الإسلام)) وان الله لينصرن بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط^(٣) وبعض الروایات كانت تتصل بالإمام علي وعبد الله بن عباس، ويأخذ معظم روایاته عن عدد من الرواۃ وبالاخص عن طلحة بن الأعلم و محمد بن عبد الله، كما في تاريخ الطبری، واعتمد کليا على قبیلته تمیم وبخاصة عن فتح العراق.

(١) جب: دراسات في حضارة الإسلام ص ١٥١، ينظر شاکر مصطفى: التاريخ المؤرخون .١٨٠/١

(٢) ابن حجر: تهذیب التهذیب ٤/٢٩٦

(٣) الطبری: التاريخ ٤/٥٩، ابن الجوزی: المنظم ٤/٨٥ أ.

تاریخ سیف بن عمر

خبر مسیلمة الکذاب:

((عن سیف، عن طلحة بن الأعلم، عن عیید بن عمیر، عن رجل منهم، قال: لما بلغ مسیلمة دنو خالد، ضرب عسکره بعقرباء، واستنفر الناس، فجعل الناس يخرجون إليه، وخرج مجاعة بن مرارة في سرية يطلب ثاراً له في بني عامر وبني تمیم قد خاف فواته، وبادر به الشغل، فأما ثأره في بني عامر فكانت خولة ابنة جعفر فيهم، فمنعوه منها، فاختلجهما، وأما ثأره في بني تمیم فنعم أخذوا له، واستقبل خالد شرحیل بن حسنة، فقدمه وأمر على المقدمة خالد بن فلاں المخزومي، وجعل على المجنبيین زیداً وأبا حذيفة، وجعل مسیلمة على مجنبيته المحکم والرجال، فسار خالد ومعه شرحیل، حتى إذا كان من عسکر مسیلمة على ليلة، هجم على جبیلة هجوم المقلل يقول: أربعین، والمکث يقول: ستین، فإذا هو مجاعة وأصحابه، وقد غلبهم الکرى، وكانوا راجعين من بلاد بني عامر، وقد طروا إليهم، واستخرجوا خولة ابنة جعفر فهي معهم، فعرسوا دون أصل الثنیة، ثنیة الیمامۃ، فوجدوهم نیاماً وأرسان خیولهم بأيديهم تحت خودهم وهم لا يشعرون بقرب الجيش منهم، فأنبهوهم، وقالوا: من انت؟ قالوا: هذا مجاعة وهذه حنیفة، قالوا: انتم فلا حیاكم الله فأوثقوهم وأقاموا إلى أن جاءهم خالد بن الولید، فاتوه بهم، فظن خالد أنهم جاءوه ليستقبلوه وليتقوه بحاجته، فقال: متى سمعتم بنا؟ قالوا: ما شعرنا بك، إنما خرجنا لشار لنا فيمن حولنا من بني عامر وتمیم، ولو فطنوا لقالوا: تلقیناكم حين سمعنا بك، فأمر بهم أن يقتلوا، فجادوا كلهم بأنفسهم دون مجاعة بن مرارة، قالوا: إن كنت ترید بأهل الیمامۃ غداً خيراً أو شراً فاستبق هذا ولا تقتله، فقتلهم خالد وحبس مجاعة عنده كالرهينة))

الطبری: تاریخ الرسال و الملوك ۲۸۶/۳-۲۸۷

القادسية (يوم ارماث):

((عن سيف، عن محمد، عن عبيد الله، عن نافع وعن الحكم، قالا: لما أراد رستم العبور امر بسكر العتيق بجيال قادس، وهو يومئذ أسفل منها اليوم ما يلي عين الشمس، فباتوا ليتهم حتى الصباح يسكنرون العتيق بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقا، واستتم بعد ما أرتفع النهار من الغد.

عن سيف، عن محمد وطلحة وزين العابد بن زياد بإسنادهم، قالوا: ورأى رستم من الليل إن ملكا نزل من السماء، فأخذ قسي أصحابه، فختم عليها، ثم صعد بها إلى السماء، فاستيقظ مهموماً محزوناً، فدعا خاصته فقصصها عليهم، وقال: إن الله ليغطنا، لوان فارس تركوني اتعظ أما ترون النصر قد رفع عننا، وترون الريح مع عدونا، وأنا لا نقوم لهم في فعل ولا منطق، ثم هم يريدون مغالبة بالجبرية فعبروا بأثقالهم حتى نزلوا على ضفة العتيق.

عن سيف، عن الأعمش، قال: لما كان يوم السكر، لبس رستم درعين ومغفراً وأخذ سلاحه، وأمر بفرسه فأسرج فأتى به فوثب، فإذا هو عليه لم يمه ولم يضع رجله في الركاب، ثم قال: غداً ندقهم دقا، فقال له رجل: إن شاء الله، فقال: وإن لم يشا.

الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ٥٢٩/٣

نصر بن مزاحم المنقري (ت ٥٢١٢ هـ / ٨٢٧ م)

ولد أبو الفضل نصر بن مزاحم بن يسار (سيار) المنقري بمدينة الكوفة ولم تحدد المصادر تاريخ مولده، وقد عد في طبقة أبي مخنف (لوط بن يحيى) المتوفى قبل عام ١٧٠ هـ، وترجح ولادته قرية من عام ١٢٠ هـ^(١). فهو كوفي النشأة، بغدادي السكن، يقول الخطيب البغدادي ((اخبرنا علي بن عمر الحافظ قال: نصر بن مزاحم المنقري، سكن بغداد، عداده في الكوفيين))^(٢). وقد نسب إلىبني منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وكان والده عطاراً في مدينة الكوفة، وتولى منصب الحسبة فيها زماناً طويلاً^(٣). وقد حدث نصر بن مزاحم بمدينة بغداد عن أعلام الحديث والتفسيرهم^(٤).

- ١- سفيان الثوري.
- ٢- شعبة بن الحجاج.
- ٣- حبيب بن حسان.
- ٤- عبد العزيز بن سياه.
- ٥- يزيد بن إبراهيم التستري.
- ٦- زياد بن المذر.

وتبدو من مؤلفات نصر بن مزاحم في ((مقتل حجر بن عدي)) و((مقتل الحسين بن علي)) وكتاب ((الغارات)) و((صفين)) و((الجمل)) و((أخبار المختار)) و((من المغالين))^(٥). ولعل هذا القول بعيد عن الحقيقة، فإنه ألف في التاريخ الشيعي كما يبدو من مؤلفاته ويذهب بروكلمان إلى أنه أول من ألف في التاريخ

(١) عبد السلام محمد هارون: مقدمة كتاب (صفين) ص (ز).

(٢) الخطيب: تاريخ بغداد ٢٨٣/٣.

(٣) ابن النديم: الفهرست ص ١٠٦، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٢٧/٣.

(٤) الخطيب: تاريخ بغداد ٢٨٢/٣.

(٥) ياقوت: معجم الأدباء ٢٢٥/١٩.

من علماء الشيعة^(١). فهو من طبقة أبي مخنف كما يقول ابن النديم^(٢). وكان عارفاً بال تاريخ والأخبار^(٣). ويمكتنا القول انه كرس معظم تأليفه للموضوعات التي تهم الشيعة، ولكن لم يصل منها الياسوی كتاب صفين، ويقول الدكتور الدوري ((ففي كتاب صفين نلاحظ ميل نصر بن مزاحم عراقية علوية، فهو يورد الحديث ضد معاوية وحزبه، ويورد الأحاديث والأخبار وحتى القصص ليسند قضية الإمام علي عليه السلام ومع ذلك فإنه حيث يتناول مثالب معاوية لا يخفى بعض النقد الموجه للحزب العلوي من خصومه ونتيجة لميل نصر الحزبية تجد بعضهم ينتقده بينما يشنّ آخرون عليه^(٤)). ويستفاد من كلام الدكتور الدوري إن نصر بن مزاحم قد تجد حيادية في بعض نصوص كتابه، على نقىض ما رواه الأستاذ بروكلمان بقوله: ((والواقع أن النزعة الشيعية أصرح وأشفرت تقنعاً في تاريخ موقعة صفين الذي كتبه نصر بن مزاحم، ولقد انتهى إلينا في نصه الأصلي ولا يزال يتلى إلى اليوم في الدوائر الشيعية كسيرة قومية^(٥)). ولعل الذين أخذوا بشيعة نصر بن مزاحم الغالية قد حاولوا إضعاف صفة الضعف والتجريح عليه، فقد اتهم بالكذب والرواية عن الضعفاء والمناكير والغلو في المذهب والاضطراب في الحديث ونحو ذلك^(٦). ونجد المصادر الشيعية أكثر حيادية في الرأي إذ أنها تصف نقاط القوة والضعف في روایات نصر بن مزاحم، يقول أبو علي: ((انه مستقيم الطريقة صالح، غير انه يروي عن الضعفاء وكتبه حسان وقال: ((انه ثبت صحيح النقل

(١) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي: ٣٦/٣.

(٢) الفهرست ص ١٠٦.

(٣) معجم الأدباء ٢٢٥/١٩.

(٤) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٣٨.

(٥) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٣٠/٢.

(٦) الخطيب: تاريخ بغداد ١٣/٢٨٣، ابن حجر: لسان الميزان ٦/١٥٧، ياقوت: معجم الأدباء ١٩

.٢٢٥ /

غير منسوب إلى هوى ولا إدخال وهو من رجال الحديث)).^(١) ويقول الأستاذ عبد السلام محمد هارون ((ومهما يكن فان الناظر في كتابه هذا (صفين) يلمس هدوء المؤرخ الذي لا تستقره العصبية إلى هواه، إلا في القليل لا يستطيع منه إفلاتاً، فهو حين يذكر مثالب معاوية لا يخفى مطاعن أعداء علي)).^(٢) ونحن مع هذا الرأي كما توضّحه نصوص الكتاب، وكان ابن أبي الحديد في ((شرح نهج البلاغة)) ينقل عنه كثيراً^(٣). فقد كان يروي الأخبار ويستشهد بالأشعار، وهو في كل ذلك ((لا يخطئه التوفيق في مراعاة الانسجام واستواء التصوير واتساق العرض)).^(٤).

(١) أبو علي: متّهي المقال ص ٣١٧.

(٢) عبد السلام محمد هارون: مقدمة كتاب صفين ص(ز).

(٣) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٣٧/٣.

(٤) عبد السلام محمد هارون مقدمة صفين ص(ز).

الهيثم بن عدي (ت ٢٠٧ هـ / م ٨٢٣)

كان أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي الطائي من الإخباريين الكوفيين البارزين، فانه ولد في مدينة الكوفة، ونشأ بها، ثم انتقل إلى بغداد وحدث بها، ويقول الخطيب البغدادي إن والده كان واسطياً، وان أمه من سبي منج^(١). ويبدو إن انتسابه إلى الكوفة يعبر عن مولده فيها، وقضائه شطراً من حياته بين أعلامها ومجتمعها حتى أصبح من إخباريها البارزين، فنقل كلام العرب وعلومها وأشعارها، إضافة إلى علميته في الشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب وقد قيل عنه: كان إخبارياً عالمة راوياً مؤرخاً^(٢). وذكر له ابن النديم ثلاثة وخمسين كتاباً، أكثرها في التاريخ والأنساب والطبقات^(٣). وان أبرزها كتابه (التاريخ على السنين)، وهذا مما يؤكّد انه كان من رواد الإخباريين الذين اعتمدوا طريقة الحواليات (chronicles) في الكتابة التاريخية، وهي التي تدور على عرض الحوادث وفق السنين، وقد سار على هذه المنهجية علماء التاريخ العرب وال المسلمين، وفي مقدمتهم الطبرى وابن الأثير، وقد أضاف الهيثم بن عدي لثقافته التاريخية، كتاباته في (الطبقات) ومنها ((طبقات الصحابة)) و((طبقات الفقهاء والحدّثين)) و((طبقات من روى عن النبي من الصحابة)) و((تاريخ الأشراف الكبير)) و((تاريخ الأشراف الصغير)) وان تضلعه في الأنساب كتب ((بيوتات قريش)) و((بيوتات العرب)) و((نسب طيء))^(٤). وهو في هذا الجانب سبق البلاذري في الأنساب وعليه أشار ابن النديم بقوله: انه كان عالماً بالشعر والأخبار

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٤ / ٥١.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦ / ١٠٦، ياقوت: معجم الأدباء ٧ / ٢٦٢، ابن النديم: الفهرست ص ١١٢، الذهبي: العبر ١ / ٣٥٤، ابن العماد: شذرات الذهب ٢ / ١٩.

(٣) ابن النديم: الفهرست ص ١١٢.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥ / ١٥٨.

والشالب والمناقب والآثار والأنساب^(١). فكتب في ((أخبار الفرس)) و((الخوارج)) و((تاریخ العجم وبني أمیة)) كما كتب في العرب عدة كتب منها: ((نزول العرب بخراسان والسودان)) و((افتراق العرب ونزولها بمنازلها)) وكتاب ((من تزوج من المولى في العرب)) وكتب في ((أهل الشام)) و((الخوارج)) و((المعمرین)) وكتاب الوفود^(٢). وكتب في الكوفة (ولادة الكوفة) و(خطط الكوفة) و(تاریخ الشرط لأمراء العراق) وكتاب (فخر أهل الكوفة على البصرة)^(٣). ويعد التأليف في الخطط جديداً عند الإخباريين، ويبدو إن هذا اللون من التأليف نشأ في العراق على يد الهيثم بن عدي^(٤). وهذا ما يعطيه صفة الريادة في الكتابة التاريخية، إذ انه لم يبادر غيره من الإخباريين إلى كتابة هذا النوع من التاريخ، فهو أول من صنف على هذا النمط، ومن ثم أصبح بعده لوناً عادياً^(٥). فقد كان له السبق في كتابة (الخواлиفات) و(الطبقات). وقد يكون قد سبق الواقدي في هذا الجانب، أما في الخطط والبلدان فإنه كتب (خطط الكوفة) واليه أشار المؤرخ (جب) بقوله: ((ويبدو إن أدب الخطط هذا نشأ في العراق، وكان أهم المؤلفات فيه مؤلف مفقود للهيثم بن عدي))^(٦). وبما إن الهيثم بن عدي كان خارجي المعتقد، فإنه ألف في مذهبه وعقيدته كتاباً سماه ((تاریخ الخوارج)) ومن المحتمل إن عقيدته هذه جعلته عرضة للتجریح، وقد أشار إلى ذلك مترجموه^(٧). على الرغم من كونه قريباً من السلطة العباسية، إذ اختص بالنصرور والمهدى والرشيد^(٨). ويلمح ابن خلkan إلى

^(١)) الفهرست ص ١٥١.

^(٢)) وفيات الأعيان ٥ / ١٥٨، الصفدي: الوافي بالوفيات ٥١/١.

^(٣)) وفيات الأعيان ٥ / ١٥٨ و الوافي ١ / ٥٢.

^(٤)) جب: دراسات في حضارة الإسلام ص ١٦٥.

^(٥)) عبد الحميد العبادي: (المامة بالتاریخ عند العرب) من كتاب (علم التاریخ) لهرنشو ص ٦٨.

^(٦)) جب: دراسات في حضارة الإسلام ص ١٦٥.

^(٧)) ابن خلkan: وفيات الأعيان ٦ / ١٠٧، ابن قتيبة: المعارف ص ٥٣٨.

^(٨)) ابن خلkan: وفيات الأعيان ٥ / ١٥٨، الققطني: أنبأ الرواة ٣٦٩/٣.

إن سبب التجريح يعود إلى حسد بعضهم للهيثم بن عدي لتبؤته مكانة محترمة عند السلطة العباسية، أو إلى ميله إلى الخوارج^(١). أما ياقوت الحموي فانه يرجع السبب إلى تعرضه للناس وأخبارهم ونقل معايسهم^(٢). وقد قيل في هجائه^(٣):

فقدم الدال قبل العين في النسب
إذا نسبت عديا فيبني ثعل

وهجاه الشاعر أبو نؤاس بقوله:

ولست من طيء إلا على شغب

يا هيثم بن عدي لست للعرب

وفيه يقول دعبد الخزاعي:

بأخبار الحواضر والبواudi
فقال كأحمد بن أبي داؤود
فأحمد غير شك ابن أبي داود
لقد غضب الإله على العباد

سألت أبي وكان أبي عليماً
فقلت له اهيثم من عدي
فان يك هيثم منهم صحيحاً
حتى كلت أياد رؤوس قوم

فان المصادر تؤكد انتسابه لقبيلة (طيء) فهو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر بن عدي بن خالد بن خيثم بن أبي حارثة بن جدي بن ثدول بن بحتر بن عتود بن عنيين بن سلامان بن ثقل بن عمرو بن الغوث بن جلمة الطائي الشعالي البحري الكوفي^(٤). ولكن المؤرخين والمحدثين هاجموا الهيثم بن عدي هجوماً عنيفاً^(٥). وجردوه عن الثقة وقالوا: ليس بشيء بل يكذب ومتروك الحديث، وقالت عنه جاريته: ((كان مولاً يقوم عامة الليل يصلّي، فإذا أصبح جلس يكذب)) وأشار إلى كذبه كل من البخاري وأبي

(١) المصدر نفسه / ٦٠٦.

(٢) ياقوت: معجم الأدباء / ١٩ / ٣٠٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/٥٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/٣٥٧، ياقوت: معجم الأدباء . ١٩/٣٠٤.

(٥) أحمد أمين: ضحي الإسلام ٢/٣٥٨.

داود ويجيبي بن معين^(١). ومن المحتمل إن بعض ألفاظ التجريح قد أضيفت إليه بدلالة انه ذكر العباس بن عبد المطلب بشيء فجلس لذلك عدة سنين^(٢). ويقول الققطي ((قد كان القول فيه تليساً عليه، لبسه قوم صا هرهم فلم يرضوه))^(٣). ومن المحتمل إن السلطة إذا لم يوافقها حديث أحدهم تلقى حوله مصطلحات التجريح، ولعل هذا حصل بعد موقعه المتميز عند المنصور والمهدى والرشيد عند نزوله بمدينة بغداد^(٤). ومن المحتمل إن حسد الحاسدين عليه لما كان له عند الخلفاء العباسيين أو ميله نحو الخارج كان عاملاً على إلصاق صفات التجريح به، ومن المحتمل: أن تعرضه لأحوال الناس وأخبارهم، جعل بعضهم يضمرون العداء له، أو يغري الولاة عليه، وحتى الشعراة فقدموا لهجوه^(٥). ويبعدو إن أجمعوا حصل على عدم توثيق الهيثم بن عدي حتى عند علماء الإمامية^(٦). وكان الهيثم بن عدي قد استقى جانباً من ثقافته ومعارفه من أوائل المحدثين وكتاب السيرة وهم^(٧):

- هشام بن عمرو.
- محمد بن إسحاق.
- مجالد بن سعيد.
- محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى.
- سعيد بن أبي عمرو.
- شعبة بن الحجاج.

(١) ياقوت: معجم الأدباء / ١٩، ٣٠٤، ابن العماد: شدرات الذهب / ٢٩.

(٢) ابن خلكان: وفيات / ٥١٥، الققطي: أنباء الرواية / ٣ / ٣٦٥.

(٣) الققطي: أنباء الرواية / ٣ / ٣٦٥.

(٤) ن.م / ٣٦٩، البغدادي: هدية العارفين / ٢ / ٥١١.

(٥) ياقوت: معجم الأدباء / ١٩ / ٣٠٨.

(٦) الطوسي: الرجال ص / ٩٥، الخوئي: معجم رجال الحديث / ١٩ / ٧٣.

(٧) ابن قتيبة: المعارف / ٥٣٧، الخطيب تاريخ بغداد / ١٤ / ٥١.

وأشارت المصادر إلى أنه كان من طبقة ابن الكلبي ويشبهه في مجال دراساته الذي كان يذوب أمامه لتفوقه عليه تفوقاً ظاهراً^(١). وقد روى عن الهيثم إخباريون وعلماء السيرة والطبقات وهم^(٢):

١- عبد الله بن عياش.

٢- العلاء بن موسى.

٣- محمد بن سعد.

٤- القاسم بن سعيد بن المسيب.

٥- علي بن عمرو الأنباري.

٦- أحمد بن عبيد بن ناصح.

وقد استقى من الهيثم بن عدي نصوصاً كل من الجاحظ في كتابيه البيان والتبيين والحيوان والطبراني في تاريخه والبلاذري في أنساب الأشراف، وياقوت الحموي في معجم البلدان.

(١) مرجليوت: دراسات عن المؤرخين العرب ص ١٠٩، الشكعة: مناهج التأليف ص ١٣٩.

(٢) ابن قتيبة: المعارف ص ٥٣٩، الخطيب: تاريخ بغداد ٥١/١٤.

نموذج من تاريخ الهيثم بن عدي

اختيار أبي جعفر المنصور لوقع بغداد:

وذكر عن الهيثم بن عدي، عن ابن عياش، قال: لما أراد أبو جعفر الانتقال من الهاشمية بعث رواداً يرتدون له موضعًا ينزله واسطاً، رافقاً بالعامة والجند، فنعت له موضع قريب من بارما، وذكر له عنه غذاء طيب، فخرج إليه بنفسه حتى ينظر إليه، وبات فيه، وكرر نظره فيه، فراه موضعاً طيباً، فقال لجماعة من أصحابه منهم سليمان بن مجالد وأبو أيوب الخوزي وعبد الملك بن حميد الكاتب وغيرهم: ما رأيكم في هذا الموضع؟ قالوا: ما رأينا مثله، هو طيب صالح موافق، قال: صدقتم، هو هكذا، ولكنه لا يحمل الجندي والناس والجماعات، وإنما أريد موضعاً يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لي، ولا تغلو عليهم فيه الأسعار، ولا تشتد فيه المؤونة، فاني أن أقمت في موضع لا يجلب إليه من البر والبحر شيء غلت الأسعار، وقلت المادة واشتدت المؤونة، وشق ذلك على الناس، وقد مررت في طريقي على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال، فانا نازل فيه، وبأيت به، فإذا اجتمع لي فيه ما أريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله للجندي والناس ابنيه. قال الهيثم بن عدي: فخبرت انه أتى ناحية الجسر، فعبر في موضع قصر السلام، ثم صلى العصر، وكان في صيف، وكان في موضع القصر بيعة قس، ثم بات ليلة حتى أصبح، فبات أطيب مبيت في الأرض وأرققه، وأقام يومه فلم ير إلا ما يحب، فقال: هذا موضع ابني فيه، فإنه تأتيه المادة من الفرات ودجلة وجماعة من الأنهار، ولا يحمل الجندي والعامة إلا مثله، فخطتها وقدر بناءها، ووضع أول لبنة بيده، وقال: باسم الله والحمد لله، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمنتقين. ثم قال: ابناوا على بركة الله.

أبو إسحاق الثقفي **مؤرخ الأمامية في القرن الثالث الهجري**

أنجبت مدينة الكوفة المؤرخ الكبير أبا إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي، المتوفى عام ٢٨٣ هـ و كان من أسرة سكنت مدينة الكوفة منذ تصديرها عام ١٧ هـ، وبزر فيها إعلام احتلوا مراكز في الإدارة والعلم وكان أبو إسحاق الثقفي أحد رجالها، فإنه نشأ في بيئة الكوفة العلمية، وعاصر خلفاء عشرة من الأسرة العباسية الحاكمة، فأولهم المأمون، وأخرهم المعتصم، ووقف على إحداث الكوفة السياسية وتطورها العلمي، ولكنه لم يسهم في الإحداث السياسية، فاتجه لطلب العلم والتأليف في مدة حياته التي قضتها في الكوفة وأكملها في أصفهان، وفيها نشر علوم أهل البيت (عليهم السلام)^(١) ويدو أن أعقاب إبراهيم الثقفي بقوا في مدينة الكوفة شأنهم في ذلك شأن الثقفيين، ويقول ابن قتيبة : أن لأبي إسحاق الثقفي عقب بمدينة الكوفة. وكانوا على ولاء لآل البيت (عليهم السلام)، وعند هجرة أبي إسحاق الثقفي إلى أصفهان بدأ في نشر الفكر العلوي فيها، كما أشار إلى ذلك لشيخ النجاشي في (رجاله) وقد التحق به لقب (الكوفي) أثناء سكناه مدينة أصفهان وأضيف إليه أيضاً لقب (الأصفهاني) ولكن لقب (الثقفي) بقي يرافقه مع بقية الألقاب.

وكان أبو إسحاق الثقفي يروي عن إعلام كوفيين وبصريين وواسطيين وبغداديين وأصفهانيين ورازيين، وقد أشار في كتابه (الغارات) إلى إعلام من هذه المدن، إضافة إلى انتماءاتهم القبلية، أما تلاميذه فقد أشارت كتب الرجال عند الأمامية إلى عدد منهم وأبرزها : كتاب الرجال للشيخ النجاشي.

- كتاب الأمالي للشيخ المفيد.
- كتاب الفهرست لابن النديم.

(١)النجاشي : الرجال ص ١٢.

- ٣- كتب (الرجال والفهرست والأمالي وتهذيب الإحکام). للشيخ الطوسي.
- ٤- كتاب علل الشرائع، وكتاب معاني الأخبار للشيخ الصدوقي.
- ٥- كتاب المحسن للبرقي.
- ٦- كتاب التفسير للقمي.
- ٧- كتاب معالم العلماء لابن شهرآشوب.
- ٨- كتاب دلائل الإمامة لابن رستم الطبری.
- ٩- كتاب دلائل اليقين لابن طاووس.
- ١٠- كتاب كامل الزيارات لابن قولويه.
- ١١- كتاب الرجال لابن داود.
- ١٢- كتاب وسائل الشيعة للحر العاملی.
- ١٣- كتاب الرجال للعلامة الحلی.
- ١٤- كتاب بحار الأنوار للشيخ المجلسي.

ولدى رجوعنا إلى رجال الأمامية من محدثين ومؤرخين ورجالين عاشوا في القرن العشرين الميلادي، والموافق للقرن الرابع عشر الهجري نجدهم قد أرّخوا لأبي إسحاق الثقفي، واستقروا معلوماتهم من المصادر الأساسية وهم :

- ١- السيد حسن الصدر في كتابه (عيون الرجال).
- ٢- الارديلي في كتاب (جامع الرواة).
- ٣- المامقاني في كتابه (تنقیح المقال).
- ٤- اغا بزرگ الطهراني في كتابيه (الذریعة والطبقات).
- ٥- السيد الخوئي في كتابه (معجم رجال الحديث).
- ٦- الکاظمي في كتابه (عدة الرجال).
- ٧- القمي في كتابه (الکنى والألقاب).

٨- السيد الأمين في كتابه (أعيان الشيعة).

٩- الشيخ الأميني في كتابه (الغدير).

وقد كشف مترجمو أبي إسحاق الثقي عن علميته ومكانته في فروع المعرفة، واستقى منه ابن أبي الحميد في كتابه (شرح نهج البلاغة) نصوصا من كتاب الغارات، ويقول السيد ابن طاووس : إنَّ أباً إسحاق الثقي قد كاشف أهل أصفهان بما جاء في كتابه (المعرفة) بقول الحق بما عرف عنه من صلابة وجرأة، وبيدو ان مناظراته الكلامية ومحاججاته مع أصحاب المذاهب والفرق في مدينة أصفهان، جعلت بعض المؤرخين والمحدثين يصفونه بالرفض والخلو بسبب نشره مذهب آل البيت (عليهم السلام) بين الناس، وأشار إلى هذا الجانب السيد الخوانساري بقوله : انه الشيخ المحدث المروج الصالح، ومن المحتمل ان ضياع مؤلفاته جاءت بسبب عقيدته وإيمانه بالبيت النبوة، ولم يصلنا من مؤلفاته سوى كتاب (الغارات) وقد أشارت قائمة مؤلفاته في التاريخ والسيرة إلى (٣٢ كتاباً) ومنها : المبدأ، والسيرة، والمغازي، والسوقية، والردة، والجمل، وصفين، والحكمين، والنهر والنهر، وفدى، والدار وحروراء، والغارات، وخصص للخلفاء والحكام والثوار كتاباً وهي :

١- أخبار عمر بن الخطاب.

٢- مقتل عثمان بن عفان.

٣- أخبار عثمان بن عفان.

٤- بيعة أمير المؤمنين (عليه السلام).

٥- مقتل أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله وحروبه.

٦- قيام الإمام الحسن (عليه السلام).

٧- مقتل الإمام الحسين (عليه السلام).

- ٨- كتاب التوابين.
- ٩- أخبار المختار.
- ١٠- يزيد بن معاوية.
- ١١- أخبار ابن الزبير.
- ١٢- أخبار زيد أخبار محمد وإبراهيم.
- ١٣- أخبار محمد وإبراهيم.
- ١٤- أخبار من قتل من آل أبي طالب.

وكتب أبو إسحاق الثففي في الفقه والحديث (٢٤ كتاباً) وان بعضها في آل البيت والإمامية ومنها :

- ١- المودة في ذوي القربي.
- ٢- ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين (عليه السلام)
- ٣- كتاب الإمامة الكبير.
- ٤- كتاب الإمامة الصغير.

وقد كتب في تاريخ الكوفة كتاباً سماه (كتاب فضل الكوفة ومن نزلها من الصحابة)، وأشار علماء الحديث والرجال من أمثال : الشيخ النجاشي، والشيخ الطوسي، وابن شهراًشوب، وابن حجر إلى كتابه في التفسير وقد حفظ رجال العلم والفكر نصوصاً من مؤلفات أبي إسحاق الثففي الضائعة، وهي أن جمعت سوف تحيي جانباً من علومه، وذلك عند المؤلفين وهم :

- ١- أبو جعفر البرقي في كتابه (المحاسن).
- ٢- ابن أبي الحديد في كتابه (شرح نهج البلاغة).
- ٣- السيد ابن طاووس في (رحة الغري).

- ٤- الصفار في كتابه (بصائر الدرجات).
- ٥- الطبرسي في كتابه (أعلام الورى).
- ٦- شرف الدين الحسيني في كتابه (تأويل الآيات الظاهرة).
- ٧- الحر العاملي في كتابه (إثبات المدحاة).

وكان الشيخ الصدق قد حفظ لنا نصوصاً كثيرة للشيخ أبي إسحاق الثقفي في مؤلفاته وفي الحديث والرجال والعقائد، وكان كتاب (المعرفة) من ابرز مؤلفات الثقفي التي استقى منه المؤلفون نصوصاً كثيرة، وإنما كتاب (الغارات) الذي وصلنا، فإن العلامة المجلسي المتوفى عام ١١١١هـ قد احتفظ بنسخة منه ونسخة قد حفظت في المكتبة الظاهرية بدمشق، وقد حققها العلامة السيد عبد الزهراء الحسيني، وقد تضمنت هذه النسخة أخبار الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية بن أبي سفيان، وحرب الخوارج، وخطب أمير المؤمنين (عليه السلام) واستشهاده أما الغارات التي أشار إليها الكتاب فكان أولها غارة الضحاك بن قيس الفهري، وأخرها غارة بسر بن أبي ارطاة، وكان أبو إسحاق الثقفي يورد الحادثة بأسمائدها وصولاً إلى شيوخه، ويستخدم لفظ : (حدثني وخبرني) وأحياناً يستخدم صيغة الجمع (حدثنا وخبرنا)، وتنتهي بعض النصوص بالصحابي كمبل بن زياد النخعي أو جندي بن عريف، أو زر بن حبيش، ويورد أسماء الرجال المعاصرين للإحداث، ومنها أحداث الكوفة والبصرة، وعند تعارض الروايات يقف على الصحيح منها في رأيه ويقول : (والصحيح وكان يستشهد بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي والأمثال المشهورة، وتعرض إلى استشهاد محمد بن أبي بكر، ومالك الأشتر، ومحمد بن أبي حذيفة، وان التراث المهم الذي حفظه أبو إسحاق الثقفي في كتابه الغارات هو خطب الإمام علي (عليه السلام) والتي اعتمدها الشريف الرضا، المتوفى عام ٤٠٦هـ، والتي شرحها ابن أبي الحديد، المتوفى عام ٦٥٦هـ، وقد تصدى لكتاب الغارات الشيخ حسن كريم ماجد الريعي في رسالته بعنوان (إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي مؤرخاً)، وحصل

عليها درجة الماجستير في التاريخ، و كنت مشرفاً على الرسالة وقد نوقشت في معهد التاريخ العربي والتراث العلمي في بغداد يوم الخميس ٢٠٠٤/٩/٩ ونأمل من الباحثين العثور على مؤلفات أبي إسحاق الثقفي التي أصبحت في عداد الكتب المفقودة.

احمد بن عبد الله بن قتيبة (ت ٤٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م)

ولد المؤرخ احمد بن عبد الله بن قتيبة في مدينة الكوفة عام ٢١٣ هـ / ٨٢٩ م وقيل في بغداد^(١) ولكن من الأرجح إن مولده في الكوفة وسكناه في بغداد، حتى قيل عنه ((نزيلاً ببغداد))^(٢). ولحق به نسب الكوفي والدينوري والمرزوقي^(٣) ويعود النسب الأخير لأسرته التي نسبت إلى مدينة ((مررو الروذ))^(٤) وقد نسب احمد لأبيه أيضاً فقيلاً عنه القتبي أو القتبى، ومن المحتمل إن ابن قتيبة ينحدر من أسرة أعمجية، سكنت مدينة الكوفة، فولد فيها ابن قتيبة، ثم انتقل إلى بغداد، فسكنها وحدث بها^(٥) ويبدو انه قضى معظم حياته بمدينة بغداد، وقضى بعض الوقت في مدينة الدينور قاضياً فيها، وما يعزز سكناه ببغداد هو كتابة مؤلفاته فيها، وتعليم أهلها، في الوقت الذي كانت بغداد مدينة العلم، ومنتدى الفكر والأدب، ومهد الحضارة، فوجد فيها ابن قتيبة مرتعًا خصباً، فانكب على الدرس والتحصيل العلمي، حتى عرف بالكاتب وصاحب التصانيف، والنحوى اللغوى، والأديب المحدث، وقد قال عنه مسلمة بن قاسم: انه كان لغويًا، كثير التأليف، عالماً بالتصنيف^(٦) ولكن اختلف علماء الحديث والرجال في تقييم ابن قتيبة العلمي، وموقعه من مصطلحات الجرح والتعديل، فهناك من يقول انه ((ثقة، دين،

(١) ابن النديم: الفهرست ص ١٢١، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٤٦/٢، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/١٦٩، الخطيب: تاريخ بغداد ١٧٠/١٠، ياقوت: معجم الأدباء ٣/١٠٤.

(٢) السيوطي: بغية الوعاة ص ٢٩١، الداودي: طبقات المفسرين ١/٢٤٦.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٤٦/٢، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/١٦٩، اليافعي: مرآة الجنان ٢/١٩١، ينظر بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٢٢١/٢، القمي: الكنى والألقاب ١/٣٧٧.

(٤) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي ٣٢٩/٢، احمد أمين: ضحى الإسلام ١/٤٠٢.

(٥) الخطيب: تاريخ بغداد ١٧٠/١٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٤٦/٢.

(٦) السيوطي: بغية الوعاة ص ٢٩١، الداودي: طبقات المفسرين ١/٢٤٦، الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/٣٥٨، ابن حجر: لسان الميزان ٣/٥٠٣.

صدق). ومنهم من قال ((كذاب)) وقد أجمعوا الأمة على كذبه، وقد دافع بعضهم عن تحرير ابن قتيبة بقوله: ((هذه مجازفة قبيحة و كلام من لم ينفع الله))^(١) ولكن الواقع على مؤلفات ابن قتيبة يجد فيها الرأي الحصيف والرؤى الناضجة في تحليله للأحداث، وفي تقويمه للرواية ولاسيما في كتابيه (الإمامية والسياسة) إن صحت النسبة إليه، وكتاب (المعارف)، ولكن وجد فيه بعض المحدثين مثالب وأنحرافات، فيقول المحدث الدارقطني: إن ابن قتيبة يميل إلى التشبيه، منحرف عن العترة، وكلامه يدل عليه، ويقول البيهقي: انه كان يرى رأى الكلامية^(٢). لقد استقى ابن قتيبة معلوماته التي دونها في كتبه عن مصدرين أساسيين هما:

- ١- الكتب و التصانيف المدونة في عصره.
- ٢- الروايات الشفهية المتناقلة.

وكانت كتب السير والمغازي والطبقات والأنساب في مقدمة مصادره، ومنها كتب الواقدي وابن الكلبي وابن إسحاق وابن سعد، وروى كثيراً عن المدائني في كتابيه ((المعارف)) و((عيون الأخبار)). أما في تاريخ الأئمّة فإنه اعتمد على وهب بن منبه وعلى التوراة والإنجيل^(٣) ويقول: ((قرأت في الإنجيل إن عدّة القرون من إبراهيم إلى داود أربعة عشر قرنا، ومن داود إلى جالية بابل أربعة عشر قرنا، ومن جالية بابل إلى المسيح أربعة عشر قرنا))^(٤) وقارن ابن قتيبة بين أقوال وهب بن منبه وروايات التوراة، وعدد حديثه عن إبراهيم عليه السلام ونسبة قال: ((هكذا قال وهب)) وأضاف إلى قوله: ((وقابلت بهذه النسبة ما في التوراة

(١) السيوطي: بغية الوعاة ص ٢٩١، ابن حجر: لسان الميزان ٣/٣٥٧ - الداودي: طبقات المفسرين ١/٢٤٦.

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/٥٠٣، ابن حجر: لسان الميزان ٣/٣٥٨.

(٣) عبد الحميد الجندي: ابن قتيبة ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٤) ابن قتيبة: المعرف ص ٥٧.

فوجدت بها موافقة، إلا إني وجدت مكان (اشرغ) شاروخ^(١)) وقد يعطي هذا النص دلالة على ثقافة ابن قتيبة الكبيرة، وحرصه على تدوين ما يراه صحيحاً، فهو يستقي من وهب بن منبه (الراوي الشهير) ومن ثم يعود إلى التوراة بنفسه للاطمئنان على صحة النقل. ويبدو إن ابن قتيبة كان يجيد عدة لغات عند اعتماده على التوراة والإنجيل، وهو عند حديثه عن الأنبياء والرسل يقول: ((قرأت في التوراة في أول سفر من أسفارها إن أول من خلق الله تعالى من خليقته السماء والأرض، وكانت الأرض خربة خاوية، وكانت الظلمة على الغمر، وكانت ريح الله تبارك وتعالى ترف على وجه الماء^(٢)). ويستقي ابن قتيبة نصوصاً عن شيوخه كإسحاق ابن راهويه، وأبي حاتم السجستاني، فانه حدث في مدينة بغداد عنهم، وعن أبي إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه الزيادي، كما حدث عن ابن درستويه، ونجد في كتابه ((عيون الأخبار)) أنه يستقي نصوصاً عن أبيه بقوله: ((حدثني أبي))^(٣) ويشير ابن قتيبة إلى مصادر لم يفصح عن أسمائها كقوله: ((ووجدت في كتب سير العجم إن بين الاسكندر وبين اردشير مدة ملوك الطوائف وهي أربعين سنة وخمس وستون سنة))^(٤) وكان يأخذ بعض الروايات الشفهية عن الكوفيين ووجه نقداً لبعضها، فيذكر السيوطي: انه خلط علمه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقة.^(٥) ويقول ابن النديم: ((وكان ابن قتيبة يغلو في البصريين إلا انه خلط المذهبين وحكى

(١) المصدر نفسه ص ٣٠.

(٢) ابن قتيبة: المعارف ص ٥٧.

(٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار ١، ١٤٢/٢، ٣٠٧/٢، القالي: الامالي ١٥٧/٢ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/٢٤٦. الداودي طبقات المفسرين ١، ٢٤٦/١، اليافعي: مرآة الجنان ٢، ١٩١/٢، الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/٥٠٣، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/١٦٩.

(٤) ابن قتيبة: المعارف ص ٥٧.

(٥) السيوطي: المزهر ٢/٤٠٩.

في كتبه عن الكوفيين^(١)) وان سكناه في مدينة بغداد جعله يستقي من علمائها نصوصا في التفسير والحديث واللغة والنحو والأدب والتاريخ^(٢) وهذا التنوع المعروفي جعله يؤلف في علوم مختلفة، فهو في الأدب كان إماماً، وفي اللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه والتاريخ وأيام الناس كان في مقدمة علماء عصره، ويقول الأستاذ ((Hanna Fakhouri)): إن ابن قتيبة قد اتصل بنواح كثيرة من علوم عصره، إلا إن تأليفه في أكثره جمع، وجمعه عن سعة اطلاع لاظهر فيه شخصيته قوية، وكان يكره الجاحظ وياخذ عليه اضاحيكه وينسب إليه الكذب والفساد^(٣) ويدو إن هذا الرأي فيه جانب من التجني على علمية ابن قتيبة، فقد كان في كثير من المواقف ناقداً ورافضاً للنصوص وبخاصة في علم الحديث، وقد أشار الأستاذ احمد زكي العدوبي إلى هذا الجانب من ثقافة ابن قتيبة فيقول: انه كان مستقل الفكر: جريئاً، في قول الحق، وهو أول من تجرأ على النقد الأدبي^(٤) وان كتبه تطغى عليها مادة الأدب، وحتى كتابه ((المعارف))^(٥) قد جمع فيه بين الأدب والتاريخ، وهو يقترب إلى حد ما من كتب التاريخ العام^(٦) ويقول الأستاذ الجندي: ((ومهما يكن من شيء فكتاب المعارف اقرب إلى التاريخ منه إلى أي علم آخر ولكننا لا نعتبره أثراً تاريخينا خالصا))^(٧) وهذا الرأي سليم كما توحى مفردات الكتاب، على الرغم من احتوائه نصوصا تشير إلى تاريخ الخلق والأنبياء وأسab العرب والسيرة النبوية وأخبار الخلفاء والصحابة والتابعين، إضافة إلى

(١) ابن النديم: الفهرست ص ١٢١.

(٢) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي ٣٢٩/٢.

(٣) Hanna Fakhouri: تاريخ الأدب العربي ص ٧٤٧.

(٤) العدوبي: مقدمة عيون الأخبار ص ١٦.

(٥) ابن خلkan: وفيات الأعيان ٢٤٦/٢، اليافعي: مرآة الجنان ١٩١/٢، ابن العماد: شذرات الذهب ١٦٩/٢.

(٦) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ١٧٤/٢.

(٧) عبد الحميد الجندي: ابن قتيبة ص ٣٦٤.

جانب من الحياة الاجتماعية، وبما فيها الأنساب والعادات والنواصر، ويذهب الدكتور الدوري إلى خصائص كتاب ((المعارف)) بقوله: ((إن الكتاب مثال للكتابة التاريخية العلمية، إذ أنه يبدأ فيه من الخلقة وينتهي بالمعتصم، فهو يجمع بين فكرتين تاريخيتين، فكرة التاريخ العالمي وفكرة الوحدة الثقافية في تاريخ العرب، وذلك ليسد حاجة طبقة الكتاب إلى تاريخ شامل ويواجهه الحركة الشعورية في الحقل الثقافي^(١)) ولم يكن موقف ابن قتيبة من التيار الشعوري الذي ساد عصره واضحًا فهو تارة يفضل العرب على غيرهم من الأمم، وتارة يبرئ الفرس من بغضهم للعرب^(٢) ولم يكن هذا الموقف متناقضاً، وإنما يمكن أن يوصف بالموقف التوفيقي، ولذا كان يحمل كتابه بعض الحوادث التي تبعث الانجذاب المذهبي والفكري كمحنة خلق القرآن، وحركة الزنج، ونكبة البرامكة ونحو ذلك ومن المحتمل إنه أراد أن يكون محايده إزاء الأفكار المتضاربة والاجتهادات المختلفة، ومن المحتمل إن وضع الدولة العباسية في عصره يجعله يسلك هذا الطريق، إذ كانت التيارات السياسية والفكرية تسود الساحة العباسية، ولعل كتاب ((عيون الأخبار)) يكشف عن هذه الحقيقة، فهو يتحدث عن الحرب ومكائدتها، وأخبار الحرب والفروسية والعدة والسلاح. ويحتاج كتاب ((الإمامية والسياسة)) إلى وقفة طويلة وعميقة في سبيل الوصول إلى حقيقة الكتاب ونسبة له ابن قتيبة، فهو يبحث عن الخلافة وشروطها منذ وفاة النبي صلى الله عليه واله وسلم وحتى عصر المؤمن العباسي، ففي الكتاب تبرز روح التشيع عند ابن قتيبة، في حين أنه من علماء أهل السنة^(٣) وتطفح عليه ميلاً علوية عند حديثه عن اجتماع السقيفة، والتعرض لبيت السيدة فاطمة عليها السلام، ولم نجد هذا الاتجاه في مؤلفات ابن قتيبة الأخرى. ولا تخلي مؤلفات ابن قتيبة الأخرى مثل ((أدب، الكاتب))

(١) الدوري: نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٣٦.

(٢) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي ٣٢٩/٢.

(٣) القمي: الكنى والألقاب ٢٧٩/١.

و((طبقات الشعراء)) و((كتاب الاشربة)) جوانب تاريخيه منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

نماذج من تاريخ ابن قتيبة (مبتدأ الخلق):

قال أبو محمد: قرأت في التوراة في أول سفر من أسفارها أن أول ما خلق الله تعالى من خليقته السماء والأرض خربة خاوية، وكانت الظلمة على الغمر، وكانت ريح الله تبارك وتعالى ترف على وجه الماء. فقال الله: ليكن النور، فكان النور. فرأه الله حسناً، فميّزه من الظلمة وسماه نهاراً، وسمى الظلمة ليلًا. فكان مساء وكان صباح يوم الأحد.

وقال الله ﷺ: ليكن سقف وسط الماء، فليحل بين الماء والماء. فكان سقف. وميّز بين الماء الذي هو أسفل وبين الماء الذي هو أعلى، فسمى الله ذلك السقف الأعلى سماء. فكان مساء و كان صباح يوم الاثنين.

وحدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى: حدثنا مالك بن سعيد، قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح: في قول الله ﷺ: (والبحر المسجور) قال: كان علي عليه السلام يقول: هو بحر تحت العرش. وهذا شبيه بما ذكر في التوراة من إن السماء بين ماءين:

وعاد الخبر إلى التوراة: وقال الله ﷺ: ليجتمع الماء كله الذي تحت السماء إلى مكان واحد فليس بيس. فكان ذلك كذلك. فدعا الله اليبس الأرض، وسمى ما اجتمع من الماء البحور. ثم قال الله ﷺ: لنخرج الأرض زهر العشب والشجر بالحمل كلا ليبوسته، وأخرجت الأرض ذلك فرأه الله حسناً. فكان مساء وكان صباح يوم الثلاثاء وقال الله ﷺ: ليكن نوران في سقف السماء ليميزا بين الليل والنهار، ولتكونا آيات للأيام والسنين فكان نواره: الأكبر لسلطان النهار، والأصغر لسلطان الليل. فرأه الله حسناً، فكان مساء و كان صباح يوم الأربعاء.

وقال الله تعالى: ليحرك الماء كل نفس حية، ولسيطر الطير على الأرض في جو السقف. وخلق الله تعالى تنانين عظاماً، وحرك الماء كل نفس حية بجنسها، وكل طائر بجنسه. فرأى الله ذلك حسناً فبرّكهن وقال: أثروا وأثثروا وكان مساء و كان صباح يوم الخميس.

ابن قتيبة: المعارف ص ٩-١٠

نماذج من أنساب ابن قتيبة / السيرة النبوية:

قال أبو محمد: هو محمد بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. واختلف النسبة فيما بعد (عدنان) وقد بينت ذلك في: كتاب النسب. واسم عبد المطلب: عامر، واسم أبيه (هاشم): عمرو، وسمي هاشماً: لهشم الشريد وإطعامه. واسم (عبد المناف): المغيرة، واسم قصي. زيد، ويدعى: مجمعاً لأنه جمع قبائل قريش و انزلها مكة.

قال أبو محمد: وأما أم النبي عليه السلام فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر.

ولنا علم انه كان لآمنة أخ فيكون خالاً للنبي عليه السلام ولكن بنو زهرة يقولون نحن أخوال رسول الله عليه السلام لأن آمنة منهم.

ابن قتيبة: المعارف ص ١١٧، ١٢٩

مؤرخ الكوفة السيد حسين البراقى النجفى وموارد كتابه

حظيت الكوفة باهتمام المؤرخين والباحثين بدءاً من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادى، فتناولوا خططها وقبائلها وأحداثها، وكان هذا اللون من الكتابة جزءاً من كتابة التاريخ المحلي الذى تناول المدن والأمسكار العربية والإسلامية، يقول الأستاذ روز ثال: إن كثيراً من التواریخ المحلية قد نشأت من اعتبارات دینية وفقهية^(١). ولكن المستبع لدراسة تواریخ هذه المدن، ومنها مدينة الكوفة يجد أسباباً أخرى دفعت المؤلفين إلى الكتابة، وقد تكون الجوانب الدينية احدها، ويذهب إلى ذلك الدكتور السيد عبد العزيز سالم بقوله: إن الكتابة في التاريخ المحلي قد سارت في تيارين واضحي المعالم، ولكنهما متصلين، أحدهما تيار دنيوي، والثاني ديني^(٢). وهذا يعني إن دراسة المدن العربية الإسلامية تشمل الجوانب الدينية والحضارية والفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية – وغيرها، ويأتي الاهتمام بدراسة مدینتي البصرة والكوفة في مقدمة المدن العربية – باستثناء ما كتبه الأزرقي (ت ٢٢٣هـ) عن تاريخ مكة المكرمة – ولعل مؤلفات أبي زيد عمر بن شبة (ت ٢٦٤هـ) في مقدمة الكتب التاريخية التي تناولت البصرة والكوفة وكانت له الريادة في ذلك^(٣). وقد عاصره إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي (ت ٢٨٣هـ) وقد كتب ((فضل الكوفة ومن نزلها من الصحابة))^(٤)، وقد صدرت عن الكوفة كتب لأعلام عاشوا في أواسط وأواخر القرن الثالث الهجري

(١) روزثال: علم التاريخ عند المسلمين ص ٢٠٦.

(٢) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب ص ١٠٦.

(٣) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٣/٢٥.

(٤) النجاشي: الرجال ص ١٤.

وابن فضال علي بن الحسن بن علي، ومحمد بن علي بن فضل، وابن مجالد،
ومحمد بن بكران^(١).

وأخذت الدراسات التاريخية عن الكوفة في الاتساع منذ القرن الرابع
الهجري/العاشر الميلادي، فقد كتب سعد بن عبد الله الاشعري (ت٤٣٠هـ) كتاباً
في فضل الكوفة، وكتب بنفس الموضوع ابن عقدة احمد بن محمد بن سعيد
(ت٤٣٣هـ)، وكتب جعفر بن الحسين (ت٤٤٠هـ) كتاب ((فضل الكوفة
ومساجدها)) وكتب الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي (ت٤٨١هـ) كتاب
((جوابات مسائل وردت من الكوفة)) وكتب أبو الحسين محمد بن جعفر المعروف
بابن النجار الكوفي (ت٤٤٢هـ) تاريخ الكوفة، وتناول العلوي الحسيني
(ت٤٤٥هـ)، وابن النجار البغدادي (ت٦٤٣هـ) كتاباً عن الكوفة^(٢). كما كتب
محمد بن جعفر المشهدى الحائري ((فضل الكوفة ومساجدها)) وتأخذ قائمة
التأليف عن الكوفة في الازدياد وفق العصور التالية للعصر العباسى، حتى القرن
الحادي عشر الهجرى فقد كتب الحر العاملى محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ) كتاباً في
الكوفة وما فيها من الآثار. وأخذ المؤرخون بدراسة جانب معين من الكوفة في
حين تصدى الآخرون إلى دراستها من جميع الجوانب، وفي تاريخنا الحديث
المعاصر كتب المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون ((خطط الكوفة وشرح
خربيتها)) والدكتور كاظم الجنابي ((تخطيط مدينة الكوفة)) والدكتور مهدي
المخزومي ((مدرسة الكوفة)) والدكتور يوسف خليف ((حياة الشعر في الكوفة
حتى منتصف القرن الثاني الهجرى)) والدكتور محمد حسين الزبيدي ((الحياة
الاجتماعية في الكوفة في القرن الأول الهجرى)) والسيد كامل سلمان الجبورى
((مساجد الكوفة)) و((تاريخ الكوفة الحديث)) والسيد محمد سعيد الطريحي
((الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها)) والسيد عبد الرزاق طعمة
الковي ((تاريخ مسجد الكوفة والمرقد المجاورة)). إلى جانب هؤلاء المؤلفين هناك

(١) شاكر مصطفى: المدن في الإسلام حتى عصر العثماني ٤٠١/١.

(٢) ن. م.

من كتب عن الكوفة كتباً وبحوثاً ودراسات، وإن مؤرخنا السيد حسين البراقى النجفي، واحد من الأعلام الذين تصدوا لمدينة الكوفة في كتابه ((تاریخ الكوفة)) الذي يعد مرجعاً مهماً لا يستغني عنه من أراد الحديث عن الكوفة في مجال التاريخ أو الآثار أو اللغة أو الأدب وغير ذلك من العلوم والمعارف.

البراقى مؤلف ((تاریخ الكوفة)):

ولد السيد حسين (حسون) بن السيد احمد بن السيد حسين المعروف بالبراقى في مدينة النجف الأشرف عام ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥ مـ، ونسب إلى طرف - البراق - أحد أطراف النجف الأربعـة داخل السور - وقد أفادته هذه المهنة في اتساع معارفه، فقد كان على جانب لا يستهان به من قوة الحافظة، وجودة الذكر، وحضور البال، وكثرة التتبع والاستقراء^(١). يقول السيد الأمين: ((رأيته بالنجف الأشرف، وكان له ولع شديد بتدوين التاريخ والبحث والتقييـب عن الأخبار والحوادث، وكان اجتماعيـ به في الصحن الشريف أيام إقامتي بالنـجف لطلب العلم))^(٢). وقد حصل على شيء من الفقه والأصول إضافة إلى اهتماماته بالتاريخ والرجال والأنساب، وقد طغت المادة التاريخية على ثقافاته الأخرى، يقول الشيخ محمد رضا الشبيبي:

ما زلت تلهـج بالتـاريخ نكتـبه حتى رأـيـناك بالـتاريخ مكتـوباـ فقد وضع السيد حسين البراقى لبعض البلدان خططاً اثبتـ فيها الأحداث التي أدرـكـها وقرـأـها واستـخرـجـها من أمـهـات المصـادر الـقيـمة^(٣). وقد أعـطـى لمـديـنة النـجـف الاـشـرف وضـواـحيـها مـسـاحـةـ كبيرةـ فيـ مؤـلـفـاتـهـ حتـىـ أـصـبـحـتـ مـرـجـعاـ للـبـاحـثـينـ. يقولـ الشـيخـ الكـوـفيـ (تـ ١٣٥٢ـ هـ): إنـ السـيدـ حـسـنـ البرـاقـيـ ذـكـرـ تـفـاصـيلـ

(١) الشـبيـبيـ: مـقـدـمةـ كـتـابـ ((تـارـيـخـ الكـوـفةـ)) لـالـبرـاقـيـ صـ ٥ـ.

(٢) الأمـينـ: أـعـيـانـ الشـيـعـةـ ٤٢ـ ٢٥ـ.

(٣) الأمـينـ: مـعـجمـ رـجـالـ الـفـكـرـ وـالـأـدـبـ فـيـ الـنجـفـ صـ ٦٢ـ ٦٣ـ.

عن قناة آل زرارة بن أعين^(١). وهي أولى المحاولات لإيصال الماء إلى مدينة النجف، قد استقى منه نصوصاً عن ((كري سعدة)) و((كري الشيخ)) و((قناة أسد الله))^(٢).

وكان السيد البراقى منذ نعومة أظفاره قد مال إلى البحث والعلم، مبيناً جميع أفراد أسرته في ذلك، وأولع بالتاريخ خاصة، كأنما جبل على استقراء الحوادث، وتتبع الأحداث، فجلس إلى العلماء واختلف إلى أندية المعمرين من أهل العلم والخبرة، واستفاد مما يدور على ألسنتهم غير ما كان يتقدم إلى السؤال عن نفسه، وقد نشأ واعياً جيد الانتباه، فكانت تسترعى التفاتاته كل واقعة تقع حوله فيبادر إلى تدوينها، وهي على طرف التمام منه سوى ما كان ينتهي إليه من جوانب أخبار البلاد النائية، فكان يعيد أكثر ذلك ويحصيه حتى لا يفوته منه شيء^(٣). حتى انه ضرب بعلمي الأنساب والرجال باعاً طويلاً، ووصف بالمؤرخ النسابة^(٤). وقد أشار الشيخ الشيبى إلى ذلك بقوله: وقد أفادته الورقة والاستساخ فائدة مزدوجة، وذلك انه استنفض جميع ما ورقه من الكتب بالمطالعة، فاتسعت مادته التاريخية من هذه الناحية، أضف إلى ذلك وقوفه في دور الكتب على كثير من الأمهات المطبوعة والمخطوطية، فعكف على مطالعتها بجدافيرها حتى استخرج حقائق تاريخية كثيرة مما لا مظنة للتاريخ من كتب الفقه والحديث والرجال، فدل على عظم اجتهاده ومضاء عزيمته، كما تنسى له التطاويف في رقعة عريضة من سواد العراق، فشاهد طائفه من المعالم والإطلال العراقية القديمة حتى قرن العلم بالعمل فيها^(٥).

(١) الكوفي: نزهة الغري في تاريخ النجف ص ٤.

(٢) ن. م ص ٦٧.

(٣) الشيبى: مقدمة كتاب ((تاریخ الكوفة)) ص ٤.

(٤) كمونة: منية الراغبين ص ٤٩٧.

(٥) الشيبى: مقدمة كتاب ((تاریخ الكوفة)) ص ٤.

وقد عرف السيد البراقى بحبه الشديد لجمع الكتب والمصادر، ولم يمنعه ضعفه المادى إلى اقتنائها، فعمد إلى الاستنساخ ما يحتاجه منها حتى أنشأ مكتبة حوت الكبير من الآثار المهمة النادرة، ولكنها بيعت بعد وفاته، يقول السيد الأمين: ((حملت مؤلفاته في جملة كتبه لينادى عليها فتبعاً فداخلنا لذلك الغم شيء عظيم لعلمنا بما ستصير إليه حالها إذا احتوى عليها متاحلاً الآثار وما أكثرهم في هذه الديار))^(١). وقد كانت مؤلفاته تربو على ثمانين كتاباً، وقد أزاح في بعضها الستار عن حقيقة كثير من القبور والمزارات المنتشرة في قرى السواد المنسوبة إلى أولاد الأئمة عليهما السلام، وكذلك في الشام والحجاج، وبين إن الأصل في معظمها من عمل المرتزقة الذين يستغلون جهل العامة من الناس^(٢). ولم يطبع من مؤلفات السيد البراقى إلا القليل، وأصبح الكثير منها في عداد المفقودات، وأشار الشيخ الشيبى إلى جوانب الضعف في بعض هذه المؤلفات بقوله: ((وقد كان ضعيف الفطن في اللغة العربية، زهيد البضاعة في الإنشاء والترسل، فلا مطعم لعشاق البلاغة والفصاحة في شيء من آثاره. لأن لغته في أكثرها نمط وسط بين لغة العامة والفصحاء، وفي آثاره أيضاً كثيراً من الحشو الذي لا يوافقه عليه ذوق العقول النيرة في هذا العصر، وفيها أيضاً ما فيها من الخطأ في الاجتهادات والاستنتاجات التاريخية))^(٣). وقد لاحظت عند تحقيقى لكتابه ((الدرة المضية في ذكر الحنانة والثوية)) هذه الملاحظات بوضوح^(٤). ومع كل هذا فإن كتب السيد البراقى تعد مصدراً للدارسي التاريخ والآثار والأنساب والرجال، فقد استخرج مادته من

(١) الأمين: أعيان الشيعة ٤٦/٢٥.

(٢) الأمين: أعيان الشيعة ٤٦/٢٥.

(٣) الشيبى: مقدمة كتاب ((تاريخ الكوفة)) ص ٥، ٦.

(٤) الحكيم: تحقيق كتاب ((الدرة المضية في ذكر الحنانة والثوية، للسيد البراقى، خطوط)).

بطون المصادر والآثار، ونقب عنها بين الجنادل والأحجار^(١)، وأن مؤلفاته التي وقف عليها الباحثون هي على النحو الآتي^(٢):

- ١- أكبر المقال في مشاهير الرجال، وقيل اسمه ((أكسير الرجال)).
- ٢- إرشاد الأمة في جواز نقل الأموات إلى مشاهد الأئمة.
- ٣- البقعة البهية في مختصر تاريخ الكوفة الزكية، وقيل اسمه ((البقاء البهية في مختصر في ما ورد في مبدأ الكوفة الزكية)).
- ٤- برراقيه السيرة في تحديد الحيرة.
- ٥- بهجة المؤمنين في أحوال الأولين والآخرين، ويقع في أربعة مجلدات.
- ٦- تاريخ النجف. وقيل اسمه: ((اليتيمة الغروية في الأرض المباركة الزكية)) وقيل اسمه أيضا ((الدرة الغروية والتحفة النجفية)) يقول الشيخ الشيببي: ((وفيه مادة ممتعة في تاريخ مدينة النجف لا توجد في غيره من الكتب))^(٣).
- ٧- تاريخ الحيرة.
- ٨- التاريخ المجدول، يبتدئ من الهجرة النبوية إلى عام تأليف الكتاب سنة ١٣١٣هـ، وهو وفق نظام الحوليات، ويظن انه كتاب ((بهجة المؤمن في أحوال الأولين والآخرين)).
- ٩- تعريب الباب الثالث من كتاب ((تاريخ قم)) للحسن بن علي القمي.
- ١٠- ترجمة الشيخ المقيد (ت ٤١٣هـ) أو رسالة في تاريخ الشيخ المقيد.

(١) الشيببي: (شذرات من مذكرات العالمة الفقید محمد رضا الشیبی) مجلہ البلاغ. العدد الثامن السنة الرابعة ١٣٩٣هـ، ص ١٩٧٣.

(٢) الطهراني: الذريعة ٧٨/٢، ١٣٨، ١٥١، ١٦٤، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٦/٤، ٢١٢، ١٦٦، ١٢٤/٥، ٢٩٣، الأمين: معجم رجال الفكر والأدب في النجف ص ٦٢ - ص ٦٣، الزركلي: الأعلام ٢٥١/٢، كحالة: معجم المؤلفين ٣٠٩/٣، الأمين: أعيان الشيعة ٤٤/٢٥ - ٤٦، كورکيس عواد: معجم المؤلفين العراقيين ٣٣٦/١، الورد: أعلام العراق ٢٧٥/١، عماد عبد السلام: التاريخ والمؤرخون ص ٢٦٦، ص ٢٦٩، العطية: تاريخ الديوانية ص ٣١٨.

(٣) الشيببي: مقدمة كتاب ((تاريخ الكوفة)) ص ٨.

- ١١- تاريخ الكوفة، وقيل اسمه ((عقود المؤلو والمرجان في تحديد أرض كوفان ومن سكن فيها من القبائل والعربان)).
- ١٢- تعليقية على كتاب ((بحر الأنساب المشجرة)) كتبه عام ١٣٢١هـ.
- ١٣- تغيير الأحكام في أول من عبد الأصنام، وقيل اسمه ((تغيير الأحكام فيمن عبد الأصنام)).
- ١٤- ((الجوهرة الشعشعانية والثمرة الجنية في فضل كربلاء الغاضرية ومن حل فيها من الذرية)).
- ١٥- جلاء العين في الأوقات المخصوصة بزيارة الحسين.
- ١٦- الحسرات الكامنة للزفرات في عدد الهواشم الذين أصيروا في الغاضريات.
- ١٧- الدرة البهية في تاريخ كربلاء والغاضرية، وقيل اسمه ((الدرة البهية والروضة المضيئة في تاريخ الروضة الحسينية المسماة بكرباء الغاضرية ونينوى وعمورية والحراء الجليلة)).
- ١٨- الدرة المضيئة في ذكر الحنانة والثوية، وقيل اسمه ((تاريخ مسجد الحنانة)) أو ((الحنانة والثوية)) فرغ منه عام ١٣٢٥هـ وعندى نسخة مصورة منه وقد قمت بتحقيقه ونشره.
- ١٩- رسالة في تعين مراقد آل الرسول ﷺ.
- ٢٠- رسالة في السهو والنسيان، وهل اثبنا للنبي ﷺ.
- ٢١- رجال السيد حسين البراقى.
- ٢٢- السيرة البراقية على النفحۃ العنبریة، وقيل اسمه ((السیرة البراقیة في رد صاحب التحفة العنبریة)).
- ٢٣- السر المكتون في وقت الغائب المصنون.
- ٢٤- الشجرة في الأنساب.
- ٢٥- العقیان فيما جرى في السنین من طوارق الزمان.

- ٢٦- قلائد الدر والمرجان فيما جرى في السنين من طوارق الحدثان، وهو مرتب على السنين، كتبه في ١٤ رمضان ١٣٧٠هـ^(١).
- ٢٧- قرة العين فيما عمر قبر أبي الحسين، وقد جاء هذا الكتاب ذيل على كتاب ((التحفة النجفية واليتيمة الغروية)).
- ٢٨- كشف النقاب في فضل أنساب الإنجاب، وقيل اسمه ((كشف النقاب في فضل السادة الإنجاب)).
- ٢٩- كتاب بني أمية في تواريχهم وأحوالهم.
- ٣٠- كتاب قريش وأحوالهم
- ٣١- كشف الأستار في أولاد خديجة من النبي المختار صلوات الله عليه وآله وسلامه فرغ منه في ١٧ ذي الحجة ١٣٢٥هـ.
- ٣٢- كتاب في التاريخ ينتهي إلى عام ١٣١٨هـ.
- ٣٣- الكشكوك.
- ٣٤- اللؤلؤ والمرجان، وهو مختصر كتاب ((البقة البهية)).
- ٣٥- لهب النيران في أحوال آل أبي سفيان.
- ٣٦- مختصر الحدائق الوردية في أئمة الزيدية.
- ٣٧- منتخب تاريخ قم فيما سكنتها من العلميين، كتبه عام ١٣١٧هـ.
- ٣٨- معرب المجلد الأول من كتاب ((المتنظم الناصري)) ينتهي إلى عام ٦٥٦هـ.
- ٣٩- مشاهير الرجال.
- ٤٠- معدن الشرف، وقيل اسمه ((منبع الشرف)) وهو من مشاهير علماء النجف.
- ٤١- مجموعة أخبار وتواريχ، فرغ منه في الثالث من ربيع الثاني ١٣١٣هـ.
- ٤٢- النخبة الجليلة في أحوال الوهابية.
- ٤٣- الهاوية في تاريخ أو أحوال يزيد بن معاوية.

(١) الطهراني: الذريعة ٥/٢٩٣.

وكتب السيد البراقى بخطه كتاباً، قد ألفها غيره في الرجال والأنساب وهي^(١):

- ١- تحفة الأزهار لابن شدقم.
- ٢- باب الألباب للشيخ أبي الحسن الفتوني العاملی النجفی (ت ١١٣٨ھ)
- ٣- بحر الأنساب، مؤلف مجهول، كتبه عام ١٣٢١ھ.

توفي السيد حسين البراقى في يوم الجمعة، العاشر من رجب ١٣٣٢ھ في قرية اللهيات، إحدى قرى الحيرة، ونقل جثمانه إلى مدينة النجف الاشرف ودفن في داره، وما زالت مقبرته قائمة في طرف البراق.

موارد كتاب ((تاریخ الكوفة)):

إن موارد السيد البراقى في كتابه ((تاریخ الكوفة)) كثيرة ومتعددة، سواء في المحوادث أو التراجم، وقد جمع مادته من مصنفات قديمة ومعتمدة في التاريخ والحديث والرجال واللغة والبلدان وغيرها، وقد حرص السيد البراقى على استيعاب اكبر قدر ممكن من المصادر والمراجع، وبخاصة عند تعدد الآراء حول بعض الأحداث، وكان يميل أحياناً إلى ترجيح إحدى الروايات على غيرها، فهو في معظم النصوص يكون ناقلاً حرفيًا، فيورد مواضع لم تكن كثيرة بقوله: ((قال البراقى))، ويمكن تقسيم موارد الكتاب بما يلي:

أولاً الموارد الدينية:

يأتي القرآن الكريم والستة النبوية الشريفة في مقدمة المصادر التي اعتمدتها السيد البراقى في كتابه ((تاریخ الكوفة)) وكان بحكم ثقافته الدينية المستمدّة من بیئة ((النجف الاشرف)) جعله يحسن الاقتباس من القرآن والحديث، لأنهما المصادران الأساسيان للتشريع الإسلامي، وكان قد اعتمد على تفسير العياشي في

(١) الطهراني: الذريعة ٣١/٣، محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٤٨/٣، مجلة لغة العرب، الجزء الخامس لسنة ١٩٢٨م.

كثير من الموضع، ومن أجل توثيق رواية العياشي في التفسير يصاحبها بروايات من كتاب ((بحار الأنوار)) للعلامة المجلسي^(١). أما الأحاديث النبوية الشريفة، فكان يوردها مرة مسندة، ومرة مرسلة، وكذلك الحال في أقوال الأئمة من آل البيت عليهما السلام، ويشير أحياناً إلى وجودها مرسلة في بعض الكتب^(٢). وعندما يجد الإسناد طويلاً، فإنه يعمد إلى حذفه ويكتفي برفعه إلى أحد الصحابة أو التابعين، ويقوم أحياناً بشرح الأحاديث وتفسيرها^(٣). ويورد أكثر من رواية إذا كان هناك اختلاف في المتن أو السند بقوله: ((إنما كررنا ذكر بعض الأحاديث لاختلاف المتن فيها، ولكن كلها واردة في كتب الأخبار))^(٤). ويعتمد أحياناً على الرواية المشهورة والرواية المأثورة، وإذا كانت هناك زيادات في الرواية وأشار إليها^(٥). وقد اعتمد على عدد كبير من كتب الأحاديث المعتمد منها: كتاب ((الكافي)) للشيخ الكليني، وكتب الشيخ الصدوق وهي ((من لا يحضره الفقيه، إكمال الدين، الخصال، ثواب الأعمال، مدينة العاجز، معاني الأخبار، علل الشرائع)). وقال هذه الكتب ((وقد اغترفنا غرفة منها وفيها الكفاية))^(٦). وقد استقى من كتابي الشيخ الطوسي ((تهذيب الأحكام، الغيبة)) بعض النصوص، ولكنه قد أثار النقل عن كتاب ((بحار الأنوار - للمجلسي)), فكان يشير إلى الجزء والفصل منه في كثير من الأحيان، أو يقابلها مع رواية الحرج العاملية في كتاب ((وسائل الشيعة)) أو رواية السيد ابن طاووس في كتاب ((فرحة الغري))^(٧). ولم تفته الهوامش التي كان قد دونها عبد الله أفندي على نسخة من كتاب ((بحار

(١) البراقى: تاريخ الكوفة ص ٣٢.

(٢) ن. م ص ٣١.

(٣) ن. م ص ٩.

(٤) ن. م ص ٢١.

(٥) ن. م ص ١١. ص ٥١.

(٦) البراقى: تاريخ الكوفة ص ٨.

(٧) ن. م ص ٣٢.

الأنوار) بصفته أحد تلاميذ العلامة المجلسي^(١). وهذا له دلالة على اعتماد هذه النسخة لأهميتها وسلامتها، وقد تعود إلى عهد المؤلف أو تلميذه.

وقد استقى السيد البراقى نصوصاً قليلة في الحديث عن ابن الأثير في كتاب ((نهاية الحديث)) وابن قولويه في كتاب ((كامل الزيارات)) والشبلنجي في كتاب ((نور الأ بصار)) وابن حجر في كتاب ((الصواعق المحرقة)), والنبهانى في كتاب ((الشرف المؤيد)) والديلمى في كتاب ((الإرشاد)) والبرقى في كتاب ((المحسن)) وابن طاووس في كتاب ((الإقبال)) ومحمد بن الحسن الصفار في كتاب ((بصائر الدرجات)).

أما المصادر الفقهية فكانت قليلة في كتاب ((تاریخ الكوفة)) ولم يستق السيد البراقى نصوصاً إلا عن كتابين فقهيين هما: ((كتاب المقنعة)) للشيخ المفید، و((كتاب المختلف)) للعلامة الحلى، ولعل السبب يعود إلى ابعاد الكتاب عن المادة الفقهية والأصولية، وكان قد استقى من كتاب ((المصباح)) للشيخ الطوسي بعض النصوص في الأدعية المأثورة عن آل البيت عليهم السلام. أما المزارات التي كانت تشغل جانباً من الكتاب فإنه قد استقى نصوصها من الكتب التي تحمل اسم ((المزار)) وهي من تأليف عدد من الأعلام، كمزار ابن قولويه، ومصباح الزائر لابن طاووس، ومزار الشيخ التورى ومزار السيد عبد الله شبر، ومزار الشيخ خضر شلال وغيرها.

ثانياً: الموارد اللغوية والأدبية:

قدم السيد حسين البراقى تفسيرات لعدد من الكلمات اللغوية. وقد اعتمد في ذلك على كتب اللغة المعروفة كالقاموس المحيط، وтاج العروس، والمصباح المنير، ومجمع البحرين، وقد خصص فصلاً لنحاة الكوفة فأحصى خمسين منهم قد عاشوا في مدينة الكوفة، وثمانية وأربعين لغويًا، وتسعة وسبعين شاعرًا، وقد اعتمد

(١) ن. م ص ١٥، ص ٥٧.

في تراجم هذا العدد الكبير من الأعلام علي بن أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري في كتابه ((الشعر و الشعراء)) وأبي عبد الله محمد بن عمر المرزباني في كتابه ((معجم الشعراء)) وأبي القاسم الحسين بن بشر الامدي في كتابه ((المؤتلف والمختلف)) وأبي البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء الانباري في كتابه ((الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحوين البصريين والковيين)), وأبي البقاء العكيري عبد الله بن الحسين النحوي الضرير في كتابه ((التبين في مسائل الخلاف بين البصريين والkovيين)) وكان قد استقى نصوصاً من كتابي جلال الدين السيوطي ((الأشباه والنظائر)) و((بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة)), والقلقشندی في كتابه ((صبح الأعشى)) ولم نجد السيد البراقی في اقتباساته من هذه المصادر ناقداً أو معقباً، بل كان في جميعها ناقلاً.

ثالثاً: الموارد التاريخية والرجالية:

استقى السيد البراقی من مصادر التاريخ والرجال والتراجم معظم مادته في ((تاريخ الكوفة)). وقد تكرر ذكر الطبری، وابن الأثیر، وابن سعد والسعودی وأبو الفرج الأصفهانی، فكان البراقی ناقلاً حرفاً من هذه المصادر، فيشير إلى الجزء والصفحة، وأحياناً إلى الطبعة، ومرة يكون موازناً بين الروایات التاريخية، ففي حركة ابن طباطبا العلوی، وأبی السرایا في عامی ۱۹۹، ۲۰۰هـ، اقتبس النصوص من كتاب ((الکامل في التاریخ)) لابن الأثیر، ثم قارن نصوصه مع كتاب ((التاریخ)) للطبری، وكتاب ((مقاتل الطالبین)) لأبی الفرج الأصفهانی فيقول: ((أما ابن جریر الطبری في تاریخه، الجزء الأول، وأبی الفرج الأصفهانی في مقاتل الطالبین، فأنهمما يرويان الحادثة بوجه آخر مختلف مع ما ذكرناه اختلافاً يسيراً)).^(۱) وفي حوادث القرامطة في الكوفة عام ۲۷۸هـ قد اعتمد على ابن الأثیر

(۱) البراقی: تاريخ الكوفة ص ۳۵۸.

ثم قارن نصوصه مع كتاب ((تلبيس إبليس)) لابن الجوزي فيقول: ((وَقَرِيبٌ مِّنْهُ
مَا أَورَدَهُ ابْنُ الْجُوزِيِّ فِي تَلْبِيسِ إِبْلِيسِ)).^(١)

ومن الملاحظ إن السيد البراقى قد اعتمد على ابن الأثير أكثر من غيره من المؤرخين، ومن بعده يأتي الطبرى وابن سعد في ((الطبقات الكبرى)), واستفاد من كتب ابن قتيبة ((الإمامية والسياسة، المعرف، عيون الأخبار)) نصوصاً قليلة، فضلاً عن ابن خلدون في كتابه ((التاريخ)) وأبى الفرج الأصفهانى في كتابه ((الأغانى)), واليعقوبى في كتابه ((البلدان)) والمسعودى في كتابيه ((مروج الذهب، التبيه والأشراف)) وابن الجوزى في كتابه ((المنتظم)), فإنه رجع إلى أجزاء المخطوطة وذلك في أحداث العصر الأموي، كما انه استقى نصوصاً من كتاب ((شرح نهج البلاغة)) لابن أبي الحميد وكتاب ((تاريخ الخميس)) للديار بكري، وكتاب ((كشف الغمة)) لسبط ابن الجوزى وكتاب ((الفتوح)) لابن اعثم الكوفى، وكتاب ((حياة الحيوان)) للدميرى، وكتاب ((الخطط)) للمقرىزى وغيرها.

وقدم لنا السيد البراقى إضافة إلى المادة التاريخية إحصائيات مهمة فأورد أسماء سبعين ولياً، حكم في الكوفة من أول تصريحها حتى آخر العهد العباسي، وبيدو أن هذا الرقم لم يكن قطعياً، وربما فاتته أسماء أخرى من الولادة، وأشار إلى ذلك بقوله: ((هذا ما وقفنا عليه من أسماء الولادة في الكوفة حسب المجهد والطاقة ولعله قد فاتنا الكثير مما لم تصل إليه يد التتبع والفحص)).^(٢). وأورد من الصحابة الذين نزلوا الكوفة، مائة وسبعة وأربعين صحابياً، وأشار إلى روایاتهم عن النبي ﷺ .

وفي حديث السيد البراقى عن الأسر العلمية في الكوفة، فإنه حدد إحدى وعشرين أسرة استقى نصوصها من كتب التراجم والرجال والطبقات، ومن

(١) ن. م ص ٣٦٩.

(٢) البراقى: تاريخ الكوفة ص ٢٣٤.

البيوت الطالبية والعلوية ذكر سبعين بيتاً، تولى بعض أبنائها النقابة العلوية أو نقابة الأشراف في الكوفة والنجف، وقد استقى نصوصها من كتب الأنساب المعروفة منها كتاب ((أمثال المشجر)) للنجفي النسابة، وكتاب ((عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب)) لابن عنبة الداودي.

وخصص السيد البراقى لأحداث الكوفة السياسية مساحة كبيرة من الكتاب تحت عنوان ((فتن الكوفة وحوادثها)) فأشار إلى تسع وعشرين حادثة بدءاً من العصر الراشدي، وانتهاءً بالعصر العباسي، وكان آخرها أحداث عام ٤٨٥هـ، وقد ختم هذه الحوادث بالقول: ((وهذه أهم الحوادث التي وصلت إلينا بالتتابع والاستقراء قدر الجهد والطاقة معتمدين في نقلها على أهم المصادر الوثيقة، ولعله قد فاتنا البعض مما لم نهتد إليه، فإن أصبنا الهدف، فذلك غاية ما كنا نتمناه، وإن فاتنا ذلك فانه عن قصور وقصر باع وفوق كل ذي علم عليم)).^(١) وكان قد اعتمد على ابن سعد في كتابه ((الطبقات الكبرى)) في ذكر الصحابة الذين نزلوا الكوفة بقوله: ((وإليك فيما يلي مختصر من تراجم الصحابة معتمدين في ذكرها على أوثق المصادر وجل اعتمادنا على طبقات ابن سعد)).^(٢) وكانت اجتهادات السيد البراقى في قبول النص التاريخي أو رفضه قليلة، سوى بعض الإشارات التي توحى إلى رفضه للنص منها ((لا حجة في ذلك)) أو ((لا يبعد أن يكون)).^(٣)

أما موارد السيد البراقى الرجالية فهي كثيرة ترد أحياناً في أثناء النصوص التاريخية أو عند ذكره للرجال، فهو إذا اختصر بعض التراجم فإنه يحيل تفصيلاتها على كتب أخرى. وكان كتاب ((السيرة النبوية)) لابن هشام، في مقدمة مصادره، وتأتي بعده كتب الرجال الأخرى كرجال الكشي، ورجال الطوسي، وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، وكتاب الثقة لابن حبان، وكتاب تهذيب الكمال للزمي، وكتاب عمدة الطالب لابن عنبة، وكتاب الإصابة لابن حجر وغيرها.

(١) البراقى: تاريخ الكوفة ص ٣٧٧.

(٢) ن. م ص ٤٤ وص ٥٨.

(٣) ن. م ص ٦٥.

واعتمد على كتب ((الامالي)) التي تجمع بين التاريخ والرجال والحديث كأمالى الشيخ الصدوق وأمالى الشيخ المفيد، وأمالى الشيخ الطوسي، وكان يطلق عليها أحياناً اسم ((المجلس)) وقد يوازن في بعض النصوص بين أكثر من كتب الامالي^(١).

رابعاً: الموارد الجغرافية والبلدانية:

تتبع السيد البراقى كتابات الرحالة العرب والمسلمين الذين زاروا مدينة الكوفة. وقد أشاد بابن بطوطة بقوله ((وهو من أعاظم العلماء الخبيرين))^(٢). وكان ينقل أحياناً من كتاب ((معجم البلدان)) لياقوت الحموي، وكتاب ((مراصد الاطلائع)) لابن عبد الحق البغدادي، وذلك من أجل توثيق النص، وأشار إلى ابن جبير في رحلته، والبلاذري في فتوح البلدان، والمسعودي في التنبيه والأشراف، واليعقوبي في كتاب البلدان، والاصطخري في المسالك والممالك، وابن الوردي في خريدة العجائب، وابن رسته في الاعلاق النفسية، وابن الفقيه في البلدان، وحمد الله المستوفي في نزهة القلوب، كما أنه أشار إلى ابن حوقل والقزويني، ولم يكتف السيد البراقى بما كتبه الجغرافيون والبلدانيون عن الكوفة، بل أخذ يقوم بجولات ميدانية، ويتبعد آثار الواقع ومجاري الأنهر، إذا كانت موجودة في أيامه، وهي تعرف بأسماء جديدة أشار إليها بقوله ((وتعرف اليوم))^(٣). وكان يحدد أبعادها بالأميال، ويضبط أسماءها، فهو عند حدثه عن كري سعدة يقول ((لقد تبعنا هذا الأثر مبتدئين من نهر السدير))^(٤). وكان يقف على قبور العلوين ويحدد مواضعها، ويشير إلى القبر المتفق عليه بقوله ((لا ريب إن قبره هو مشهده الآن)) ويكون جازماً بصورة قاطعة أحياناً فيقول ((وأقوى

(١) البراقى: تاريخ الكوفة ص ٢٧.

(٢) ن. م ص ١٦.

(٣) ن. م ص ١٣٣.

(٤) ن. م ص ١٣٣.

حجـة عـلـى مـا قـلـناـه))^(١). وـيـدـوـاـنـه أـخـذـ يـتـبـعـ مـا ذـكـرـهـ اـبـنـ بـطـوـطـةـ عـنـ الـكـوـفـةـ،ـ وـتـحـدـيـدـ خـطـطـهـ،ـ إـذـاـ لـمـ يـجـدـ ذـكـرـ ((إـنـ اـبـنـ بـطـوـطـةـ شـاهـدـ آـثـارـاـ كـثـيرـةـ،ـ وـفيـ زـمـانـاـنـاـ هـذـهـ لـيـسـ لـهـ عـيـنـ وـلـأـثـرـ))^(٢).

وبـعـدـ درـاسـتـيـ لـكتـابـ ((تـارـيـخـ الـكـوـفـةـ))ـ لـلـسـيـدـ الـبرـاقـيـ،ـ لمـ أـجـدـ حـسـبـ ماـ اـعـقـدـ -ـ منـ تـصـدـىـ لـتـارـيـخـ الـكـوـفـةـ قـبـلـ السـيـدـ الـبرـاقـيـ،ـ سـوـىـ بـعـضـ الـبـحـوثـ وـالـدـرـاسـاتـ أـوـ الـكـتـابـاتـ الـتـيـ تـنـاوـلـتـ جـانـبـاـ مـنـ تـارـيـخـ الـكـوـفـةـ،ـ فـقـدـ اـسـتـوـعـبـ السـيـدـ الـبرـاقـيـ الـمـصـادـرـ الـأـوـلـيـةـ الـأـصـلـيـةـ مـنـ تـارـيـخـيـةـ وـلـغـوـيـةـ وـبـلـدـانـيـةـ وـغـيـرـهـ،ـ حتـىـ انهـ لـمـ يـكـتـفـ بـالـرـجـوعـ إـلـىـ اـحـدـ الـمـصـادـرـ مـاـ لـمـ يـجـدـ مـاـ يـقـابـلـ ذـكـرـ النـصـ فيـ الـمـصـادـرـ الـأـخـرـىـ،ـ وـقـدـ تـأـكـدـ بـنـفـسـهـ مـنـ حـقـيـقـةـ الـخـطـطـ وـالـمـوـاـقـعـ مـيـدـانـيـاـ فـقـدـ جـابـ الـمـنـطـقـةـ بـاجـمـعـهـاـ،ـ مـتـبـعـاـ الـآـثـارـ وـالـمـوـاـقـعـ،ـ وـمـسـتـفـسـرـاـ مـنـ هـذـاـ وـذـاكـ مـنـ اـجـلـ الـوـصـولـ إـلـىـ الـحـقـيـقـةـ،ـ وـكـانـ أـمـيـنـاـ فـيـ نـقـلـهـ مـنـ الـمـصـادـرـ الـتـيـ اـعـتـمـدـهـاـ،ـ دـقـيـقاـ فـيـ تـشـيـيـتـ الـنـصـوـصـ،ـ وـانـ كـانـتـ اـجـتـهـادـهـ وـتـحـلـيـلـاتـهـ مـحـدـودـةـ،ـ وـمـعـ هـذـاـ فـانـ كـتـابـ ((تـارـيـخـ الـكـوـفـةـ))ـ يـقـىـ مـصـدـرـاـ لـلـبـاحـثـيـنـ وـالـدـارـسـيـنـ لـاـ يـكـنـ تـجاـوزـهـ لـمـنـ أـرـادـ الـكـتـابـةـ عـنـ مـدـيـنـةـ الـكـوـفـةـ وـخـطـطـهـ.

(١) الـبرـاقـيـ:ـ تـارـيـخـ الـكـوـفـةـ صـ ٦٣ـ،ـ صـ ٦٤ـ.

(٢) نـ.ـ مـ صـ ١٧ـ.

الشیخ علی الباری الشاعر الذی أرخ مدينتی النجف والکوفة

ولد الشیخ علی بن الشیخ حسین الباری فی مدینة النجف الاشرف عام ۱۳۱۵ھ/۱۸۸۸م ونشا بھا وتتلمذ علی أعلامھا كالسید باقر القزوینی، والشیخ عبد الامیر الفلوجی، والسید هاشم الخطیب، وفي عام ۱۳۲۲ھ/۱۹۰۴م سکن مدینة الكوفة وأخذ يمارس الخطابة، واتصل بالشعراء من أمثال الحاج زایر والشیخ عبود غفلة والسید مرزا الحلی وکانت له مطاراتات شعریة مع الأدباء والشعراء فی عصره واشتهر بأدب التاریخ، فأرخ لأحداث النجف والکوفة وأحوالهما الفکریة والاقتصادیة والاجتماعیة، وانشد لثورة العشرين المجيدة حتى أطلق علیه لفظ (شاعر الثورة) فیقول:

وأید (النجف) الأعلی ونهضته و(کوفة) الجند قاصیها ودانیها

وقال أيضا:

قد أزہرت (کوفان) وارتاح (النجف) بقدم الشهم الهمام ذی الشرف وأرخ الشیخ علی الباری، ثورة النجف عام ۱۹۱۸م ضد الانگلیز، ومقتل حاکمها الكابتن مارشال وحصار سلطات الاحتلال البريطانی لمدینة النجف بقوله:

ثار (الغیری) مذ علی أبنائے الجور علا
ومرجل البغي بـ بنـار (سکـون) غـلا
اهـاجـهـ حفاظـهـ وموـتـهـ لـهـ حـلا
أبـى بـأنـ تـحـکـمـهـ دونـ ذـوـيـهـ الدـخـلـا
لـذـلـکـمـ أـصـبـیـبـ مـنـ أـرـخـ (حـ صـارـ وـ غـ لـا)
وأراد أن يقدم صورة لتاریخ مدینة النجف العلمی ومکاناتها فی العالم الإسلامی، وذلك بقوله:
إن رمت تعرف ما النجف فسل الخبر ولا تخـفـ

ناهيك عن بلد حوى
 بلد تضمن من بني دنيا
 سل بعد هذا ماتشا
 وقد تأثر الشيخ علي البازي بأدب التاريخ بالحاج مجید العطار الحلبي في
 مدينة الكوفة، وأصبح له في هذا الفن الشعري باع طویل، ومنه في تاريخ الانقلاب
 العثماني وإعلان الدستور عام ١٩٠٨هـ/١٣٢٦ قوله:
 قد نقم الشعب على نظامه
 ذاك الذي (عبد الحميد) نظمه
 وشعبه على انقلاب حكمه
 ثار عليه أرخوا (فارغمه)
 وكانت ندوة ((ماء الكوفة)) من الندوات الطريفة شارك فيها الشيخ علي
 البازي والشيخ محمد علي اليعقوبي والسيد محمود الحبوي والشيخ عبد الغني
 الخضري والشيخ محمد الخليلي والأستاذ عبد الأمير الشرقي وقد طالب الشيخ
 علي البازي من قائممقام النجف السيد حسن الجواد مد أنابيب الإسالة لتصفية
 ماء الكوفة بقوله:

أخي مثل عصر النور نحيى بظلمة
 على النهر من شط الفرات بيوتنا
 أناييه جاءت ولكن مدها
 فأنجز لنا مشروعنا وأربح الثنا
 ومثلك فيما يملئ النهی والأمرا
 وأکبادنا ما نکابده حری
 نحاذر من تأجیله مرة أخرى
 فقد ما بکم تمت لنا النعمة الكبرى
 وتقدم بعده الشيخ محمد علي اليعقوبي فارتجل على سهل المفاکحة بیتین من
 الشعر، طالب فيما إغفال طلب الشيخ علي البازي بقوله:
 لا تعر أهل کوفة الجنـد سـمعـاً
 ودع القـوم يهـلكـون ضـمـاءـاـ
 كيف تسـقـي يـا بنـ الجـوـادـ اـنـاسـاـ
 منـعوا جـدـكـ الحـسـينـ المـاءـاـ
 وقد تبارى الشـعـراءـ في تـشـطـيرـ هـذـيـنـ الـبـيـتـيـنـ، تـحـولـ مجلـسـ القـائـمـقـامـ إـلـىـ
 جـلـسـةـ أـدـيـةـ خـتـمـهاـ الشـيـخـ مـحمدـ عـلـيـ اليـعقوـبـيـ بـقولـهـ:
 لا تـعرـ أـهـلـ کـوـفـةـ الجنـدـ سـمعـاـ
 بلـ أـعـرـهـمـ قـلـبـاـ يـعـيـ إـصـغاـءـاـ

وَاجْتَبَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ اجْتِنَبَهُمْ
وَدَعَ الْقَوْمَ يَهْلَكُونَ ضَمَاءِ
كَيْفَ تَسْقِي يَا بْنَ الْجَوَادِ أَنَّاسًا
غَيْرَهُمْ لَيْسُ يَعْرِفُونَ الْوَفَاءِ
وَهُمْ لَوْ عَلِمْتُ لَيْسُوا بِقَوْمٍ
مَنْعَوْا جَدَّاً الْحَسِينَ الْمَاءِ
وَقَدْ كَشَفَتْ هَذِهِ النَّدْوَةُ الْأَدِيَّةُ عَنْ حَضُورِ النَّكْتَةِ وَالطَّرِيقَةِ وَسُرْعَةِ الْجَوَابِ
وَالْقَابِلِيَّةِ الشَّعْرِيَّةِ. قَدْ قَدَّمَ الشَّيْخُ عَلِيُّ الْبَازِيِّ أَدْبَرَ التَّارِيخِ وَدِيْوَانَ الشَّعْرِ بِالْلُّغَةِ
الْفَصْحَىِّ. وَدِيْوَانَ شِعْرِ بِالْلُّغَةِ الْعَامِيَّةِ، وَكِتَابَ ((وَسِيلَةُ الدَّارِيْنَ)) يَقْعُدُ فِي جَزَئَيْنِ،
وَقَدْ خَصَّصَ تَارِيْخَهُ الشَّعْرِيِّ لِمَدِيْنَتِي الْنَّجَفِ وَالْكُوفَةِ عَامَ ١٩٦٧ مَنْذَ أَنْ وَدَعَ
الْحَيَاةَ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَرَحْمَهُ اللَّهُ وَأَسْكَنَهُ الْفَسِيْحَ مِنْ جَنْتَهُ.

القراطمة

في حاضرة الكوفة

القراطمة في حاضرة الكوفة

لعب القراطمة في مدينة الكوفة خلال القرن الرابع الهجري الموافق للقرن العاشر الميلادي، دوراً بارزاً على الصعيدين السياسي والاجتماعي، فأشار ابن النديم في كتاب (الفهرست) والمسعودي في كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) إلى الفكر القرمطي وانتشاره في أرض السواد، وتعرض قواقل الحاج إلى الأخطار، ومهاجمة الناس منذ عام ٩٢٤هـ / ٣١٢ م، فقد كانت القواقل تبدأ بالمسير من بغداد إلى الكوفة والنجف ومن ثم إلى الديار المقدسة، فذكر المؤرخ مسكونيه إلى هجوم القراطمة على قواقل الحاج، فاضطر الخليفة العباسى المقتدر بالله إلى المسير نحو الكوفة لمنع تقدم القراطمة عليها^(١)، وبقيت مدينة الكوفة وسواتها ساحة قتال بين أنصار القراطمة والجيش العباسى في الوقت الذي كان أبو طاهر القرمطي يكرر هجماته على الكوفة، وقد تمكن من احتلالها في عهد الخليفة العباسى المقتدر بالله، وهذا ما ألقى السلطة والمجتمع البغدادي، خوفاً من سيطرة القراطمة على بغداد، وفي عام ٣١٦هـ تقهقر القراطمة أمام الجيش العباسى في معركة حاسمة، ومني أبو طاهر القرمطي بخسائر فادحة، ومع هذا بقيت فلول القراطمة تهاجم المؤمن العراقية في أرض السواد، كما هاجم القراطمة مكة المكرمة عام ٣١٧هـ، وعاثوا في البيت الحرام فساداً، وفي العشرين من شعبان ٣١٩هـ / ٩٣١ م ، جدد القراطمة هجومهم على مدينة الكوفة، واستولوا على المنطقة الواقعة بين النجف والكوفة، وحدد المؤرخ الأصفهانى مدة بقاء القراطمة في الكوفة خمسة وعشرين يوماً، وقد تعرضت مخازن الخبوب إلى النهب^(٢) وما يلفت النظر أن السلطة العباسية لم تتصد للقراطمة رغم مناشدة الكوفيين فاضطر بعضهم للذهاب إلى بغداد ورفعوا المصاحف في شوارعها، وعند ذلك تعطلت الأسواق احتجاجاً على احتلال القراطمة لمدينة الكوفة كما أشار المؤرخ ابن الأثير في كتابه

(١) مسكونيه: تجارب الأمم ٥ / ١٢٠.

(٢) الأصفهانى: تاريخ سني ملوك الأرض والأئماء ص ١٥٨.

(الكامل في التاريخ) وعند عودة قوافل الحاج إلى مدينة بغداد سالمة، أظهر الناس فرّحهم وسرورهم، وقد استغل القائد العباسي مؤنس الخادم، تدهور الوضع السياسي في العراق فدبّر مؤامرة لخلع الخليفة الراهن بالله ولكن حركته باءت بالفشل^(١).

فاستغل القرامطة هذا الموقف فشنوا هجوماً على مدينة الكوفة عام ٣٢٣هـ، وتعقبوا قوافل الحاج، وعند ذلك تدخل إشراف العلوين في محاولة لوقف القرامطة عن مهاجمة قوافل الحاج، فاستجاب القرامطة لطلبهم، ويبدو إن هذه الاستجابة كانت مؤقتة، ففي عام ٣٢٥هـ، عاد القرامطة في هجومهم على الكوفة، مما كان من السلطة العباسية إلا التفاوض معهم، وقد مثلها أمير النساء ابن رائق، وعند ذلك غادر القرامطة مدينة الكوفة بعد حصولهم على مبلغ من المال، وبقيت الكوفة مهددة عسكرياً حتى بعد وفاة أبي طاهر القرمطي عام ٣٣٢هـ / ٩٤٣م.

فأعلن الناس فرّحهم واستبشرهم، ولكن في عام ٣٦٤هـ، عاد القرامطة إلى نشاطهم السياسي والعسكري، واستأنفوا حملاتهم العسكرية، فاقتحموا الكوفة، وفي إثناء تواجدهم فيها، توفي أبو يعقوب بن يوسف بن حسن الجناب، قائد القرامطة، فأغلقت أسواق الكوفة مدة ثلاثة أيام^(٢)، ومن المحتمل إن أنصار القرامطة في الكوفة أرغموا أصحاب الحوانين على إغلاق الأسواق وأشارت المصادر إلى إن فلول القرامطة قد وصلت إلى مدينة (الجامعين) وهي مدينة الحلة الحاضرة، ولكنهم تراجعوا عنها، وحاولوا إعادة هجومهم ولم يفلحوا، وعند ذلك دبّ الضعف في صفوفهم فغادروا العراق إلى قواعدهم في البحرين، وكان المؤرخون قد سلطوا الأضواء على تحركات القرامطة في العراق، وحددوا عشرين مؤرخاً لأن نصوصهم تكشف تحركاتهم بدقة، وتلقي الضوء على الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العراق وهم:

(١) مسکویہ: تجارب الأمم ٥ / ٢٦٢.

(٢) ابن الجوزي: المنظم ٧ / ٨٦.

- ١- الطبرى في كتابه (التاريخ).
- ٢- عرب بن سعد القرطبي في كتابه (صلة تاريخ الطبرى).
- ٣- الهمذانى في كتابه (ذيل تاريخ الطبرى).
- ٤- ابن النديم في كتابه (الفهرست).
- ٥- المسعودي في كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر).
- ٦- ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ).
- ٧- ابن خلkan في كتابه (وفيات الأعيان).
- ٨- أبو الفداء في كتابه (المختصر في إخبار البشر).
- ٩- ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية).
- ١٠- ابن خلدون في كتابه (المبتدأ والخبر).
- ١١- المقرizi في كتابه (المواعظ والاعتبار).
- ١٢- ابن تغري بردي في كتابه (النجوم الزاهرة).
- ١٣- مسکویہ في كتابه (تجارب الأمم).
- ١٤- الصابی في كتابه (تاریخ الوزراء).
- ١٥- ابن الجوزی في كتابه (المتنظم).
- ١٦- الجھشیاري في كتابه (الوزراء والكتاب).
- ١٧- ابن العماد في كتابه (شذرات الذهب).
- ١٨- ابن الوردي في كتابه (التاريخ).
- ١٩- الصولی في كتابه (إخبار الراضي).
- ٢٠- حمزه الأصفهاني في كتابه (تاریخ سنی ملوك الأرض والأنبياء).

وهناك مصادر أخرى قد يقف عندها الباحث في تاريخ القرامطة وهجماتهم المتكررة على الكوفة وسواها، وهناك مراجع حديثة توصل مؤلفوها إلى نتائج واستنتاجات، أضافت إلى الدراسات التاريخية نتائج جديدة.

فقهاء ومحدثون

كميل بن زياد النخعي وأضواه كاشفة على مروياته

تحدثنا عن قبيلة (مذحج) وابرز اعلامها، في موضع من كتابنا هذا، وأشارنا إلى الصحابي الجليل كميل بن زياد النخعي وان الحديث عنه يحتاج إلى وقفة طويلة، سواء في صولاته الميدانية الجهادية مع أمير المؤمنين (عليه السلام)، أم في مروياته وأحاديثه ودعائه المأثور، فقد جمع رحمه الله بين فروسيه الميدان، وعلمية الجامع، وقد أشار إلى سيرته المؤرخون والرجاليون والمحدثون، فيقول ابن كثير: ((وشهد مع علي صفين، وكان شجاعاً فاتكاً، وزاهداً عابداً))^(١). ويكشف لنا هذا النص عن ثنائية كميل النخعي التي جمعت بين السيف والعلم، وقد استمد هما من أستاذه أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان من مقدمي خواصه، وكبار شيعته، وموضع ثقته، فولاه أمير المؤمنين (عليه السلام) ولاية هيئت للدلالة على مكانته العالية، وإخلاصه العميق للرسالة والإسلام، وأشار علماء الحديث والرجال من أمثال: ابن سعد في كتابه (الطبقات الكبرى) والمرizi في كتابه (تهذيب الكمال) وابن أبي حاتم الرازي في كتابه (الجرح والتعديل) وابن عساكر في كتابه (تاريخ دمشق) والذهبي في كتابه (تاريخ الإسلام) وابن حجر في كتابه (تهذيب التهذيب) وغيرهم إلى موقع الصحابي كميل بن زياد النخعي العلمي وأفاض علماء الإمامية في ترجمته وروياته في الحديث ومنهم: الشيخ الكليني في كتابه (الكافي) ولشيخ الصدوق في كتابيه (الخصال ومن لا يحضره الفقيه) والشيخ المفيد في كتابه (الاختصاص) والشيخ الطوسي في كتابه (التهذيب والاستبصار والرجال) والعماد الطبرى في كتابه (بشار المسطفى لشيعة المرتضى) وابن طاووس في كتابه (كشف المحجة) والشيخ الجلسي في كتابه (بحار الأنوار) وغيرهم من علماء الحديث والرجال والتاريخ واكذ علماء الإمامية على مروياته عن الإمام علي (عليه السلام) ووضعوه في طبقة الإمامين علي والحسن (عليهما السلام)، ويقول

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٥٧/٩.

السيد الخوئي: ((جلالة كمبل وختصاصه بأمير المؤمنين (عليه السلام) من الواضحت التي لا يدخلها ريب))^(١) وذكر ابن حجر: أن كمبل بن زياد ثقة، قليل الحديث وثقة ابن معين وجماعة، وانه من رؤساء الشيعة^(٢) وعلى الرغم من حصول كمبل على الوثاقة والصدق، فان بعض المحدثين وضعه في طبقة المحروجين بسبب ولائه لأمير المؤمنين (عليه السلام) فيقول ابن حبان: ((وكان كمبل من المفرطين في علي من يروي عنه المعضلات وفيه المعجزات، ومنكر الحديث جداً تتقى روایته ولا يحتاج به))^(٣) وان مثل هذه النصوص الشاذة والانفرادات بعيدة عن الحقيقة لا تقلل من توثيق كمبل، أو تسقط علومه، ولكن من الواجب على علماء الحديث والرجال ان يكونوا في غاية الموضوعية، والتجرد من العواطف والتعصب المذهبى.

والاحتفاظ بالأمانة العلمية، والحياد التام، وإذا كان كمبل النخعي قد تصدى لأخطاء السلطة الحاكمة وابتعاد ولاتها عن خط الإسلام، فليس معناه تطاولاً على الخلافة وولاتها النجباء، فقد كان بعضهم غير أمين على أموال بيت مال المسلمين، وأخرف آخرون عن جادة الصواب.

وكان الإمام أحمد بن حنبل قد أورد في مسنده أحاديث عن كمبل بن زياد النخعي عن الصحابة عبد الله بن عباس وأبي ذر الغفارى وأورد البخارى والنسائى أحاديث أخرى عن كمبل عن أبي هريرة وأشار كثير من المحدثين إلى الحديث المروي: ((أن هذه القلوب أوعية)) أخذها كمبل عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان قد اصطحبه الإمام (عليه السلام) إلى (ظهر الكوفة) وأخذ يحده ويوصيه فيقول كمبل: ((أخذ الإمام علي بن أبي طالب بيدي، فآخرجنى إلى ناحية الجبان، فلما أصرحنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كمبل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أو عاها أحفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة فعالمن رباني، ومتعلم على

(١) الخوئي: معجم رجال الحديث ١٥ / ١٣٢.

(٢) ابن حجر: الإصابة ٥ / ٤٨٦.

(٣) ابن حبان: المحروجين من المحدثين ٢ / ٢٢١.

سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يمليون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجهوا إلى ركن وثيق العلم خير من المال، والعلم يحرسك وأنت تحرس المال) وقد تضمن حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) نصائح وإرشادات في العلم والعقيدة والتربية والأيمان، وقد اجمع المحدثون على روایة الحديث المذكور وقد أوردوه مسنداً عن أبي حمزة الشمالي، وقد وثقه علماء الحديث والرجال، وقدم الشيخ النجاشي ترجمة وافية عن كميل وحديث أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتابه (الرجال) ويبدو أن الإمام علياً (عليه السلام) كان يخرج من الكوفة إلى أرض النجف الأشرف، وبعد إن يجتاز (الثويبة) مقبرة الكوفة الكبرى، ويقف على جرف الصحراء، يأخذ بالحديث ويوصي كميلاً عن الموت والقبر، ومن وصاياه: ((يا أهل القبور، يا أهل البلاء، يا أهل الوحشة ما الخبر عندكم فان الخبر عندنا قد قسمت الأموال، وايتمت الأولاد، واستبدل بالأزواج، فهذا الخبر عندنا فما الخبر عندكم ؟ فيقول كميل: ثم التفت إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: ((يا كميل لو أذن لهم بالجواب لقالوا: أن خير الزاد التقوى ثم بكى وقال لي يا كميل القبر صندوق العمل، وعند الموت يأتيك الخبر)) وكان يقع في طريق أسانيد أبي حمزة الشمالي، وعبد الرحمن بن جنديب، وكميل بن زياد النخعي، وكان كميل يروي عن الإمام علي (عليه السلام)، أحاديث الملاحم والفتن وأخبار الزمان، وقد أشارت كتب الأمامية، وكتب المذاهب الأخرى إلى (دعاء كميل) الذي اكتسب صفة الإجماع على صحته، وقد رواه كميل عن الإمام علي (عليه السلام)، وورد في الكتب الآتية:

- ١- كتاب المصباح للشيخ الطوسي.
- ٢- كتاب الإقبال للسيد رضي الدين بن طاووس.
- ٣- إجازات الحديث للشيخ المجلسي.
- ٤- وسائل الشيعة للحر العاملی.

وأورد المحدث الكبير عماد الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد الطبرى الأملی في كتابه (بشارۃ المصطفى لشيعة المرتضى) والمحدث النورى في كتابه (مستدرک وسائل الشيعة) وصية الإمام علي (عليه السلام) كمیل بن زیاد التخنی، وقد رواها سعد بن زید بن ارطاة بقوله: ((لقيت کمیل بن زیاد وسألته عن فضل أمیر المؤمنین علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: ألا أخبرك بوصية أوصانی بها يوماً: (هي خير لك من الدنيا بما فيها) فقلت بلی، قال: قال لي علي (عليه السلام): يا کمیل بن زید سم كل يوم باسم الله ولا حول ولا قوۃ إلا بالله، ثم أورد بقیة الوصیة، وسمع الشیخ عماد الدين الطبری من الشیخ أبي البقاء إبراهیم بن الحسین بن إبراهیم البصیری هذه الوصیة في مشهد أمیر المؤمنین (عليه السلام) في النجف الاشرف، سنة ٥١٦ھ وحفظت لنا کتب الحديث، وصایا أمیر المؤمنین (عليه السلام) لكمیل بن زید ومنها:

- ١- کتاب الامالی للشیخ المفید.
- ٢- کتاب تحف العقول لابن شعبة الحرانی.
- ٣- شرح الأخبار للقاضی النعمان المغری.
- ٤- أرشاد القلوب للدیلمی.
- ٥- کتاب الصافی للفیض الكاشانی.
- ٦- جامع الاسرار لرکن الدين الأملی.
- ٧- الہدایة الكبرى للحسین بن حمدان الخصیبی.

وأصبح (دعاة کمیل) سیل هداية، ومنهاج صلاح للنفس الإنسانية ومنه: ((اللهم أني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء وبقوتك التي قهرت كل شيء، وخضع لها كل شيء وذل لها كل شيء، بمجروتك التي غلبت بها كل شيء، وبعزتك التي لا يقوم لها شيء وبعظمتك التي ملأت كل شيء وبسلطانك الذي علا كل شيء، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء، وبأسمائك التي غلبت أركان كل شيء، وبعلمك الذي أحاط بكل شيء، وبنور وجهك الذي أضاء له كل

شيء) وتبقى الوحدانية والريوبوبيّة تلازم مفردات الدعاء إلى آخره، ولم نجد في
قبالها أقوالاً تقاربها في البلاغة والبيان وكان على أصحاب السهام الضالة
والأفكار المنحرفة التي تهم الفكر الإمامي بعبادة الأئمة (عليهم السلام) فان
عبارات التوحيد التي حفظها كميل بن زياد، والتي رواها علماء الحديث تؤكد
على شهادة ((لا اله إلا الله)) وأننا نجد في وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام)
لكميل بن زياد النخعي معاني التربية والأخلاق وتبقى الكلمات العلوية الرشيدة
منار هداية وهدى على تعاقب الأجيال.

أبو حنيفة النعمان بن ثابت فقيه الكوفة وصاحب مدرسة الرأي والقياس

ولد الفقيه أبو حنيفة النعمان بن ثابت بمدينة الكوفة عام ٨٠ هـ ونشأ فيها، ونسب إليها، وأطلق عليه لفظ (إمام أصحاب الرأي) وصاحب مدرسة القياس، وقد أخذ علومه عن علماء الكوفة والنجاشي، وتتلمذ على الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وقد أشار إلى تلمذته بقوله: ((لولا السنتان لهلك النعمان)) و قوله ((ما رأيت افقة من جعفر بن محمد))^(١) ويبدو إن أبو حنيفة قد التقى بالإمام الصادق عليه السلام عند قدومه إلى العراق، وتجمع الفقهاء حوله في مسجد الكوفة، وما يؤيد ذلك قول الحسن الوشاء ((أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد)), وكان أبو حنيفة قد تتلمذ على فقيه الكوفة حماد بن أبي سليمان (ت ١٢٠ هـ))^(٢) وغيره من الفقهاء، حتى أصبح له موضع الصدارة في مدرسة الكوفة، وقد أشار إليه الإمام الشافعي بقوله: ((من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال أبي حنيفة))^(٣) ويقول ابن المبارك: ((إن كان أحد ينبغي أن يقول برأيه، فأبو حنيفة ينبغي أن يقول رأيه))^(٤) وقد نسب لأبي حنيفة كتاب (الفقه الأكبر)، ومن المحتمل أن تلاميذه قد جمعوه من بعده، وكان من أبرزهم أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي (ت ١٨٢ هـ) فهو أول فقهاء الكوفة قد تتلمذ على أبي حنيفة، وقد ادخل فقهه، ومذهب أهل الرأي إلى مدينة بغداد، وقد كتب في الفقه على مذهب أستاذه^(٥) وقد قيل: انه لولا أبو يوسف القاضي لما ذكر

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/١٥٧.

(٢) الخطيب: تاريخ بغداد ١٣/٣٢٤.

(٣) الشيرازي: طبقات الفقهاء ص ٨٧.

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٣/٣٤٣.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٣٨.

أبو حنيفة.^(١) ومن المُتَحْمِل إن السُّلْطَة العَبَاسِيَّة، وَفِي عَهْد هَارُون الرَّشِيد، سَاعَدَتْ عَلَى نَسْرِ الْمَذْهَب الْخَنْفِي فِي بَغْدَاد وَغَيْرِهَا، مَنْذ تَعْيِين أَبِي يُوسُف قاضِيَّاً لِلْقَضَايَا. وَكَانَ كَثِيرٌ مِنْ فَقَهَاءِ الْكُوفَةِ قَدْ تَابَعُوا أَسْتَاذَهُمْ أَبَا حَنْيفَةَ فِي بَغْدَاد، وَسَاهَمُوا فِي الْحَرْكَةِ الْفَكَرِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَاسِيِّ الْأَوَّلِ وَقَدْ أَشَارَتِ الْمَصَادِرُ إِلَى بَعْضِ الْفَقَهَاءِ الْكُوفِيَّينَ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَبِي حَنْيفَةَ قَدْ اخْتَارُوا مَدِينَةَ بَغْدَادَ مُسْتَقْرَأً لِحَيَاةِهِمْ وَمَا تَوَافَرَ فِيهَا وَمِنْهُمْ^(٢):

- ١- محمد بن الحسن بن فرقد (ت ١٨٩هـ).
- ٢- أبو زكريا يحيى بن ادم (ت ٢٠٣هـ).
- ٣- الحسن بن زياد اللؤلؤي (ت ٢٠٤هـ).
- ٤- بشر بن المعتمر البلايلي (ت ٢١٠هـ).
- ٥- أبو نعيم الفضل بن دكين (ت ٢١٩هـ).
- ٦- عثمان بن أبي شيبة (ت ٢٣٩هـ).
- ٧- محمد بن عثمان بن أبي شيبة (ت ٢٩٧هـ).

وَإِذَا تَصْفَحْنَا كِتَابَ ((تَارِيخَ بَغْدَاد)) لِلْخَطَّابِيِّ الْبَغْدَادِيِّ، نَجِدُ لِعَلَمَاءِ الْكُوفَةِ مَسَاحَةً كَبِيرَةً فِيهِ، مِنْهُمُ الْفَقَهَاءُ وَالشَّعَرَاءُ وَالْأَدْبَاءُ وَعَلَمَاءُ مُخْتَصُونَ بِالْلُّغَةِ وَالْكِيَمِيَّاءِ وَالرِّياضِيَّاتِ وَالْفَلْسُفَةِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ، وَانَّ الْحَصِيلَةَ الْكَبِيرَةَ لِهُؤُلَاءِ تَعْطِي صُورَةً لِأَثْرِ الْكُوفِيَّينَ فِي الْحَيَاةِ الْعَلَمِيَّةِ وَالْفَكَرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ فِي مَدِينَةِ بَغْدَادِ، وَفِي عَصْرِ ازْدِهَارِهَا وَعَصْرِهَا الْذَّهَبِيِّ.

(١) طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة ٢١٦/٢

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٤٢/٧، ابن النديم: الفهرست ص ٢٥٧، ص ٢٨٣، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٨١-١٧٢/٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٥/١٨٤

سفيان بن عيينة (تلميذ الإمام الصادق عليه السلام) وفقه الكوفة

كان أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي (١٠٧-١٩٨هـ) من فقهاء الكوفة في عصره، حيث ولد فيها وتلمنذ على علمائها، وعند سكناه في مكة المكرمة تلمنذ على فقهائها وقد أشارت المصادر إلى أن الإمام الصادق عليه السلام كان أحد شيوخه^(١) وقد أخذ موقعه العلمي في الفقه والحديث وتلمنذ عليه الأعمش وابن جريج وسفيان الثوري وغيرهم ويقول أبو نعيم الاصبهاني: إن سفيان بن عيينة، هو الإمام الأمين ذو العقل الرصين، الرأي الركين، المستبط للمعاني والمرتبط للمباني، وكان عالماً ناقداً، زاهداً عابداً، علمه مشهور، وزهره معمور^(٢) وقد أشار مترجموه إلى موقعه العلمي الكبير في علم الحديث حتى انه كان ((يعد من حكماء أصحاب الحديث))^(٣) وله كتاب ((الجامع)) الذي عرف باسم ((جامع أبي محمد سفيان بن عيينة)), كما أنّ له تفسير للقرآن الكريم^(٤) وإليه أشار الإمام الشافعي بقوله: ((لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز))^(٥) ويبدو انه آثر البقاء في مكة حتى وفاته عام ١٩٨هـ، وقد دفن في الحجون. وقد عاش زاهداً مت遁ساً، وكان يكتفي برغيف أو رغيفين من الشعير ويقول: هذا طعامي منذ ستين سنة^(٦) ويبدو إن سفيانا كان بعيداً عن سيرة أبيه الذي كان من عمال الوالي الأموي خالد القسري، لما عزل خالد عن ولاية العراق وعين يوسف بن عمر الثقفي بدلاً عنه طلب عمال خالد، فهربوا منه، واختار عيينة مكة فسكنها^(٧)

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/١١٨.

(٢) ابو نعيم الاصبهاني: حلية الأولياء ٧/٢٧٠.

(٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/١١٩.

(٤) الكتани: الرسالة المستطرفة ص ٤١.

(٥) الزركلي: الأعلام ٣/١٥٩.

(٦) ابن الجوزي: صفة الصفة ٢/٢٣٤.

(٧) ابن الجوزي: المنظم ١٠/٤٠، صفة الصفة ٢/٢٣١.

ولم تفصح المصادر عن حياة سفيان بن عيينة العلمية سوى الاشادة بـ كاتبه بالفقه والحديث والتفسير، لكن حديثه عن بعض علماء مدينة بغداد يقربنا إلى التقائه بهم، فذكر أن محمد بن إسحاق (صاحب السيرة) لم يتهمه أحد^(١) وقال معروف الكرخي: يذكره أهل بغداد بخير^(٢) وان مسرور بن كدام لم يفضل أحداً عليه^(٣) وذكر الخطيب البغدادي في ((تاریخ بغداد)) وابن الجوزي في ((المنتظم)) نصوصا عن سفيان بن عيينة في أخبار علماء بغداد ومنهم:

- ١- مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠ هـ).
- ٢- مسرور بن كدام (ت ١٥٢ هـ).
- ٣- محمد بن إسحاق (ت ١٥٢ هـ).
- ٤- الحسن بن عمارة الكوفي (ت ١٥٣ هـ).
- ٥- عبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١ هـ).

وتعطى هذه النصوص مؤشراً على سكن سفيان بن عيينة بمدينة بغداد بعض الوقت، في حين إن المصادر تؤكد على انتقاله من الكوفة إلى مكة، ومن المحتمل أنه عاش في بغداد مدة ثم عاد إلى الكوفة وانتقل منها إلى مكة. وقد أشار بعلمه كل من أبي حنيفة النعمان (ت ١٥٠ هـ) والإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) والإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)^(٤) وقد قال الإمام أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة: ((جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار))^(٥) وفي مجال اللغة يقول الكسائي: ((ما رأيت أحداً يروي الحروف إلا وهو ينطئ فيها إلا ابن عيينة)).^(٦).

^(١) الخطيب: تاریخ بغداد ١/٢٣١.

^(٢) ن. م ٢٠١/١٣.

^(٣) المنتظم ٨/٧٣.

^(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٩٣/٢ - ٢٩٢/٢، الذهبي: العبر ١/٣٢٦.

^(٥) القنوجي: التاج المكمل ص ٥١.

^(٦) ابن الجزري: غاية النهاية ١/٣٠٨.

الفقيه سعيد بن جبير حَوْلَةُ عَنْهُ ومأساة الكلمة الصادقة

قدمت مأساة الفقيه والمحدث والمفسر سعيد بن جبير صورة أليمة وفظيعة في التاريخ الإسلامي، وقد تكررت أمثالها مع السلطة الجائرة في كل زمان ومكان، ولكن المواقف البطولية بوجه الظلم والطغاة بقيت شاهدة في صفحات التاريخ وخالدة مع تعاقب الدهور حتى إن كلمات الثنائيين قد احتلت موقعها في نفوس الناس وتحولت إلى عبر وتجارب. وقد كشفت حركة الفقيه سعيد بن جبير عن جانب منها وكان من الغرابة إنه استشهد عام ٩٥هـ ولم يمض على استشهاده سوى شهور محدودة حتى مات قاتله الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي. فيقول المؤرخ ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) في كتابه (وفيات الأعيان)، ولم يسلطه الله تعالى بعده على قتل أحد حتى مات، وقد أصبح دم سعيد بن جبير خاتمة المطاف في مسيرة الحجاج الذي سماه الحسن البصري (فاسق ثقيف) ولما جاءه خبر استشهاد سعيد بن جبير قال (والله لو إن من بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتله لكتبهم الله يُنَكِّبُهُمْ في النار) وأشار الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) إلى مكانة سعيد بن جبير العلمية بقوله (قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه) وقد أجمعوا المصادر على أن سعيد بن جبير إمام حجه ثقة و كان فقيها عابداً فاضلاً ورعاً. ويقول المحدث بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) في كتابه (تهذيب التهذيب) إن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس حَوْلَةُ عَنْهُ إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول أليس فيكم ابن أم الدهماء ويقصد به الفقيه سعيد بن جبير. وكان هذا الشهيد السعيد يستقي روایاته عن الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ كما إنه يروي عن ابن عباس وبعض الصحابة وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى عمله وقد رأى من واجبه الشرعي أن يكون سيفه إلى جانب علمه فشارك في معركة (دير الجماجم) دفاعاً عن الإسلام ومبادئه السامية بعد أن رأى سيف الحجاج بن يوسف الثقفي يحصد رقاب الناس ويرتكب المحرمات

ويضع الأبراء في طوامير السجون، وعند ذلك قدم سعيد بن جبير نفسه للشهادة وقد وصفه المحدث أبو نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ) في كتابة (حلية الأولياء) بالقول أن سعيد بن جبير هو (جهبد العلماء) وحينما وقف أمام الحاج سأله عن أسمه فقال: سعيد بن جبير فأجابه الحاج (أشقىبني كسير) دون مراعاة لعلمه وفكره وكان يعلم وبصورة قاطعة بأن سعيد بن جبير إذا قام إلى الصلاة كانه وتد وإذا قرأ القرآن فإنه يختتمه في كل ليلتين وإذا وقف بين يدي الله يبكي وإليه أشار الحكم النيسابوري: انه الفقيه البكاء العالم الدعاء السعيد الشهيد السديد الحميد ولكن حماقة الحاج بن يوسف الثقفي قد أجهزت عليه وجعلته في مواكب الشهداء الخالدين وبقي دمه يرافق الحاج ليلاً ونهاراً فيقول المؤرخ ابن خلkan: (إنَّ الْحَجَاجَ لِمَا حَضُرَتِهِ الْوَفَاءُ كَانَ يَغْوِصُ ثُمَّ يَفْيِيقُ وَيَقُولُ: مَالِي وَسَعِيدُ بْنُ جَبَيرٍ؟) وقيل انه في مدة مرضه كان إذا نام رأى سعيد بن جبير أخذها بجامع ثوبه ويقول له: يا عدو الله فبم قلتني؟ فيستيقظ مذعوراً ويقول مالي وسعيد بن جبير. ويعطى هذا النص درساً خطيراً لجميع حكام الجور في التاريخ في حالة تسلطهم على رقاب الأمة دون مراعاة للحرمات والأحكام وإن التاريخ يحدثنا عن الجبارة والطغاة وما يرافق حياتهم من سفك الدماء وقتل الأولياء وأصحاب الكلمة والعلم دون الاستفادة من التاريخ بأنه تجربة للأمم وعبرة للماضي فالأنمارة والسلطة ذات محدودية زمانية سواء قصرت أم طالت ولكن الكلمة الصادقة سوف تبقى خالدة في صفحات التاريخ وإن الشهداء والعلماء والمفكرين مصابيح مضيئة على الطريق وكلما يستقي الباحث نصوصاً في الفقه أو التفسير من الشهيد سعيد بن جبير فإنه يجده حياً خالداً وإن تباعد الزمن وإن قاتله قد احتل موقعه من مزبلة التاريخ.

الحسن الوشاء بائع الشياب و عالم الحديث

كان أبو محمد الحسن بن علي بن زياد الوشاء البجلي، من أعلام مدينة الكوفة، ومن أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وكان من وجوه الإمامية في عصره، وقد لحق به لقب ((الوشاء)) نسبة لبيعه الشوب الوشي أي المنقوش، وقد عرف باهتماماته بعلم الحديث، حيث كان من المتجولين في طلبه، وقد ألف كتاباً كثيرة منها ((مسائل الإمام الرضا وأجوبتها)), وأشار الشيخ الطوسي في كتاب ((الفهرست)) انه ابن بنت الياس الصيرفي المعروف بالخراز، وقال ((له كتاب)) اخبرنا به عدة من أصحابنا عن أبي المفضل عن ابن بطة عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي الوشاء^(١) ويضع علماء الحديث لفظ ((الكتاب)) في قبال ((الأصل)) ويقول الشيخ الوحيد البهبهاني في كتابه ((الفوائد)) ان له كتاب يعني انه مستعمل في كلامهم في معناه المتعارف، وهو اعم مطلقاً من الأصل ويقول الشيخ النجاشي: انه كان من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، ومن وجوه الطائفة، وقد روى عن جده الياس قال: لما حضرته الوفاة، قال لنا: اشهدوا علي وليس ساعة الكذب هذه الساعة سمعت أبا عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام يقول: والله لا يموت عبد يحب الله ورسوله و يتولى الأئمة فتمسه النار ثم عاد الثانية والثالثة من غير أن أسأله^(٢) ولصلة الوشائكة بالإمام الرضا عليه السلام انه روى عنه قول الإمام زين العابدين (علي بن الحسين) عليه السلام: على الأئمة من الفرض ما ليس على شيعتهم، وعلى شيعتنا ما ليس علينا، أمرهم الله تعالى أن يسألونا قال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. فأمرهم أن يسألونا، وليس علينا الجواب. ان شئنا اجبنا، وان شئنا امسكنا. وتدل هذه النصوص المروية عن أبي

(١) الطوسي: الفهرست ص ٧٩ الرجال ص ٣٧١.

(٢) النجاشي: الرجال ص ٢٨.

محمد الحسن الوشائى على مقامه الرفيع عند الأئمة عليهم السلام، وعلميته الواسعة في علم الحديث، وكان قد أشار إلى دور الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في توسيع دائرة العلم في الكوفة بقوله: ((أدركت في هذا المسجد - ويقصد به مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد))^(١) وبقوله هذا قد ألقى ضوءاً كاشفاً على التفاف العلماء في الكوفة حول الإمام الصادق عليه السلام، ويبدو انه كان في فترة الانتقال السياسي بين سقوط الدولة الأموية، ونشوء الدولة العباسية، وانه كان من المعمرين بحيث أدرك عهد الأئمة (الصادق و الكاظم و الرضا) عليهم السلام.

(١) النجاشي: الرجال ص ٣١، الحكيم: الشيخ الطوسي ص ٩٦.

حميد بن زياد الدهقان صاحب الفهرست في الكوفة

برزت في القرن الرابع الهجري، الموافق للقرن العاشر الميلادي كتب حملت لفظ ((الفهرست)) وقد أشار علماء الرجال إلى أصحابها، وفي مقدمتهم، الشيخ النجاشي، والشيخ الطوسي، ويعد الشيخ حميد بن زياد الدهقان الكوفي، المتوفى عام ٣١٠ هـ، من مؤلفي الإمامية الكبار في عصره، ومن الرواد الذين كتبوا في (الفهرستات)، وقد أشار إليه الشيخ النجاشي في الرجال بالقول: ((ذكر أو قال حميد بن زياد)) كما ينقل عنه بالواسطة وقد أشار إلى كتابه ((الفهرست)) بالقول: ((قال حميد في فهرسته)) فعند ترجمة الشيخ النجاشي لعيid الله بن نهيك النخعي قال: ((قال حميد بن زياد في فهرسته، سمعت من عييد الله كتاب المنسك، وكتاب الحج، وكتاب فضائل الحج، وكتاب الثالث والأربع، وكتاب المثالب، ولا ادري قراها حميد عليه، وهي مصنفاته أو هي لغيره)).^(١) وكان الشيخ النجاشي دقيقاً في معرفة الكتب النسوبية إلى بعض الرجال للوقوف على صحتها، فهو عند ترجمته لعلي بن أبي صالح الكوفي يقول: ((قال حميد في فهرسته سمعت عنه كتاباً عدة))^(٢) ولما أورد كتبه قال ((ولست أعلم بهذه الكتب له أو رواها عن الرجال؟)), ويستفاد من بعض النصوص المستقلة من فهرست حميد بن زياد الدهقان تحديد وفيات بعض الرجال، ومواضع دفنهم وهذا له أهمية تاريخية في تحديد الخطط والمواقع، ولم نجد في مدينة الكوفة من تصدى لهذا الجانب قبله، فهو بذلك يعد رائداً في الكتابة، وعليه اعتمد علماء الرجال المشهورين في الفكر الإمامي، ويعود إليه الفضل في تدوين الكتب التي ألفها الإماميون في عهد الأئمة عليهم و حتى عصره، علماً أنه عاصر فترة الغيبة الصغرى، ومن المحتمل أنه قد عاصر الأئمة المتأخرین، إذ إن مولده غير معروف، سوى أن وفاته كانت في عام ٣١٠ هـ. وتعطي هذه المعاصرة سواء للائمة عليهم أو للسفراء في الغيبة الصغرى أهمية لكتابه ((الفهرست)).

(١) النجاشي: الرجال ص ١٦٠ - ص ١٦١.

(٢) المصدر نفسه ص ١٨١.

محمد بن علي الدهقان مؤرخ النجف والكوفة في القرن الرابع الهجري

لقب أبو الحسين محمد بن علي بن الفضل بن تمام الدهقان الكوفي بلقب ((سكين)) وذلك لاحترام الناس له وإعظاماً لشانه^(١) لأنّه كان ثقة عيناً، صحيح الاعتقاد، جيد التصانيف، وقد روى عنه الشيخ التلوكبرى الحسين بن أبي محمد هارون بن موسى عام ٣٤٠هـ، وله منه إجازة. وقد سمع الشيخ الطوسي ذلك من شيخه أبي محمد المحمدي، وقال: انه كثير الرواية^(٢) وكان الشرييف النقيب الحسن بن القاسم الحمدي العلوى نزيل مدينة بغداد، وتوفي فيها عام ٤١٠هـ، ولعل ما ذكره الشيخ الطوسي عن أبي الحسين الدهقان بأنه كثير الرواية، هو لاقترابه زميلاً من الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي المتوفى عام ٣٨١هـ، ولذا قيل انه من طبقته، وذكر الشيخ النجاشي: إن أبو العباس احمد بن علي بن نوح كان يروي مؤلفات الشيخ محمد بن علي الدهقان ويقول ((قرأت كتاب الكوفة على أبي عبد الله الحسين بن عبيد الله عنه)) وإذا القينا نظرة على مؤلفات الدهقان نجد بعضها في تاريخ النجف والكوفة ومنها:

- ١- كتاب تاريخ الكوفة.
- ٢- كتاب موضع قبر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- ٣- كتاب زيارات.
- ٤- كتاب الفرج في الغيبة.

أما كتبه الأخرى فهي في التاريخ والحديث وعلم الكلام والفقه والعقائد وقد وصفت بعض كتبه بالضخامة والحسن، ويقول الشيخ النجاشي ((اخبرنا بسائر روایاته وكتبه أبو العباس احمد بن علي بن نوح)) وان كتابه ((تاريخ الكوفة)) يعد من الكتب المتقدمة في تاريخ هذه المدينة، وان كتابه في تحديد

(١) النجاشي: الرجال ص ٢٩٩، العلامة الحلبي: الرجال ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) الطوسي: الرجال ص ٥٠٣، الفهرست ص ١٨٨، المماقاني: تقييع المقال ١٥٨/٣.

((موضع قبر أمير المؤمنين علیه السلام)) له أهمية تاريخية، إذ انه سبق غيره في هذا الجانب، وان التأليف عن النجف والكوفة في القرن الرابع الهجري، يعطي مؤشراً على اهتمام المؤرخين بهاتين المدينتين، وان أبو الحسين الدهقان كان معاصرًا للعهد البوبي، والشاعر الحسين بن الحاج النيلي الذي وصف المرقد الحيدري الشريف بقصيدته المشهورة والتي مطلعها:

يا صاحب القبة البيضا على النجف من زار قبرك واستشفى لديك شفي
ولعل هذا التوافق الزمني، واهتمام السلاطين بالمرقد الحيدري الشريف
جعل الدهقان الكوفي يؤلف كتابه عن موضع قبر أمير المؤمنين علیه السلام وبحكم مولده
في الكوفة وسكناه فيها، كتب عنها تاريخاً، لعله حدد فيه خطط المدينة وتصيرها،
وما فيها من معالم وقبائل، ولكن من المؤسف إن الكتابين لم يصلا ألينا، وأصبحا
في عداد الكتب المفقودة، وكذلك الحال في كتب الدهقان الأخرى ومنها ((مقتل
الحسين علیه السلام)) و((الفرج بعد الشدة)) و((عدد الأيام ونواتر الأخبار)) وتعطي
هذه الكتب مؤشراً على اهتمام المؤلف بالتاريخ، فضلاً إلى اهتماماته بتاريخ آل
البيت علیهم السلام كما يشير كتابه عن مقتل الإمام الحسين علیه السلام، وكتاب ((ما روی في
عدد الأئمة)). وان مؤلفات الدهقان الأخرى تؤكد على تعدد ثقافاته في التاريخ
والفقه والعقائد والكلام ومنها ((مختصر الفرائض)) وكتاب ((الإيان)) وكتاب
((الجمل في أصول شرائع الإسلام)) فضلاً إلى كتابي الزهد والوصايا، ويبقى
الشيخ محمد بن علي الدهقان صاحب الريادة في التأليف البلداوي من الكوفيين.

ابن عقدة الهمданى مسيرة علم من الكوفة إلى بغداد

كانت حياة المحدث الكبير أبي العباس احمد بن محمد بن سعيد الهمدانى الكوفي المعروف بابن عقدة (٢٤٩-٣٣٣هـ) تؤرخ مرحلة علمية من تاريخ مدينة الكوفة في القرن الرابع الهجري، وقد بدأ حياته العلمية في الكوفة، وأكملها في بغداد، يقول الخطيب البغدادي ((كان حافظاً عالماً مكثراً، جمع التراجم والأبواب والمشيخة وأكثر الرواية، وانتشر حديثه، وروى عنه الحفاظ والأكابر مثل أبي بكر بن الجعابي))^(١) وقد أملَى في جامع الرصافة في بغداد عام ٣٣٠هـ. وأشار الدارقطني إلى علميته بقوله ((اجمع أهل الكوفة انه لم ير بها من زمن ابن مسعود الصحابي إلى زمن ابن عقدة المذكور من هو أحفظ منه)) وقال: ((انه يعلم ما عند الناس، ولا يعلم الناس ما عنده))^(٢)، وأشارت المصادر الإمامية إلى أن ابن عقدة كان على مذهب الزيدية الجارودية، وقال فيه العلامة الحلبي ((إنما ذكرناه من أصحابنا لكترة رواياته عنهم وخلطته بهم وتصنيفه لهم، روى جميع كتب أصحابنا، وصنف لهم وذكر أصولهم))^(٣) وأشارت المصادر إلى جلالته قدره وعلو منزلته وكترة حفظه، فيقول الحاكم ابن البيع: سمعت أبا علي الحافظ يقول: ((ما رأيت أحفظ لحديث الكوفيين من أبي العباس بن عقدة)) ونقل عنه قوله: أنا أجيب في ثلاثة ألف حديث من حديث أهل البيت وبني هاشم)^(٤) وقد صنف كتاباً في أسماء الرجال الذين رووا الحديث عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام . فذكر ترجمة أربعة آلاف رجل، فخرج فيه لكل رجل الحديث الذي رواه^(٥) ومن

(١) الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/٥ - ١٥.

(٢) القمي: الكنى والألقاب ١/٣٥٢.

(٣) العلامة: الرجال ص ٣٢٠ - ٣٢٠.

(٤) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/٨٤٠، دول الإسلام ١/٢٥٥ اليافعي: مرآة الجنان ٢/٣١١.

(٥) البراقى: تاريخ الكوفة ص ٤٠٤، حبى الدين: أدب المرتضى ص ٣٦.

الجدير بالذكر إن الإمام الصادق عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ لم يكث في الكوفة طويلاً، لكن تهاافت الناس عليه وأخذهم الحديث عنه، جعلهم ينقلونه في كل مكان، وإلى ذلك أشار الحسن بن علي الوشاء البجلي بقوله: ((إني أدركت في هذا المسجد، يعني مسجد الكوفة تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد))^(١) وذكر الشيخ النجاشي: إن لابن عقدة كتاب التاريخ وذكر من روى عن الحسن والحسين، وكتاب من روى عن علي بن الحسين وكتاب من روى عن أبي جعفر وكتاب من روى عن زيد بن علي وكتاب من روى عن جعفر بن محمد^(٢) وكان على الرغم علميته الكبيرة في علمي الحديث والرجال، فإنه بقي على مذهب الزيدية في حين إن ولده أبو نعيم محمدأ الحافظ كان من إجلاء الشيعة الإمامية^(٣) وقد تصدى المحدث الذهبي لجمع طرق أحاديث ابن عقدة كحديث ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) وحديث الطير، وحديث ((من كذب علي متعمداً))^(٤) وذكر الخطيب البغدادي وابن الجوزي في كتابيهما موقف ابن عقدة من بعض الرجال وما قبل فيهم من مصطلحات الجرح والتعديل^(٥) ولكن على الرغم من مكانته العلمية في الحديث والرجال فإن هناك من يوجه إليه تقداً لاذعاً، واتهامه بالكذب ووضع الأحاديث ومتالب الصحابة^(٦) ولعل تشيعه كان وراء هذه الاتهامات، فيقول الذهبي ((مقت لتشيعه)) وان ما نقله التتوخي في ((نشوار المحاضرة)) عنه يفند ذلك ((أنا أحفظ منسقاً من الحديث بالأسانيد و المتون خمسين و مائتي ألف

(١) النجاشي: الرجال ص ٣١ شمس الدين: حديث الجامعة النجفية ص ٧، الحكيم: الشيخ الطوسي ص ٩٦.

(٢) النجاشي: الرجال ص ٧٣.

(٣) العلامة: الرجال ص ١٤٨ الخوانساري: روضات الجنات ٢/٢٠٨-٢٠٩.

(٤) الكناني: الرسالة المستطرفة ص ٩٤ ص ١١٢.

(٥) الخطيب: تاريخ بغداد ٢/٢٣٧-٢٣٨، ٤٥/٣، ٢٨٤ ابن الجوزي: المنظم ٥/٤٢، ٦/٢٣٥٩٥.

(٦) ابن حجر: لسان الميزان ١/٢٦٥، الذهبي: ميزان الاعتدال ١/١٣٨، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/٣٣٢ اليافعي: مرآة الجنان ٢/٣١١.

الحديث، وأذكر بالأسانيد، وبعض المتون والمراسيل والمقاطع ستمائة ألف حديث^(١)) وكانت مكتبة الكبيرة التي حملت على ستمائة جمل عندما أراد الانتقال^(٢) قد أعطته بلا شك علوماً أضيفت لعلوم شيوخه من أمثال: عبد الله بن محمد بن خالد، وعبيد بن حمدون الرواسي، ومحمد بن عبد الله بن علي، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، ويعقوب بن يوسف، وعبد الرحمن بن يوسف، وأحمد بن عمر بن كيسة والحسن بن قاسم البجلي^(٣) وكان قد روى عن جعفر بن عبد الله تفسير الإمام الباقي^(٤). وتلمنذ على ابن عقدة عدد من المحدثين المشاهير كالطبرى والدارقطنى وابن الجعابي وابن عدي وغيرهم، وكان قد اتخذ من مسجد براشا في بغداد مكاناً للدرس والإملاء^(٥) وإن الذي يقف على مؤلفات ابن عقدة يجد فيها طابع التشيع واضحاً، فكتب كتب من روى عن الأئمة وزيد بن علي ومن روى حديث غدير خم، وكتب في بعض الأحاديث النازلة في أمير المؤمنين عليه السلام، ومن روى عن فاطمة عليها السلام وله في بعض محدثي الشيعة الأوائل كتب ومسانيد، وله في التاريخ العلوى كتب منها صلح الحسن ومعاوية والولایة وأخبار أبي حنيفة وفضل الكوفة وتاريخ ابن عقدة وغيرها^(٦) وقد امتلك الخطيب البغدادي نخبة من تاريخ ابن عقدة جاء بها من دمشق^(٧). وكان كتابه^(٨) (جزء في فضائل علي) قد نقل عنه السيد ابن طاووس في كتاب ((اليقين))

(١) التوكхи: نشوار المحاضرة ٢٢٩/٥

(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٥٦/٣-٥٧، ابن العماد: شذرات الذهب ٢٣٢/٢، اليافعي: مرآة الخنان ٢/٣١١، ابن كثير: البداية والنهاية ١/٢٠٩.

(٣) الطهراني: طبقات أعلام الشيعة / القرن الرابع ص ٣٦، ص ٩٧، ص ٢٧٩، ص ٣٣٤
الخوئي: معجم رجال الحديث ٣٦٩/٩.

^(٤) البخاري: سير السلسلة العلوية ص ٨٦.

٢٠٩/١١ النهاية و البداية : كش (٥)

(٦) انتشار وسائل الاعلام

١٦٢ / ترتيل

١٠٦٥

وله كتب أخرى في التفسير والفضائل وغيرها، وهذه التعديدية في علوم ابن عقدة، جعلت الذهبي يقول: انه حافظ العصر، والمحدث البحر^(١) وهذا القول يلتقي تماماً مع علمية ابن عقدة ومكانته الفكرية. أما كتاب ((رجال ابن عقدة)) فهو قد خصص لرواية الحديث الشريف، وقد تفرع منه كتاب ((من روی عن أمیر المؤمنین علیی السلام)) وكتاب ((من روی عن الحسن و الحسین)) وكتاب ((من روی عن علی بن الحسین)), وكتاب ((من روی عن أبي جعفر)), وكتاب ((من روی عن زید بن علی)) وقد خصص ابن عقدة كتاب ((الرجال)) لمن روی عن الإمام جعفر بن محمد الصادق علیی السلام، وإشارت بعض المصادر إلى ((تاریخ ابن عقدة)) ومن المحتمل انه كتاب الرجال، وقد وقف الشيخ النجاشي على خط ابن عقدة عن طريق احمد بن الحسين بقوله: ((قال أبو الحسن احمد بن الحسين وقع ألي بخط أبي العباس بن سعيد)), وعند ترجمته لأبان بن تغلب قال: ((قال أبو الحسن احمد بن الحسين وقع ألي بخط أبي العباس بن سعيد)).

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/٨٣٩.

قضاة الكوفة في بغداد

قضاة الكوفة في بغداد

تولى منصب القضاء في مدينة بغداد في العصر العباسي (١٤٥-٦٥٦هـ) عدد من قضاة مدينة الكوفة، وكان بعضهم من أصحاب المذهب الحنفي، ومن المحتمل أنهم تلمندوا على الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، المتوفى عام ١٥٠هـ / ٧٥٩م، وكان معظم القضاة الكوفيين قد تولوا منصب القضاء في بغداد الشرقية التي بناها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، لولده محمد المهدي لتكون مسكنراً له، وتولى منصب القضاء في بغداد الغربية جماعة من تلاميذ القاضي أبي يوسف، المتوفي عام ١٨٢هـ / ٧٩٨م، وكان الفقيه أبو يوسف من ابرز تلاميذ أبي حنيفة من الكوفيين، وقد اسند إليه منصب (قاضي القضاة) وقد لقبه المؤرخ ابن كثير بلقب (قاضي قضاة الدنيا)^(١)، ومن المحتمل ان مؤلفاته التي رد فيها على فقهاء عصره وفي مقدمتهم بن انس والاواعي، وقد احتل كتاب (الخارج) موقعاً مقبولاً في السلطة العباسية، وأصبح له مقاماً رفيعاً عند الخليفة العباسي هارون الرشيد، وان منصبه (قاضي القضاة) ساعد على بروز أبي يوسف بين علماء بغداد في عصره، وكان له دور كبير في انتشار المذهب الحنفي في الأمسكار الإسلامية، وأصبحت مدينة بغداد ملتقى الفقهاء والمحدثين، وأشارت المصادر إلى القضاة الكوفيين الذين تولوا منصب القضاء بمدينة بغداد وهم:

- ١- أسد بن عمرو البجلي.
- ٢- أبو يوسف القاضي.
- ٣- الحسن بن عمارة.
- ٤- الحسين بن الحسن الصوفي.
- ٥- حفص بن غياث النخعي.
- ٦- عون بن علاءة الكلابي.
- ٧- نوح بن دراح.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٥ / ١٨٧.

-٨- يزيد بن قيس.

وكان أبو جعفر المنصور منذ بناه مدينة بغداد عام ١٤٥ هـ، قد احتضن جماعة من العلماء والفقهاء، واستدعاهم إلى مدينة بغداد وفي مقدمتهم الإمام مالك بن أنس (فقيه المدينة المنورة) ومحمد بن إسحاق (مؤرخ السيرة النبوية) ومن فقهاء الكوفة الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وشريقي بن القطامي، والمفضل الضبي، ومحمد بن خازم، ومن الشعراء حماد عجرد، ومن المؤرخين البيش بن عدي، وغيرهم من الفقهاء والمحاذين والشعراء والمؤرخين، ورصد الخطيب البغدادي في كتابه (تاريخ بغداد) عدداً من أعلام مدينة الكوفة قد قاموا بدور علمي بمدينة بغداد، وحظي الفقيه الكوفي محمد بن الحسن الشيباني بمكانة متقدمة عند هارون الرشيد، وعهد إليه تأديب ولديه الأمين والمأمون، إضافة إلى الكسائي والمفضل الضبي^(١) وبعد عصر المأمون (١٩٨-٢١٨ هـ) عصر التقدم العلمي والفكري في بغداد، وفي عهده شهدت نشاطاً علمياً كبيراً، وأصبح محله ندوة فكرية لرجال العلم والفكر والأدب، وفيها يتراقص العلماء ويتحاججون في كافة فروع المعرفة، ويقول ابن النديم: إن الحدث الكوفي عبد الله بن إدريس قد شهد للمأمون بالعلم^(٢) وتعلم المأمون علم النحو على أبي معاوية الصرير محمد بن خازم الكوفي، المتوفى عام ١٩٤ هـ ٨٠٩ م وشهد القرنان الثاني والثالث للهجرة اعلاماً كوفيين كان لهم مكانة في المجتمع البغدادي منهم: أبو العاتية ودبلل الخزاعي، وأبو عمرو الشيباني، وأشار بن النديم إلى عدد الكوفيين في بغداد، والخطيب البغدادي وابن الجوزي والسيوطى وابن كثير، ومنهم القضاة والفقهاء والشعراء، وكانت مراكز العلم البغدادية (المساجد وبيوت العلماء وقصور الخلفاء ودكاكين الوراقين والمكتبات وخزائن الكتب) قد شهدت نشاطاً علمياً وفكرياً بين العلماء ورجال الفكر.

(١) الطبرى: التاريخ ٣٦٢/٨.

(٢) ابن النديم: الفهرست ص ١٢٩.

قادة وثوار

مالك الأشتر النخعي بطل مذبح الذي لا يعرف الهزيمة

كان البطل الهمام، والقائد المقدام مالك بن الحارث الأشتر، من الأبطال العرب الأوائل المنفردین عند معرتك القنا، واشتباك الأستنة، وقد مضى في أثناء زحفه للقاء أهل الشام في موقعة صفين وهو يقول: (ازحفوا قيد رحبي هذا، ازحفوا قاب هذا القوس)، وكان بلاوة العسكري الحسن، ونضاله الصادق في معركتي الجمل وصفين، قد جعل أمير المؤمنين الإمام علي عليهما السلام يقول فيه: (رحم الله مالكا، فقد كان لي كما كنت لرسول الله عليهما السلام). وقد اختاره الإمام عليهما السلام في مقدمة جيشه في يوم صفين، وفي قبال سفيان بن عمرو المعروف بابي الاعور الإسلامي، وحينما سيطر الإسلامي على الفرات تقدم الأشتر، وكشفه عن المشرعة، وهيمن على موارد الشرب، ولكن الإمام علي عليهما السلام طلب منه السماح للجميع بورود الماء، ونفذ مالك الأشتر أوامر أمير المؤمنين عليهما السلام في أحلك المواقف وأخطرها، فكان عليهما السلام قد أوصاه بقوله: (إليك أن تبدأ القوم بقتال، إلا إن يبدؤك حتى تلقاهم وتسمع منهم، ولا يجر منك شناًهم).

وكان الأشتر شديد الحماس في الحرب عميق الإيمان في العقيدة، وقد رأى إن بين الحق والباطل، ما هي إلا صولة فارس في الميدان، فان كانت الشهادة فهي أحدي الحسينين، وان كان النصر فهو فريضة واجبة، لأن الجهاد باب من أبواب الجنة، فرضه الله لخاصة أوليائه، وقد قال لأمير المؤمنين عليهما السلام: (فسر بنا إلى أعدائك فوالله ما ينجو من الموت من خافه ولا يعطي البقاء من أحبه ولا يعيش بالأمل إلا المغرور).

وقد عرف عن الأشتر انه بطل لا يكتثر بالموت في سبيل العقيدة، والدفاع عن الحق، وإذا أراد المسير إلى الحرب، كان يردد هذه الآيات:

في كل يوم هامتني مقيره بالضرب ابغى منة مؤخره

والدرع خير من برود حيره يا رب جنبي سبيل الكفره
يا رب جنبي سبيل الكفره لا تعذر الدنيا جميعها وبره
وقد ذهبت مقالة عبد الله بن الزبير: (قتلوني ومالكا) مذهب الشل الذي
يستشهد به يوم التقى مالك الاشتراط بابن الزبير في يوم الجمل وسقطا عن فرسيهما،
وطال اعتراكهما على وجه الأرض فعلاه الاشتراط، ولم يجد سبيلا إلى قتله لشدة
اضطرابه من تحته، والناس حولهما يجولون، فأخذ عبد الله بن الزبير ينادي:
قتلوا مالكاً معني
وعند افوكاك الجموع، انشد مالك الاشتراط قائلاً:

اعايش لولا أني كنت طاويأ ثلاثة لألفيت ابن أختك هالكا
غداة ينادي والرماح تتوشه كوقع الصياصي اقتلوني ومالكا
فجاه مني شبعه وشبابه واني شيخ لم أكن متamasكا
وكان المثل الأعلى لمالك الاشتراط في الحياة، وفي حربها وسلمها أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام وقد أشار إليه بقوله: (معنا ابن عم نبينا، وسيف من
سيوف الله، علي بن أبي طالب، صلى مع رسول الله عليه وآله وسليمه، لم يسبق له للصلوة
ذكر حتى كان شيخا، لم يكن له صبوة ولا نبوة، ولا صفة فقيه في دين الله، عالم
بحدود الله ذو رأي أصيل وصبر جميل، وعفاف قديم).

وكان مطيناً لقائده جندياً في ميادينه، منفذًا لأوامره، وقد منعته عقيدته
وإيمانه الراسخ بشرعية الخلافة أن يضع السيف بسهولة في يوم صفين عندما طلب
 منه أمير المؤمنين عليه السلام، وقال لرسوله: (إن الحرب قد اشتركت بيبي وبين أهل
 الناحية، فليس يجوز أن انصرف).

لما أحس مالك الاشتراط بوقوع الوهن في الصحف وسيطرت خديعة
المصحف في النفوس، وقف بين صفوف الجيش وهو يقول: (يا أهل الوهن
والذل، أحين علمتم القوم تتكلون لرفع هذه المصحف). وكان الاشتراط يحس
 بالمرارة والألم بعد توقيع وثيقة إيقاف القتال في صفين، فوجد الظرف غير مناسب

طالما أن النصر أصبح قاب قوسين أو أدنى وقد أخبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعدم موافقة الأشتراط بإيقاف القتال، فقال عليه السلام: (على أن الاشتراط ليرضى إذا رضيت، وقد رضيت ورضيتم ولا يصلح الرجوع بعد الرضا، ولا التبديل بعد الإقرار، إلا إن يعصى الله ويتعذر ما في كتابه، وأما الذي ذكرتم من تركه أمري، وما أنا عليه فليس من أولئك، وليس أخوته على ذلك، وليت فيكم مثله اثنين، بل ليت فيكم مثله واحداً، يرى في عدوه مثل رأيه).

وهذه العقيدة الراسخة التي أشار إليها الإمام عليه السلام في مالك الأشتراط قد أفصح عنها مالك في قوله: (واعملوا أنكم على حق وإن القوم على باطل إنما تقاتلون معاوية وانت مع البدريين قريب من مائة بدري سوى ما حولكم من أصحاب محمد أكثر ما معكم رايات، فقد كانت مع رسول الله، وعدونا مع رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله فمن يشك في قتال هؤلاء إلا ميت القلب، انتם على أحدي الحسينين أما الفتح وأما الشهادة).

وقد أهلت القيادة العسكرية والإدارية مالك الأشتراط إلى تعينه والياً على مصر، بعد استشهاد محمد بن أبي بكر، وقد أحسن معاوية بخطورة الموقف إذا تسلم مالك الأشتراط ولاده مصر فإنه لا بد من القضاء عليه، وقد تم ذلك في منطقة القلزم فمات بشربة عسل مسموم وقد سر ومعاوية بوفاة الأشتراط فقال: (أما بعد فإنه كان لعلي يمينان، وقطعت أحدهما بصفين – ويقصد بذلك عمارة بن ياسر – وقطعت الأخرى، ويقصد بذلك مالك الأشتراط) وحزن أمير المؤمنين عليه السلام بوفاة الأشتراط كثيراً، وصعب عليه فراقه، كما حزن من قبل على وفاة محمد بن أبي بكر الذي قال فيه: (جزعنا عليه على قدر سرورهم، مما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحروب جزعي عليه، كان لي ربيباً وكتت أعده ولداً، وكان بي براً، وكان ابن أخي فعلى مثل هذا نحزن، وعند الله نختسبه).

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد أعد نظاماً إدارياً تجسدت فيه دقائق نظام الحكم، وقد كشف عهده مالك الأشتراط ووصاياه الإدارية عن ذلك ومنه: (أنصف

الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك هو فيه من رعيتك، فانك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمك دون عباده، ومن خاصمه الله ادحض حجته).

وأعطى الإمام علي عليه السلام للإنسان حقوقاً، وللدولة واجبات، وللقانون سيادة بقوله: (انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنهم جماع من شعب الجحود والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياة، من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام، فأنكم أكثر أخلاقاً، واقل في المطامع إسرافاً، وابلغ في عواقب الأمور نظراً).

وقد شاءت الأقدار أن يذهب مالك الاشتري شهيداً من أجل رسالته وعقيدته دون أن يقوم بتطبيق وصايا أمير المؤمنين علي عليهما السلام في الإدارة ونظم الحكم.

ميثم بن يحيى التمار ودور الإمام علي في تربيته العلمية

لقب أبو سالم ميثم بن يحيى التمار بالنهراني، نسبه إلى كورة ((النهران)) الواقعة بين بغداد وواسط وجاء لقب التمار لبيعه التمر في مدينة الكوفة، وقد اشتراه أمير المؤمنين عليه السلام من امرأة أسدية ثم اعتقه. وأصبح من أبرز تلاميذه وأخلص حواريه وقد رباء على هديه وتروى من ينابيع علمه، وكان الإمام عليه السلام إذا خرج من مسجد الكوفة يمر بحانوت ميثم التمار فيجلس عنده ويحدثه في التفسير والحديث والفقه. وبلغ مقاماً رفيعاً في العلم، راوياً عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ترحم عليه الإمام الباقر والصادق عليهما السلام، وكان قد تعرض للمحنـة نتيجة ولائه لأمير المؤمنين ولآل بيته عليهما السلام، وقد ساند الشورة الحسينية ووقف إلى جانب مسلم بن عقيل عند دخوله مدينة الكوفة، ولكنه اعتقل من قبل الوالي الأموي عبيد الله بن زياد مع المختار بن أبي عبيد الثقفي، وأشارت المصادر إلى مقامه العلمي في التفسير والحديث، وقد ناظر حجر الأمة عبد الله بن عباس في المدينة المنورة في تفسير القرآن الكريم وتأویله.

أما في علم الحديث فقد كان من رواهـه البارزين، وقد أشار إلى ذلك الإمام محمد الباقر عليه السلام، حينما أراد صالح بن ميثم التمار استماع الحديث من الإمام الباقر، فأجابـه قائلاً: ((أما سمعت الحديث من أبيك)) فقال: لا كنت صغيراً.

وبقي ميثم التمار على ولاء يقيني صادق لأمير المؤمنين عليه السلام ولآل بيته الكرام، وقد أخبرـه عليه السلام بأنه يموت مصلوباً، فقال له ميثم: وأنا على فطرة الإسلام فقال الإمام عليه السلام: نعم. وقد صدق أمير المؤمنين سلام الله عليه، لما طلب من ميثم التمار البراءة من الإمام عليه السلام فأبى، وكان صلباً في عقيدته، ولما أصعد على خشبة إعدامه أخذ يرد فضائل أهل البيت عليهم السلام، وقد استمد أبناءه هذه العقيدة وكان أولاده الستة: محمد وشعيب وصالح وعلي وعمران وحمزة من تلاميذ الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وقد حظي أبناء شعيب بن ميثم

التمار بمكانة بارزة في رواية الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقد أشار الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في كتابه (الرجال) إلى أبان بن عمر ختن آل ميثم التمار الكوفي وعده من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام^(١) وقد احتفظ ورثة ميثم التمار بكتاب في الحديث جمع فيه بعض الروايات عن الإمام علي عليه السلام، ولكنه لم يصل إلينا عدد من الكتب المفقودة. وقد روى جماعة من التابعين عن ميثم التمار وقد حدد تاريخ استشهاده عام ٦٠ هـ أي قبيل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

(١) الطوسي: الرجال ص ٥٨، ص ١٥١.

سلیمان بن صرد الخزاعي قائد التوابين

كان أبو مطرف سليمان بن صرد بن جون الخزاعي الكوفي، صحابياً جليلاً، فانه قد ولد في اليمن، واسلم على يد رسول الله ﷺ وكان اسمه في الجاهلية يساراً، فسماه النبي عليه أفضل الصلاة والسلام سليمان بعد إسلامه^(١) وقد شارك في بعض المغازي ومنها غزوة الخندق في السنة الخامسة للهجرة وكان قد اختار مدينة الكوفة سكناً له^(٢) منذ تأسيسها عام ١٧ هـ حيث بني داراً في قبيلته (خزاعة)^(٣) وقد ساعدت صحبته للنبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام على رواية الحديث الشريف. كما روى عن الإمامين علي والحسن عليهما السلام^(٤) وعن بعض الصحابة، وقد أشارت المصادر إلى تدينه ومكانته الاجتماعية، بحيث استنكر على عثمان بن عفان تصرفات واليه على الكوفة سعيد بن العاص، وبعد مقتل عثمان بaidu الإمام علي^(٥) وقد عده الشيخ الطوسي من رجال الشيعة^(٦) ولكن بعض المصادر أشارت إلى معاشرة الإمام علي عليهما السلام له عند عدم مشاركته في حرب الجمل^(٧) ولكنه شارك في معركة صفين، وأبلى فيها بلاء حسناً، حيث كان على ميمنة جيش الإمام علي^(٨) وقد حمل على القائد الأموي حوشب ذو ظليم وقتلها، وكان هذا القائد يرجح ويقول:

(١) الحاكم: المستدرك ٥٣٠/٣.

(٢) الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ١٩١، الخطيب: تاريخ بغداد ٢١٥/١.

(٣) المزي: تهذيب الكمال ٤٥٦/١١.

(٤) الزمخشري: الفائق في غريب الحديث ٣٩٦/١.

(٥) المقيد: النصرة لسيد العترة ص ١٠٨-١٠٩، الجمل ص ٥٢.

(٦) الطوسي: الرجال ص ٩٤.

(٧) الطبرى: المنتخب من ذيل المذيل ص ٧٣، نصر بن مزاحم: موقعة صفين ص ٦.

(٨) نصر بن مزاحم: موقعة صفين ص ٢٠٥.

نَحْنُ الْيَمَانِيُونَ وَمَنَا حَوْشَبْ
 فِينَا الصَّفِيفُ وَالقَنَا الْمَلَبْ
 إِنَّ الْعَرَاقَ حَبَّلَهَا مَذْبَنْبْ
 ذَا ظَلِيمٍ أَيْنَ مِنَ الْمَهْرَبْ
 وَالْخَيْلُ أَمْثَالُ الْوَشِيجِ شَزْبْ
 إِنْ عَلَيْا فَسِيكُمْ مَجْبَبْ
 (في قتل عثمان وكل مذنب)

فحمل عليه سليمان بن صرد الخزاعي وهو يقول^(١):

يَا لَكَ يَوْمًا كَاسِفًا عَصِيبَصَا
 يَا أَيَّهَا الْحَيُّ الَّذِي تَذَبَّذَبَا
 لَسْنًا نَخَافُ ذَا ظَلِيمٍ حَوْشَبَا
 لَانْ فِينَا بَطْلًا مَجْرَبَا
 أَمْسَى عَلَيَّ عَنْدَنَا مَحْبَبَا
 يَا لَكَ يَوْمًا لَا يَوْارِي كَوْكَبَا
 ابْنَ بَدِيلَ كَالْهَزْبَرِ مَغْضَبَا
 نَفْدِيَهُ بِالْأَلَمِ وَلَا نَبْقَيُ الْأَبَا^(٢)
 وَيَبْدُوا أَنَّ سَلِيمَانَ الْخَزَاعِيَّ قدْ أَصَبَّ بِوَجْهِهِ وَقَدْ جَاءَ إِلَى الْإِمَامِ عَلَيِّ^(٣)، وَالدَّمَاءُ تَسِيلُ مِنْهُ فَمَا كَانَ مِنَ الْإِمَامِ عَلَيِّ^(٤)، إِلَّا وَذَكَرَهُ بِقُولِهِ تَعَالَى:
 «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَنَظَّرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا»^(٥) وَكَانَ إِخْلَاصُهُ فِي
 الْحَرْبِ، وَثَبَاتُهُ عَلَى الْعِقِيدَةِ، جَعَلَهُ مَوْضِعَ ثَقَةِ الْإِمَامِ عَلَيِّ^(٦) بِهِ، فَوَلَاهُ بِلَادُ الْجَبَلِ
 (بَلْدَةُ بَيْنَ النَّعْمَانِيَّةِ وَوَاسِطَةِ)^(٧) وَبَعْدَ اسْتِقْرَارِ السُّلْطَةِ بِيَدِ مَعاوِيَةَ، وَتَعْيِينِ الْمَغِيرَةِ بْنِ
 شَعْبَةَ وَالْيَاً عَلَى الْكُوفَةِ، طَلَبَ مِنْهُ إِحْضَارُ سَلِيمَانَ بْنَ صَرْدَ الْخَزَاعِيِّ فِي صَلَةِ
 الْجَمَاعَةِ^(٨) وَرَبِّا أَرَادَ مِنْ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجَهُ إِلَيْهِ لَمَّا يَتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ نَفوْذٍ اِجْتِمَاعِيٍّ كَبِيرٍ،
 وَلَكِنَّ سَلِيمَانَ بَقَى عَلَى الْوَلَاءِ الْعَلَوِيِّ، كَمَا بَقَيَتْ قَبْيلَتُهُ عَلَى نَفْسِ الْوَلَاءِ^(٩) وَكَانَ
 عُمَرُ بْنُ الْحَمْقِ الْخَزَاعِيِّ مَثَلًاً رَائِعًا فِي الْوَلَاءِ حَيْثُ كَانَ عَلَى رَايَةِ خَزَاعَةِ فِي

(١) نَصْرُ بْنُ مَزَاحِمٍ: وَقْعَةُ صَفَينِ ص٤٠٠-ص٤١-ابْنُ شَهْرَ آشَوبٍ: مَنَاقِبُ آلِ أَبِي طَالِبٍ

.٣٥٨/٢

(٢) الْأَحْزَابُ: ٢٣.

(٣) الْبَلَانْدِرِيُّ: اَنْسَابُ الْأَشْرَافِ ١٦٦/٣.

(٤) الطَّبَرِيُّ: التَّارِيخُ ١٣٧/٤.

(٥) مَاسِنِيُونَ: خَطَطُ الْكُوفَةِ ص١٤٤.

معركة صفين^(١) وكان على الرجال عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وكان يحرض الناس على القتال: وهو يقول: ((قاتلوا الفئة الbagية الذين نازعوا الأمر أهله وقد قاتلتم مع النبي ﷺ ما هم في هذه بأذكى ولا ابر، قوموا إلى عدو الله وعدوكم رحمة الله))^(٢) وكان ولاء خزاعة واضحاً لأمير المؤمنين علیهم السلام، وقد أدرك معاوية ذلك فكان يقول: ((مع إن نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني فضلاً عن رجالها لفعلت))^(٣).

وقد كلف الإمام علیهم السلام عمرو بن الحمق الخزاعي بتوسيع شرطة الكوفة، وذلك لحفظ الأمن فيها، وبعد استشهاد الإمام علي علیهم السلام ومن بعده الإمام الحسن علیهم السلام، اجتمع الشيعة في الكوفة في دار سليمان بن صرد الخزاعي، واستقر رأيهم على مراسلة الإمام الحسين علیهم السلام، ولكن إيداع بعضهم في السجون والمعتقلات وإيصال بعضهم العافية والنكوص عن العهود المقطوعة بعدهم عن المشاركة في الثورة الحسينية وبعد استشهاد الإمام الحسين علیهم السلام شعروا بالذنب وأعلنوا التوبة، إذ إن استشهاد الإمام علیهم السلام وأهل بيته تركت في نفوس الكوفيين شعوراً بالإثم وبقيت مأساة الطف تسairy أذهانهم ومشاعرهم، فجاءت حركة التوابين طريقة للخروج من أطواق الأثم، فانضم كثير من القراء إلى سليمان بن صرد الخزاعي في محاولة لإرجاع الخلافة إلى أصحابها الشرعيين، وإقصاء آل أمية ومن والاها من المشايقين. وقد تحمل بعض التوابين مسؤولية تاريخية وشرعية بسبب تقاعسهم عن نصرة الإمام الحسين علیهم السلام، فان سليمان بن صرد الخزاعي لم يتحمل ذلك بسبب سجن الأمويين له في أثناء معركة الطف الأليم فقد قامت الدولة الأموية بحملة واسعة بين صفوف الشيعة حتى ذكرت بعض المصادر أربعة آلاف وخمسمائة

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٢٠٥، الدينوري: الأخبار الطوال ص ١٧١.

(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٣٦/٥.

(٣) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٢٤٧.

رجلًا في سجون عبيد الله بن زياد في الكوفة^(١) ومنذ عام ٦٨٠هـ/١٥٣٣م وهو العام الذي استشهد فيه الإمام الحسين عليهما السلام والبيه وأصحابه في كربلاء، اخذ سليمان بن صرد الخزاعي يوجه الدعوة إلى عدد من الرجال لمؤازرته^(٢) منها إلى سعد بن حذيفة بن اليمان في المدائن، والشنى بن مخربة العبدى في البصرة^(٣) وغيرهما، وكانت رسائله في متنهى السرية، وكانت عباراته تحمل كلمات النهضة والاستعداد للحرب منها (جدوا) و(اعدوا) و(استعدوا)، وتحمل كلمات التوبة والتلامس الأجر ونحو ذلك، وقد ورد في رسائل استشهاد حجر بن عدي الكندي واستشهاد ميثم التمار ورشيد الهجري وغيرهم، وذكرهم بجرائم زياد بن أبيه، ولما أعلن الثورة قام متوكأ على قوس له، فخطب خطبة ثورية منها ((ما معنا من ذهب ولا فضة، ولا خز ولا حرير وما هو إلا سيفنا في عوائضنا، ورماحنا في أكفنا، وزاد قدر البلقة إلى لقاء عدونا، فمن كان غير هذا فلا يصحبنا))^(٤) وقد أجابه عدد كبير، ولكن سرعان ما تخلفوا عنه، ولما وصل إلى النخيلة كان عدد جيشه قد بلغ أربعة آلاف مقاتل^(٥) وقد تحرك جيش التوابين نحو كربلاء، ولكن تخلف بعضهم في النخيلة، وقد وقفوا على قبر الإمام الحسين عليهما السلام وهو في صراغ وعويل، طالبين العفو والتوبة ووقفوا احدهم على القبر الشريف وانشد قائلًا^(٦):

تبيت النساء من أمية نوما	وبالطف قتلى ما ينام حميها
وما ضيع الإسلام إلا قبيلة	بأمر فزكاها ودام نعيها
وعادت قبة الدين في كف ظالم	إذا مال منها جانب لا يقيمها

(١) ابن طاووس: اللهو في قتل الطفوف ص ١٥٣، الاسفرايني: نور عين في مشهد الحسين ص ٩٤.

(٢) ابن الطقطقى: الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٢٠.

(٣) الطبرى: التاريخ ٤٢٩/٤، مسکویه: تجارب الأمم ٧٠/٢.

(٤) أبو مخنف: المقتل ص ٢٨٥.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية ٢٥١/٨.

(٦) ابن نما: ذوب النضار ص ٨٤.

فقيل إن الأبيات لوهب بن زمعة أو لعبيد الله بن الحارجعي وواصل بعد ذلك التوابون المسير للقاء آل أمية في بلاد الشام، وقد مرروا بمدينة قرقيسيا ومنها إلى (عين الوردة) حيث كانت فيها المعركة الخامسة، وبعد قتال، استمر ثلاثة أيام أصيب فيها سليمان بن صرد الخزاعي بسهم رماه يزيد بن الحصين بن نمير^(١) ولما وقع على الأرض قال: ((فزت ورب الكعبة)) فوقف عنده المسيب بن نجية وخطبه بالقول: ((رحمك الله يا أخي فقد صدقت ووفيت ما عليك، وبقي ما علينا))^(٢) فأخذ الراية المسيب وقاتل قتال الأبطال فاستشهد أيضاً، فتولى القيادة عبد الله بن سعد بن نفيل، تحف به المقاتلة من قبيلة الازد، وبعد قتال عنيف استشهد عبد الله، وأخذت الراية تنتقل من واحد لآخر. حتى علم التوابون إن الأمر سيؤول إلى الأمويين، فعند المساء انسحبوا إلى مدينة قرقيسيا ومنها إلى الكوفة وقد استفاد المختار بن أبي عبيد الثقفي من هزيمة التوابين، فاستقطب إلى صفوفه جماعة منهم عند إعلان ثورته.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٩٣/٤.

(٢) الطبرى: التاريخ ٤٦٥/٤.

نقابة العلوين في الكوفة في العصر العباسي

نقابة العلوين في الكوفة في العصر العباسي

حظيت النقابة العلوية في مدينة الكوفة في العصر العباسي، وبخاصة الأخير منه، بإدارة واسعة في رعاية العلوين، وحفظ أنسابهم وأصبح للنقيب العلوى (إمارة الحاج) وتسهيل القوافل إلى الديار المقدسة بدءاً من مدينة الكوفة، عبر آبار السيدة زبيدة الواقعة على الطريق المؤدي إلى مكة المكرمة، وما يؤكده اتساع سلطة النقيب العلوى في صدارته مدینيتي الحلة والكوفة، إضافة لنقابتي النجف الأشرف وكربلاء المقدسة كما أشار المؤرخ ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ) ويقول السيد ابن زهرة الحلبي: أن السيد زين الدين هبة الله بن أبي طاهر المولود عام ٢٦٧هـ، انه قد ولد صداره البلاد الخلية والковية، والنقابة العلوية في النجف وكربلاء، وبما ان السيد زين الدين قد عاش في العصر المغولي الإيلخاني أي بعد سقوط بغداد، والخلافة العباسية عام ١٢٥٦هـ / ١٢٥٨م، إلا إن أسرته قد تولت نقابة العلوين في العصر العباسي، وقد اشتهرت في مدينة الكوفة اسر علمية تولت نقابة العلوين فيها، وامتدت إلى مدينة النجف الأشرف وهي:

- آل الاشترا
- آل الآوي
- آل جماز
- آل الصوفي
- آل كتيلة
- آل سدرة
- آل المختار
- آل عبد الحميد
- آل الطقطقى
- آل الموسوى

١١- آل طاووس

وقد تولت النقاية العلوية رعاية المرقد الحيدري الشريف منذ القرن الرابع الهجري، الموافق للقرن العاشر الميلادي، ويقول المؤرخ ابن الأثير: أن السيد المرتضى أبو الفتح أسامة العلوي قد تولى النقاية العلوية في النجف الاشرف حتى عام وفاته ٤٧٢هـ، وذكر المؤرخ ابن الجوزي في كتابه (المتنظم في تاريخ الملوك والأمم) وفي أحداث عام ٥١٥هـ: أن الأعراب هاجموا قوافل الحاج، وخربوا العيون الواقعة في الطريق المؤدي إلى مكة المكرمة، وقد تولى أصلاحها نقيب العلويين في مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد بذل أموالاً طائلة في سبيل أصلاحها، وكانت بعض الأسر العلوية في مدینتي النجف الاشرف والكوفة قد جمعت بين العلم ونقاية العلويين، وفي مقدمتها أسرة آل عبد الحميد، وقد تولى السيد تاج الدين أبو الحسن علي نقاية العلويين وأمارة الحاج، وكان لبعض أعلام الأسرة معرفة في علم الأنساب وقد أضاف السيد النقيب جلال الدين عبد الحميد بن أبي طالب محمد بن عبد الله التقى لعلميته علم الأنساب، فقد كانت له معرفة واسعة فيه حتى وفاته عام ٦٦٦هـ، وقد دفن في المشهد العلوي الشريف وكانت لنقيب الأشراف العلويين نجم الدين محمد بن علي بن عبد الحميد صلة وثيقة بصاحب الديوان عطا ملك الجوزي، بعد سقوط الدولة العباسية عام ٦٥٨هـ / ١٢٥٨ م وقد اشرف على مشاريع عمرانية في مدینتي النجف الاشرف والكوفة واحتل بعض نقبيات العلويين مكانة ادبية، فكان النقيب شمس الدين القاسم علي أبيأ شاعراً، وقلده الخليفة العباسي الناصر لدين الله نقاية الطالبيين، وخلع على النقيب فخر الدين أبي الحسن محمد بن محمد بن المختار الكوفي نقاية الطالبيين في بغداد عام ٦٠٣هـ، وذلك في دار الغدير ناصر الدين ناصر بن مهدي العلوي، سلم اليه عهده بالنقاية واستمرت النقاية العلوية في أسر آل جماز وأآل الاشتر وأآل كتيلة في مدینتي النجف الاشرف والكوفة حتى العهددين المغولي والجلائري وبسط بعض النقباء سلطانهم على مدينة كربلاء، ويقول السيد ابن زهرة في كتابه (غاية الاختصار): أن السادة آل كتيلة سادة عظاماء و منهم النقباء

والرؤساء والفضلاء والزهاد، ومنهم من اختص في علم الاتساب، وتوسيع السيد ابن عبة الداودي في كتابه (عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب) في دراسة الأسر العلوية الكوفية، وأوضح مكانتهم العلمية والاجتماعية، ويمكن للباحث المتبع لنقباء العلويين في النجف والكوفة، أن يستخلص جوانب سياسية وعلمية واجتماعية مهمة.

الخاتمة

إن المخطات التي تناولها كتابنا قد كشفت جوانب من تاريخ مدينة الكوفة، في حقب زمنية مختلفة، ولم تراع الدراسة هذه التسلسل التاريخي في كتابة هذه المخطات، وإنما أعطينا للقارئ الكريم فرصة الاختيار في قراءة هذه المخططة أو تلك، وقد ابتعدنا عن الخوض في الأحداث السياسية، لأن الباحثين لم يتركوا جانباً من جوانبها إلا ودرسوه، وإن تغطية الأحداث السياسية، يجعلنا نغوص في أعماق الجوانب الأخرى، ولاشك إن سعة الكتابة عن الكوفة تجعل الباحثين في حرية في اختيار الجوانب التي لم تبحث أو التي بحثت بصورة غير مستوفية، وكنا قد أردنا دراسة تاريخ (المثلث التاريخي الحضاري) الذي يتناول مدينة الحيرة في عمقها التاريخي، ومدينة الكوفة في عمقها السياسي والعلمي، ومدينة النجف الأشرف في تاريخها الطويل. وتأتي دراستنا للكوفة، بعد صدور أجزاء من كتابنا (المفصل في تاريخ النجف الأشرف) وإن شاء الله تعالى تأتي دراستنا للحيرة لاحقة بعد الكوفة وعند ذلك تستكمل دراسة المثلث الذي أشرنا إليه، وإن الرقعة الجغرافية التي تحتضن المثلث الحضاري، قد تدخلت فيها بعض الأحداث مما أعطتها صفة الوحدة أو التكامل، لأن أبعاد المثلث غير متباude من الجانب الجغرافي. ولعل مصطلح (الظهر) الذي أطلق على الحيرة والكوفة، والذي يحتضن النجف الأشرف كان عاماً على تداخل أجزاء المثلث وإعطائه الصفة التكاملية، والوحدة الجغرافية ولعل مصادر التاريخ والبلدان في مقدمة المصادر التي شخصت هذه الوحدة. وأنني في هذه الدراسة الموجزة، ذات الأبعاد المختلفة قد غطيت صفحات من التاريخ الكوفي، أما الصفحات الأخرى فأ أنها ترك للباحثين والمؤرخين، ولعل طلبة الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) في أقسام التاريخ والجغرافية واللغة العربية والاجتماع والعلوم الإنسانية الأخرى، اقدر من غيرهم على الخوض في التاريخ الكوفي، ويجب أن لا ننسى إن العلوم البحتة والتطبيقية لها نصيب في التاريخ، ويمكن دراسة الكوفة من خلال دراسة (العلوم عند العرب)، وأسائل الله تعالى العون في إكمال مشاريعنا العلمية، انه نعم المولى ونعم النصير.

المصادر والمراجع

١- القران الكريم

٢- العهد العتيق، سفر التكوين، بيروت ١٨٨٢ م.

أولاً: المخطوطات:

الافندي: الميزا عبد الله بن عيسى الأصفهاني

٣- رياض العلماء، مخطوطة مصورة في مكتبة الإمام الحكيم العامة في
النجف الاشرف.

ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ)

٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مخطوطة في مكتبة المجمع العلمي
العربي/بغداد.

ثانياً: المطبوعات:

إبراهيم شريف (الدكتور)

٥- الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي
مطبعة شفيق/بغداد.

ابن أبي الحديد: عز الدين أبو حامد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦ هـ)

٦- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء
الكتب العربية. الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م.

ابن أبي اصييع: موفق الدين أبو العباس احمد السعدي الخزاعي
(ت ٦٦٨ هـ)

٧- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق الدكتور نزار رضا دار مكتبة
الحياة/بيروت ١٩٦٥ م.

ابن أبي الوفاء: محبي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد القرشي (ت ٧٧٥ هـ)

٨- الجوواهر المضية في طبقات الحنفية، مطبعة مجلس دائرة المعارف
النظامية/حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى ١٣٣٢ هـ.

- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ)
 ٩- الكامل في التاريخ، دار صادر/بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
 احمد أمين (ت ١٣٧٣هـ)
- ١٠- فجر الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة العاشرة ١٩٦٥م.
- ١١- ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي/بيروت، الطبعة العاشرة.
 احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)
- ١٢- المسند، شرح احمد محمد شاكر، الطبعة الثالثة دار المعارف للطباعة والنشر/مصر ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.
 احمد شلبي (الدكتور)
- ١٣- تاريخ التربية الإسلامية، مطبعة دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ١٩٥٤م.
 احمد عادل كمال
- ١٤- فتوح الشرق بعد القادسية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م.
 أدي شير
- ١٥- الألفاظ الفارسية العربية، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين/بيروت ١٩٠٨م.
 الاربلي: عبد الرحمن بن سنباط (ت ٧١٧هـ)
- ١٦- خلاصة الذهب المسبوك، طبع في بغداد.
 الاربلي: أبو الحسن علي بن عيسى (ت ٦٩٣هـ)
- ١٧- كشف الغمة في معرفة الأئمة، مطبعة النجف/النجف الاشرف.
 الاذدي: أبو زكريا يزيد بن محمد (ت ٣٣٤هـ)
- ١٨- تاريخ الموصل، تحقيق الدكتور علي حبيبة، دار التحرير للطبع والنشر/القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

- الأصفهاني: حمزة بن الحسن
- ١٩- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، مطبع دار مكتبة الحياة/بيروت.
- الاصطخري: إبراهيم بن محمد
- ٢٠- المسالك والمالك، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحسيني مطبع دار القلم/القاهرة ١٩٦١م.
- أسد حيدر
- ٢١- الإمام الصادق والمذاهب الأربع، مطبعة النجف/النجف الاشرف، الطبعة الثانية هـ١٣٨٣ مـ١٩٦٣.
- الاسفرايني: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد
- ٢٢- نور العين في مشهد الحسين، مطبعة البابي الخلبي وأولاده/مصر هـ١٣٣٩.
- الأصفهاني: أبو نعيم احمد بن عبد الله (تـ٤٣٠ هـ)
- ٢٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي/بيروت، الطبعة الثانية ١٩٦٧م.
- ابن اعثم الكوفي: أبو محمد احمد (تـ٣١٤ هـ)
- ٢٤- الفتوح، دار الندوة الجديدة/بيروت ١٩٧١م.
- الافوه الاودي: أبو ربيعة ملاءة بن عمرو
- ٢٥- الديوان، ضمن كتاب الطرائف الأدبية، لجنة التأليف والترجمة والنشر/القاهرة ١٩٧٣م.
- الأمين: محسن الحسيني العاملي (تـ١٣٧١ هـ)
- ٢٦- أعيان الشيعة، مطبع الإتقان والأنصاف/بيروت، مطبع ابن زيدون والترقي/دمشق.
- الاميني: محمد هادي
- ٢٧- معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، مطبعة

- الآداب/النجف الاشرف، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- ابن الانباري: أبو البركات
- ٢٨- نزهة الالبا في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي/بغداد ١٩٥٩م.
- البحرياني: يوسف يوسف بن احمد (ت ١١٨٦هـ)
- ٢٩- الخدائق الناصرة في أحكام العترة الطاهرة، تحقيق الشيخ محمد تقى الابرواني، مطبعة النجف، النجف الاشرف ١٣٧٧هـ.
- البراقى: حسين احمد النجفى (ت ١٣٢٢هـ)
- ٣٠- تاريخ الكوفة، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- ٣١- الدرة البهية في فضل كربلاء وتربيتها الزكية، تحقيق السيد علي الهاشمي، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
- البستانى: بطرس
- ٣٢- دائرة المعارف، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان/طهران.
- البستانى: عبد الله
- ٣٣- فاكهة البستان، المطبعة الاميركانية/بيروت ١٩٣٠م.
- ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٧٧٩هـ)
- ٣٤- الرحلة (تحفة الناظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المكتبة التجارية الكبرى/مصر ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م).
- البغدادى: إسماعيل بن محمد أمين البابانى (ت ١٣٣٩هـ)
- ٣٥- هدية العارفين – أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، مطبعة المعارف الجليلة/استانبول.
- البغدادى: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ)
- ٣٦- مراصد الاطلاع على أسماء الأمة والبقاء، تحقيق علي محمد البعاوي، دار أحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ)

٣٧- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تحقيق عبد السلام
هارون/القاهرة ١٩٨٩ م.

البرقوقي: عبد الرحمن

٣٨- شرح ديوان المتبي، دار الكتاب العربي/بيروت ١٩٧٩ هـ /١٣٩٩ م.
البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ)

٣٩- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق مصطفى
السقا مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/القاهرة، الطبعة الأولى
١٩٥١ م.

البلاذري: أبو الحسن احمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ)

٤٠- انساب الأشراف، مكتبة المشتبه/بغداد.

٤١- فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب
العلمية/بيروت ١٩٧٨ م.

بلاشين: ريجيس (الدكتور)

٤٢- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ترجمة الدكتور إبراهيم
كيلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/بيروت.

البهائي: محمد بن الحسين العاملي (ت ١٠٣١ هـ)

٤٣- مشرق الشمسمين واكسير السعادتين الملقب بمجمع النورين ومطلع
النيرين، طبع حجر ١٣١٩ هـ.

بروكلمان: كارل

٤٤- تاريخ الأدب العربي، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار وآخرون،
دار المعارف/مصر، الطبقة الثانية ١٩٦٢ - ١٩٧٧ م.

٤٥- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين ومنير البعلبي، دار
العلم للملايين/بيروت، الطبعة الثانية ١٩٦٠ م.

ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ م)

٤٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبع كوستاتسوماس وشركاه/ القاهرة.

الشوكسي: أبو علي المحسن بن علي (ت٤٨٤هـ)

٤٧- الفرج بعد الشدة، دار الطباعة الحمودية/ القاهرة ١٣٧٥هـ.

٤٨- نشور المعاشرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشاجي مطبع دار صادر/ بيروت ١٩٧٢م.

الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت٤٢٩هـ)

٤٩- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مطبعة الظاهر/ القاهرة ١٩٠٨م.

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)

٥٠- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة ١٩٧٥م.

٥١- التبصر بالتجارة، طبع مصر ١٩٦٣م.

٥٢- الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية ١٩٦٦م.

جاسم حسن شبر

٥٣- تاريخ المشعشعين وترجمات أعلامهم، مطبعة الآداب/ النجف الاشرف ١٩٦٥م.

جامعة الدول العربية

٥٤- المعالم الأثرية في البلاد العربية، مطبع مذكور وأولاده/ القاهرة ١٩٧١م.

جب، هامilton

٥٥- دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة الدكتور إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين/ بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.

الجعوري: كامل سلمان

٥٦- تاريخ الكوفة الحديث، مطبعة الغري/ النجف الاشرف، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

- ابن جبیر: أبو الحسن محمد بن احمد الکناني (ت٦١٤ھ)
 ٥٧- الرحلة، تحقيق الدكتور حسين نصار، دار مصر للطباعة.
- جريجي زيدان (ت١٩١٤م)
 ٥٨- تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال/مصر.
- ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت٨٣٣ھ)
 ٥٩- غاية النهاية في طبقات القراء، مطبعة السعادة/مصر، الطبعة الأولى
 .١٩٣٢ھ/١٣٥١م.
- جلال شمس الدين
 ٦٠- التحليل اللغوي عند الكوفيين، مؤسسة الثقافة
 الجامعية/الاسكندرية ١٩٩٤م.
- ابن جلجل: أبو داود سليمان بن حسان
 ٦١- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سفر/القاهرة ١٩٥٥م.
- جمال الدين: مصطفى (الدكتور)
 ٦٢- القياس حقيقته وحجيتها، مطبعة النعمان/النجف الاشرف ١٩٧٢م.
- جميل نخلة
 ٦٣- حضارة الإسلام في دار السلام/القاهرة ١٩٣٥م.
- الجنابي: كاظم (الدكتور)
 ٦٤- تخطيط الكوفة طبع عام ١٣٨٦ھ/١٩٦٧م.
- الجندی: عبد الحميد
 ٦٥- ابن قتيبة، مطبعة الدار المصرية
 ابن جنی: أبو الفتح عثمان الموصلي (ت٣٩٢ھ)
- ٦٦- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار الهيئة المصرية العامة
 للكتاب/القاهرة ١٩٨٦م.
- جواد علي (الدكتور)
 ٦٧- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين/بيروت

.١٩٧٦

الجواليقي: أبو منصور موهوب بن احمد (ت ٥٤٠ هـ)

.٦٨ - أدب الكاتب، مكتبة القدسية / القاهرة ١٣٥٠ هـ.

.٦٩ - المَعْرُوبُ مِنَ الْكَلَامِ الْأَعْجَمِيِّ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجمِ، تَحْقِيقُ أَحْمَدِ
مُحَمَّدِ شَاكِرٍ، دارِ الْكِتَابِ الْمُصْرِيَّةِ ١٣٦١ هـ.

حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله (ت ٦١٠ هـ)

.٧٠ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المطبعة
الإسلامية / طهران، الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.

الحاكم النيسابوري / أبو عبد الله محمد بن عبد الله

.٧١ - المستدرك على الصحيحين، مكتب المطبوعات الإسلامية / حلب.

.٧٢ - معرفة علوم الحديث، مطابع شركة الخدمات الصحفية
والطباعية / بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٩ م.

الجوبي / محمد سعيد

.٧٣ - الديوان، مطابع دار الرسالة / الكويت ١٩٨٠ م.

ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)

.٧٤ - الإصابة في تمييز الصحابة، الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ.

.٧٥ - تقريب التهذيب، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ.

.٧٦ - تهذيب التهذيب، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية / حيدر آباد
الدکن، الطبقة الأولى ١٣٢٥ هـ.

.٧٧ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق،
مطبعة المدنى / القاهرة ١٩٦٦ م.

.٧٨ - لسان الميزان، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية / حيدر آباد
الدکن، الطبقة الأولى ١٣٢٩ هـ.

الحاديسي: نزار عبد اللطيف (الدكتور)

.٧٩ - أهل اليمين في صدر الإسلام، الموسوعة العربية للدراسات

- والنشر/بيروت ١٩٧٨ م.
- ابن حزم: أبو محمد علي بن احمد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)
- ٨٠ جمهرة انساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف المصرية ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.
- حسن إبراهيم حسن (الدكتور)
- ٨١ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مطبعة السنة الحمدية/القاهرة ١٩٦٤-١٩٦٧م.
- حسين نصار (الدكتور)
- ٨٢ نشأة التدوين التاريخي عند العرب مطبعة السعادة/مصر.
- ٨٣ نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي/مطبعة السنة الحمدية، الطبعة الثانية ١٩٦٦م.
- الحسيني: صدر الدين علي خان المدنی الشیرازی (ت ١١٢٠هـ)
- ٨٤ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.
- الحكيم: حسن (الدكتور)
- ٨٥ تحقيق الدرة المضية في ذكر الحنانة والثوية، طبع عام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- ٨٦ الشيخ الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن، مطبعة الآداب/النجف الاشرف، الطبعة الأولى ١٩٧٥م.
- ٨٧ لمحات من تاريخ الطب وعلوم الحياة في الكوفة في العصور العربية الإسلامية، مكتب المناهل/النجف الاشرف ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- الحميري: أبو العباس عبد الله بن جعفر
- ٨٨ قرب الإسناد، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٦٩هـ.
- الحميري: محمد عبد المنعم
- ٨٩ الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق الدكتور إحسان عباس،

دار القلم للطباعة/بيروت ١٩٧٥ م.

حنا فاخوري

٩٠- تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية/بيروت الطبعة الثالثة

.م ١٩٦٠

الخاقاني: علي

٩١- شعراء الغري أو النجفيات، المطبعة الخيدرية/النجف الاشرف

.م ١٩٥٦-١٩٥٤

٩٢- مقدمة كتاب (معلومات ومشاهدات) للسيد محمد علي كمال

الدين، مطبعة التضامن ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

خالد محمد خالد

٩٣- في رحاب علي، مكتبة الانجلو المصرية/القاهرة الطبعة الأولى

.م ١٩٦٦

خصباك: جعفر حسين (الدكتور)

٩٤- العراق في عهد المغول الایلخانيين، مطبعة العاني/بغداد، الطبعة

الأولى ١٩٦٨م.

الخطيب البغدادي: أبو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٢هـ)

٩٥- تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي/بيروت.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ)

٩٦- التاريخ (العبر وديوان المبدأ والخبر)، بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

ابن خلكان: شمس الدين أبو العباس احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)

٩٧- وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان تحقيق الدكتور إحسان عباس،

دار صادر/بيروت.

الخليلي: جعفر

٩٨- هكذا عرفتهم، مطبعة الزهراء والتعارف/بغداد، ودار

الكتب/بيروت ١٩٦٣-١٩٧٢م.

الخليلي: محمد

٩٩- طب الإمام الصادق، مطبعة النعمان/النجف الاشرف ١٣٧٤هـ.

الخوئي: أبو القاسم الموسوي

١٠٠- معجم رجال الحديث، مطبعة الآداب/النجف الاشرف الطبة الأولى ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

الخوانساري: محمد باقر الموسوي

١٠١- روضات الجنات في أحوال العلماء والسدادات، تحقيق أسد الله إسماعيليان، مطبعة مهراستوار/قم ١٣٩٢هـ.

الخيباني: محمد علي التبريزي المدرس

١٠٢- ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب، مطبعة سعدي وسامي والعلمية ١٣٦٨-١٩٧٣م.

الخطاط: جعفر

١٠٣- النجف في المراجع، موسوعة العتبات المقدسة/قسم النجف، دار التعارف/بغداد.

الداودي: شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٤٥هـ)

١٠٤- طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ)

١٠٥- الاشتقاد، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

الدوري: عبد العزيز (الدكتور)

١٠٦- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية/بيروت ١٩٦٠م.

١٠٧- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري المطبعة الكاثوليكية/بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.

الدينوري: أبو حنيفة احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ)

- ١٠٨- الأخبار الطوال، مطبعة عبد الحميد احمد حنفي / مصر.
الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨ هـ)
- ١٠٩- تذكرة الحفاظ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد
الدكن، الطبعة الثالثة ١٩٥٧ م.
- ١١٠- دول الإسلام، تحقيق فهيم محمد شلتوت و محمد مصطفى إبراهيم،
الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٤ م.
- ١١١- العبر في خبر من غبر، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد وفؤاد
سفر، الكويت ١٩٦٦ م.
- ١١٢- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق عزت علي
وآخرون، دار النصر للطباعة / القاهرة ١٩٧٢ م.
- ١١٣- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البحاوي، دار
إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م.
- الرازي: أبو بكر محمد بن زكريا
- ١١٤- الحاوي في الطب، دار الكتب العلمية / بيروت.
ابن رشيق: أبو علي الحسن القيراني
- ١١٥- العمدة في محسن الشعراء وأدابه ونقده، مطبعة السعادة / مصر،
الطبعة الثانية ١٩٥٥ م.
- روزنثال: فرانز
- ١١٦- علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي،
مطبعة العاني / بغداد ١٩٦٣ م.
- الريhani: أمين
- ١١٧- الأعمال العربية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،
الطبعة الأولى ١٩٨٠ م.
- الزييدي: محمد حسين (الدكتور)
- ١١٨- العراق في العصر البوبي (التنظيمات السياسية والإدارية

- والاقتصادية) دار النهضة العربية ١٩٦٩ م.
- الزيدي: محب الدين أبو الفيض محمد بن محمد الحسيني (ت ١٢٥٥ هـ)
- ١١٩- تاج العروس في شرح القاموس، مطبع دار صادر/بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- الزيدي: أبو بكر بن الحسن (ت ٣٧٩ هـ)
- ١٢٠- طبقات النحوين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الزركلي: خير الدين القاهرية ١٩٥٤م.
- ١٢١- الأعلام، دار العلم للملايين/بيروت ١٩٧٩م.
- زكي محمد حسن
- ١٢٢- فنون الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر/القاهرة ١٩٤٨م.
- الزمخري: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ)
- ١٢٣- الفائق في غريب الحديث دار إحياء الكتب العربية/القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.
- ابن زهرة: تاج الدين محمد الحسيني
- ١٢٤- غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.
- السامرائي: كمال
- ١٢٥- مختصر تاريخ الطب العربي، دار الحرية للطباعة/بغداد.
- سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قراواغلي (٦٥٤ هـ)
- ١٢٦- تذكرة الخواص المطبعة العلمية/النجف الاشرف ١٣٦٩هـ.
- سعاد ماهر (الدكتورة)
- ١٢٧- مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف، دار المعارف/مصر ١٩٦٩م.

ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري (ت ٢٣٠ هـ)

١٢٨- الطبقات الكبرى، دار صادر/بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

سعد عبود سمار

١٢٩- قبيلة مذحج قبيل الإسلام حتى نهاية العهد الراشدي، بغداد

١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

السعاني: أبو سعد عبد الكري姆 بن محمد التميمي (ت ٦٢٥ هـ)

١٣٠- الأنساب، مطبعة دائرة المعارف العثمانية/حيدر آباد الدكن،

الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

السويدى: عبد الرحمن

١٣١- حدائق الزوراء في سيرة الوزراء (أو تاريخ بغداد) تحقيق الدكتور

صفاء خلوصي، مطبعة الزعيم/بغداد ١٩٦٢م.

السيد عبد العزيز سالم

١٣٢- التاريخ والمؤرخون العرب، شركة الإسكندرية للطباعة والنشر

١٩٦٧م.

ابن سيدة: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت ٤٥٨ هـ)

١٣٣- المخصص، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر/بيروت.

السيوطى: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ)

١٣٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل

إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى

١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

١٣٥- طبقات الحفاظ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد. مطبعة

السعادة/مصر، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

١٣٦- المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد احمد جاد المولى وآخرون، دار

إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى.

الشابستي: أبو الحسن علي بن الحسن (ت ٣٨٨ هـ)

- ١٣٧- الديارات، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف/بغداد، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- ابن شاكر الكتبى: محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ)
- ١٣٨- فوات الوفيات، تحقيق الدكتور إحسان عباس دار صادر/بيروت ١٩٧٣م.
- شاكر مصطفى
- ١٣٩- التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملاليين/الطبعة الأولى ١٩٧٨م.
- ١٤٠- المدن في الإسلام، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- الشبيبي: محمد رضا
- ١٤١- مقدمة تاريخ الكوفة، المطبعة الحيدرية/النجف الأشرف، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- الشرقي: علي
- ١٤٢- الأحلام، شركة الطبع والنشر الأهلية/بغداد الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
- الشريف المرتضى: علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ)
- ١٤٣- الامالي (غمر الفوائد ودرر القلائد) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية/القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٤م.
- شكري فيصل (الدكتور)
- ١٤٤- المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار العلم للملاليين/بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٧٨م.
- الشكري: جابر (الدكتور)
- ١٤٥- لمحات بآثار العراق العلمية في الكيمياء، دار الحرية للطباعة/بغداد ١٩٨٥م.
- الشكلعة: مصطفى (الدكتور)

- ١٤٦- مناهج التأليف عند العرب، الطبعة الأولى/بيروت ١٩٧٣م.
شمس الدين: محمد رضا
- ١٤٧- حديث الجامعة النجفية، المطبعة العلمية/النجف الاشرف
١٩٥٣هـ/١٣٧٣م.
- ابن شهر آشوب: رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ)
- ١٤٨- معالم العلماء، مطبعة فردین/طهران ١٣٥٣هـ.
- ١٤٩- مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف
١٩٥٦هـ/١٣٧٦م.
- الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ)
- ١٥٠- الملل والنحل، الطبعة الأولى/القاهرة ١٩٤٨هـ/١٣٦٨م.
- شوقي ضيف (الدكتور)
- ١٥١- التطور والتجديد في العصر الأموي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر/القاهرة ١٩٥٢م.
- ١٥٢- العصر العباسي الأول، دار المعارف/مصر الطبعة الثالثة المنقحة.
الشيرازي: أبو إسحاق (ت ٤٧٦هـ)
- ١٥٣- طبقات الفقهاء، بغداد ١٣٥٦هـ.
- الشيرازي: عبد الرحمن بن نصر
- ١٥٤- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق الدكتور السيد الباز العريني،
دار الثقافة/بيروت.
- شيخو: لويس اليسوعي
- ١٥٥- شعراء النصرانية في الإسلام، المطبعة الكاثوليكية/بيروت ١٩٦٧م.
الصابي: غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال (ت ٤٨٠هـ)
- ١٥٦- الهفوّات النادرة، تحقيق الدكتور صالح الأشتر الطبعة
الأولى/دمشق ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- صالح مهدي عماش

- ١٥٧- من ذي قار إلى القادسية، مطبعة الحكومة بغداد ١٩٧٢م.
الصدق: أبو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ)
- ١٥٨- الخصال المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- ١٥٩- من لا يحضره الفقيه، تحقيق السيد حسن الخرسان مطبعة النجف/الاشraf، الطبعة الرابعة ١٣٧٨هـ.
- الصفدي: صلاح الدين خليل بن ابيك (ت ٧٦٤هـ)
- ١٦٠- الوافي بالوفيات، دار النشر/فرازتر ستايير قيساردن ١٩٦١م.
الطائي: فاضل احمد (الدكتور)
- ١٦١- أعلام العرب في الكيمياء، دار الحرية للطباعة/بغداد ١٩٨١م.
طاش كبرى زاده: احمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ)
- ١٦٢- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو نور، مطبعة السعادة الكبرى/القاهرة.
- ابن طاووس: غيث الدين عبد الكريم (ت ٦٩٣هـ)
- ١٦٣- فرحة الغري في تعين قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النجف/المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٦٨هـ.
- ابن طاووس: رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ)
١٦٤- إقبال الأعمال.
- ١٦٥- مصباح الزائر، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهما السلام، قم ١٤١٧هـ.
طه حسين (الدكتور)
- ١٦٦- مع المتبي، دار المعارف/القاهرة ١٩٥٧م.
الطبرسي: أمين الدين الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)
- ١٦٧- مجمع البيان في تفسير القرآن، شركة المعارف الإسلامية/طهران ١٣٧٩هـ.
- الطبرى: أبو جعفر محمد بن أبي القاسم محمد بن علي
- ١٦٨- بشارة المصطفى لشيعة المرتضى المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف،

- الطبعة الثالثة ١٩٦٣ هـ / ١٣٨٣ م.
- الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٢٣١٠ هـ)
- ١٦٩- التاريخ (تاريخ الرسل والملوك) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،
دار المعارف/ مصر ١٩٧٢ م.
- ١٧٠- المنتخب من كتاب ذيل الذيل، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،
دار المعارف/ مصر ١٩٧٧ م.
- الطريحي: فخر الدين محمد النجفي (ت ١٠٨٥ هـ)
- ١٧١- مجمع البحرين، تحقيق السيد احمد الحسيني، مطبعة الآداب/ النجف الاشرف ١٣٨٦ هـ.
- ابن الطقطقى: محمد علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ)
- ١٧٢- الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية/ مطبعة محمد علي صبيح وأولاده القاهرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م.
- أغا بزرگ محمد محسن (ت ١٣٨٩ هـ)
- ١٧٣- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، مطابع الغري والأداب/ النجف الاشرف، ومجلس الشورى ودولتي الإسلامية/ طهران ١٣٥٥ - ١٣٩٠ هـ.
- ١٧٤- مقدمة كتاب التبيان للشيخ الطوسي، مطبعة النعمان/ النجف الاشرف، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ.
- الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)
- ١٧٥- اختيار معرفة الرجال المعروف ب الرجال الكشي، جايجانه دانشکاه/ طهران ١٣٤٨ هـ.
- ١٧٦- الامالي، مطبعة النعمان/ النجف الاشرف ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
- ١٧٧- التبيان في تفسير القرآن، المطبعة العلمية والنعمان/ النجف الاشرف ١٣٧٦ - ١٣٨٣ هـ.
- ١٧٨- الرجال، المطبعة الحيدرية/ النجف الاشرف ١٩٦١ م.
- ١٧٩- الفهرست، المطبعة الحيدرية/ النجف الاشرف، الطبعة الثانية

١٩٦١هـ/١٣٨٠م.

ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ)

١٨٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البحاوي،
مطبعة نهضة مصر.

عبد الحميد العبادي

١٨١- المامة بالتاريخ عند العرب، من كتاب علم التاريخ لهرنشو، مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧م.

عبد الجبار فارس

١٨٢- عامان في الفرات الأوسط، مطبعة الراعي/النجف الاشرف،
الطبعة الأولى ١٣٥٣هـ.

ابن عبد ربه: احمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)

١٨٣- العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة
الاستقلال/القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.

عبد الرحيم محمد علي

١٨٤- الرهيمة، مطبعة الغري الحديثة/النجف الاشرف ١٩٦٦م.

عبد السلام محمد هارون

١٨٥- مقدمة كتاب صفين، مطبعة المدنى/القاهرة الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ.

أبو عبيدة: معمر بن بشير (ت ٢٠٩هـ)

١٨٦- أيام العرب قبل الإسلام، تحقيق عادل جاسم البياتي مطبعة دار
المحاظ للطباعة والنشر/بغداد ١٩٧٦م.

١٨٧- مجاز القرآن، مطبعة السعادة/مصر، الطبعة الثانية
١٩٧٠هـ/١٣٩٠م.

١٨٨- نقائض جرير والفرزدق.

العدوي

١٨٩- مقدمة عيون الأخبار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة

والطباعة والنشر.

العزاوي: عباس

١٩٠- تاريخ الأدب العربي في العراق، مطبعة المجمع العلمي/بغداد
١٩٦٢-١٩٦١م.

١٩١- تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة بغداد وشركة التجارة والطباعة
المحدودة ١٩٥٣-١٩٦٣م.

١٩٢- التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، شركة التجارة
والطباعة المحدودة/بغداد ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

العقاد: عباس محمود

١٩٣- عقريبة الإمام، دار المعارف/مصر، الطبعة الرابعة.

العطية: وداي

١٩٤- تاريخ الديوانية قديماً وحديثاً، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف
١٩٥٤م.

العكبي: عبد الله بن الحسن

١٩٥- شرح ديوان المتني، المطبعة العامرة الشرقية ١٣٠٨هـ.

علاء موسى نورس

١٩٦- العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية (١٧٠٠-١٧٤٠)
١٩٧٩م) دار الحرية للطباعة/بغداد ١٩٧٩م.

العلامة الحلبي: جمال الدين الحسن بن يوسف بن المظفر (ت ٧٢٦هـ)

١٩٧- الرجال أو خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تحقيق السيد محمد
صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف، الطبعة الثانية
١٣٨١هـ/١٩٦١م.

علي ادهم

١٩٨- بعض مؤرخي الإسلام، المؤسسة العربية للنشر/بيروت.

أبو علي: محمد بن إسماعيل

- ١٩٩- متهى المقال في علم الرجال، طبع حجر ١٣٠٠هـ.
عماد عبد السلام رؤوف (الدكتور)
- ٢٠٠- التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني الدار
العربية/بغداد، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
- ٢٠١- عمر فروخ
- ٢٠٢- تاريخ الأدب العربي في العصور العباسية، دار العلم
للملايين/بيروت ١٩٨٥م.
العمري: ابن فضل احمد بن يحيى
- ٢٠٣- مسالك الأبصار في مالك الأمصار، تحقيق احمد زكي مطبعة دار
الكتب المصرية ١٩٢٤م.
ابن العماد: أبو الفلاح عبد الحفي (ت ١٠٨٩هـ)
- ٢٠٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القديسي/القاهرة
١٣٥٠هـ.
- ٢٠٥- إسهامات علماء الكوفة في الحركة الفكرية في بغداد/أطروحة
دكتوراه ١٤١٢هـ/٢٠٠٠م.
ابن عنبة: جمال الدين احمد بن علي الداودي الحسني (ت ٨٢٨هـ)
- ٢٠٦- عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، المطبعة الخيدرية/النجف
الاشرف.
العيashi: أبو النصر محمد بن مسعود السلمي
- ٢٠٧- التفسير، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاطي، المطبعة العلمية.
الفتال: محمد النيسابوري (ت ٥٠٨هـ)
- ٢٠٨- روضة الوعاظين، المطبعة الخيدرية/النجف الاشرف ١٣٨٦هـ.

أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢ هـ)

٢٠٩- المختصر في أحوال البشر، الطبعة الحسينية المصرية/الطبعة الأولى

١٣٢٥هـ.

أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ)

٢١٠- الأغاني، مؤسسة جمال للطباعة والنشر/بيروت.

ابن الفقيه: أبو بكر احمد بن محمد الهمданى

٢١١- مختصر كتاب البلدان/مطبعة برييل/ليدن ١٣٠٢هـ.

الفقيه: محمد تقي

٢١٢- جامعة النجف في عصرها الحاضر، مطبعة صور الحديثة/لبنان.

فلهاوزن، يوليوس

٢١٣- تاريخ الدولة العربية، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة،

لجنة التأليف والترجمة والنشر/القاهرة ١٩٦٨ م.

فنسيك: ارنستان

٢١٤- مادة (الخندق) دائرة المعارف الإسلامية.

٢١٥- فؤاد سزكين.

٢١٦- تاريخ التراث العربي، ترجمة الدكتور فهمي أبو الفضل، الهيئة

المصرية العامة للتأليف والنشر/القاهرة ١٩٧١ م.

ابن الفوطي: كمال الدين عبد الرزاق بن احمد الشيباني (ت ٧٢٣ هـ)

٢١٧- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق الدكتور مصطفى

جود، المطبعة الهاشمية/دمشق ١٩٦٢ - ١٩٦٥ م.

٢١٨- الحوادث الجامدة والتجارب النافعة في المائة السابعة، مطبعة

الفرات/بغداد ١٣٥١هـ.

فياض: عبد الله (الدكتور)

٢١٩- تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي

الصادق والطوسي، مطبعة اسعد/بغداد ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ م.

- الفيلوز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب
 ٢٢٠- القامسي المحيط، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده/ مصر
 الطبعة الثانية هـ١٣٧١ / مـ١٩٥٣ .
- فيليپ حتی (الدكتور)
- ٢٢١- تاريخ العرب، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع/ بيروت
 هـ١٣٧٣ / مـ١٩٥٣ .
- القالى: أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (تـ٥٣٥هـ)
 ٢٢٢- الامالي، مطبع دار الفكر.
- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (تـ٢٧٦هـ)
 ٢٢٣- الإمامة والسياسة (منسوب لابن قتيبة)، تحقيق طه محمد الزيني،
 دار المعرفة ١٩٦٧م.
- ٢٢٤- عيون الأخبار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة
 والنشر.
- ٢٢٥- طبقات الشعراء، تحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف/ مصر
 هـ١٣٨٧ / مـ١٩٦٧ .
- ٢٢٦- المعارف، تحقيق ثروت عكاشه/ بيروت ١٩٦٠م.
 قدامة بن جعفر
- ٢٢٧- الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي، دار
 الحرية للطباعة/ بغداد ١٩٨١م.
- القزويني: زكريا بن محمد بن محمود
- ٢٢٨- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، ودار بيروت/ بيروت
 هـ١٣٨٠ / مـ١٩٦٠ .
- القزويني: محمد مهدي النجفي
- ٢٢٩- فلك النجاة لجميع المخلوقات، مطبعة إبراهيم التبريزى/ إيران
 هـ١٢٩٨ .

- القطبي: علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)
 ٢٣٠- أنباء الرواة على أنباء النهاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية/القاهرة ١٩٥٢م.
- ٢٣١- تاريخ الحكماء ترجمة جوليوس ليبرت لايرج ١٩٠٣م.
 القلقشندى: أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ)
- ٢٣٢- صبح الأعشى في صناعة الانشا، مطبع كوستاتسوماس وشركاه ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
- القمي: عباس
 ٢٣٣- الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفري، مطبعة المركزي / طهران ١٣٢٧هـ.
- ٢٣٤- الكنى والألقاب، المطبعة الخيدرية/النجف الاشرف ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.
- ٢٣٥- هدية الأحباب في ذكر المعروفين بالكنى والألقاب والأنساب، المطبعة المرتضوية/النجف الاشرف ١٣٤٩هـ.
 ابن قولويه: أبو القاسم جعفر بن محمد (ت ٣٦٧هـ)
- ٢٣٦- كامل الزيارات، المطبعة المباركة المرتضوية/النجف الاشرف ١٣٥٦هـ.
- القنوجي: محمد صديق حسن خان
 ٢٣٧- التاج المكمل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول مطبعة الصديقي ١٢٩٩هـ.
- كاذم موسى
 ٢٣٨- تاريخ الاستكشافات الجغرافية، مطبعة الغري/النجف الاشرف ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.
- الكاذمي: عبد النبي (ت ١٣٥٦هـ)
 ٢٣٩- الرجال، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، مطبعة

الآداب/النجف الاشرف.

الكتاني: السيد الشريف محمد بن جعفر (ت ١٣٤٥ هـ)

٢٤٠- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور الكتب السنة المشرفة، مطبعة دار

الفكر/دمشق، الطبعة الثالثة ١٣٨٣ هـ/١٩٦٤ م.

ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)

٢٤١- البداية والنهاية، مكتبة المعارف/بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٦ م.

حاله: عمر رضا

٢٤٢- معجم المؤلفين العراقيين، مطبعة الترقى دمشق ١٩٥٧ م.

ابن الكلبى: أبو المنذر، هشام بن محمد (ت ٢٠٤ هـ)

٢٤٣- نسب معد واليمن الكبير، تحقيق محمد فردوس العظم، دار

اليقظة/دمشق.

الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ)

٢٤٤- الكافي شرح المولى محمد صالح المازندراني.

الكليدار: محمد حسين مصطفى

٢٤٥- مدينة الحسين أو مختصر تاريخ كربلاء، مطبعة النجاح/بغداد،

الطبعة الأولى ١٣٦٧ هـ/١٩٤٨ م.

كمونه: عبد الرزاق الحسيني

٢٤٦- موارد الإتحاف في نقائص الأشراف، مطبعة الآداب/النجف الاشرف

١٩٦٨ م.

٢٤٧- منية الراغبين في طبقات النسابين، مطبعة النعمان/النجف

الاشرف، الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م.

كوركيس عواد

٢٤٨- معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٨٠٠

م، مطبعة الإرشاد/بغداد ١٩٦٩ م.

الكوفي: محمد الشيخ عبود (ت ١٣٥٢ هـ)

٢٤٩- نزهة الغري في تاريخ النجف، مطبعة الغري/النجف الاشرف
١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

لجمن

٢٥٠- مذكراته، مجلة المورد، المجلد الثالث، العدد الرابع لسنة
١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

لسترانج، غي

٢٥١- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد،
مطبعة الرابطة/بغداد ١٩٥٤م.

لونكريك: ستيفن هيمسلி

٢٥٢- أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط،
مطبعة المعارف/بغداد ١٩٦٨م.

ليدي دراور

٢٥٣- في بلاد الرافدين صور وخواطر، ترجمة فؤاد جميل، مطبعة
شفيق/بغداد، الطبعة الأولى ١٩٦١م.

ماسينيون: لويس

٢٥٤- خطط الكوفة وشرح شريطتها، ترجمة تقى المصبىى تحقیق كامل
سلمان الجبوري، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

المامقاني: عبد الله محمد حسن (ت ١٣٥١هـ)

٢٥٥- تنقیح المقال في أحوال الرجال، المطبعة المرتضوية/النجف الاشرف
١٣٥٢-١٣٥٠هـ.

المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد الازدي (ت ٢٨٥هـ)

٢٥٦- نسب عدنان وقططان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٥٤هـ/١٩٣٦م.

المتبى: أبو الطيب احمد بن الحسين (ت ٣٥٤هـ)

٢٥٧- الديوان، شرح عبد الرحمن البرقوقي/بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- المجلسى: محمد باقر محمد تقى (ت ١١١١هـ)
 ٢٥٨- بحار الأنوار، المطبعة الإسلامية/ طهران ١٣٨٨هـ.
- محبوبة: جعفر الشیخ باقر (ت ١٣٧٧هـ)
 ٢٥٩- ماضي النجف وحاضرها، مطبعة الآداب/ النجف الاشرف،
 الطبعة الثانية ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.
- الحقى الخلى: أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الهذلي (ت ٦٧٦هـ)
 ٢٦٠- المعتبر، طبع حجر.
- محمد عبد المنعم خفاجي
 ٢٦١- المباحث.
- محمد عبد
 ٢٦٢- شرح نهج البلاغة، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات/ بيروت.
- محبى الدين: عبد الرزاق (الدكتور)
 ٢٦٣- أدب المرتضى من سيرته وآثاره، مطبعة المعارف/ بغداد، المطبعة
 الأولى ١٩٥٧م.
- المختار: فريال داود
 ٢٦٤- المنسوجات العراقية الإسلامية من الفتح العربي إلى سقوط الخلافة
 العباسية بغداد، دار الحرية للطباعة/ بغداد ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
- أبو مخنف: لوط بن يحيى الأزدي
 ٢٦٥- المقتل (مقتل الحسين ع) المطبعة الحيدرية/ النجف الاشرف
 ١٣٥٣هـ.
- المراغي: عبد الله مصطفى
 ٢٦٦- الفتح المبين في طبقات الأصوليين، الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م،
 بيروت.
- مرجليلوث، د. س
 ٢٦٧- دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة الدكتور حسين نصار، دار

الثقافة/القاهرة.

المزي: أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن (ت ٤٧٩هـ)

٢٦٨- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق الدكتور بشار عواد

معروف، بيروت/١٩٨٠م.

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)

٢٦٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد

الحميد، مطبعة السعادة/مصر، الطبعة الرابعة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

مسكويه: أبو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ)

٢٧٠- تجارب الأمم، مطبعة النيسابوري.

مصطفى جواد (الدكتور)

٢٧١- مقدمة ديوان الشيريف المرتضى، تحقيق رشيد الصفار، مطبعة دار

إحياء الكتب العربية/مصر ١٩٥٨م.

المظفر: محسن عبد الصاحب (الدكتور)

٢٧٢- مدينة النجف الكبرى، دراسة في نشأتها وعلاقاتها الإقليمية.

المفید: أبو عبد الله محمد بن محمد العکبری (ت ٤١٣هـ)

٢٧٣- الإرشاد، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٧٢هـ/١٩٦٢م.

٢٧٤- الجمل أو حرب البصرة، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف،

الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ.

٢٧٥- النصرة لسيد العترة في حرب البصرة، تحقيق السيد علي مير

شريفي، المكتب الإعلامي /قم ١٤١٦هـ.

المقدسي: محمد بن احمد المعروف بالبشاري (ت ٣٧٥هـ)

٢٧٦- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم /لiden ١٩٠٦م.

المقدسي: مطهر بن طاهر (ت ٣٨٧هـ)

٢٧٧- البدء والتاريخ ترجمة كلمان هوار /باريس ١٩٢٦م.

المنذري: رشيد الدين محمد بن عبد العظيم (ت ٦٤٣هـ)

- ٢٧٨- التكميلة لوفيات النقلة، مطبعة الآداب/النجف الاشرف ١٩٦٩-١٩٧١م.
- ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)
-٢٧٩- لسان العرب، دار صادر/بيروت.
- الموسوي: مصطفى عباس
- ٢٨٠- العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر/بغداد ١٩٨٢م.
- الموسوي
- ٢٨١- قبس من الكاظمين.
- نابليون الماري
- ٢٨٢- تنزيه العباد في مدينة بغداد، المطبعة اللبنانيّة/بيروت ١٨٨٧م.
- ناجي حسن (الدكتور)
- ٢٨٣- القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي، مطبعة منيمة/بيروت ١٩٨٠م.
- ناجي معروف (الدكتور)
- ٢٨٤- تاريخ علماء المستنصرية، دار الشعب/القاهرة الطبعة الثالثة.
- ٢٨٥- علماء النظميات ومدارس المشرق الإسلامي، مطبعة الإرشاد/بغداد، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- النجاشي: أبو العباس احمد بن علي (ت ٤٥٠هـ)
- ٢٨٦- الرجال أو الفهرست، مكتبة الداودي/قم ١٣٩٨هـ.
- ابن النديم: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب الوراق
- ٢٨٧- الفهرست، تحقيق رضا تجدد، مطبعة دانشکاه/طهران.
- نصر بن مزاحم المقربي (ت ٢١٢هـ)
- ٢٨٨- وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدنى/القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ.

- أبو نعيم: احمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ)
 ٢٨٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العربي/بيروت،
 الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ م.
- ابن نما: نجم الدين محمد بن جعفر الخلي (ت ٦٤٥ هـ)
 ٢٩٠- درب النضار.
- النووي: أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦ هـ)
 ٢٩١- تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة
 الثانية.
- النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب
 ٢٩٢- نهاية الأرب في فنون الأدب، متابع كونستانتوماس
 وشركاه/القاهرة.
- الهاشمي: محمد يحيى (الدكتور)
 ٢٩٣- الإمام الصادق ملهم الكيمياء، مطبعة النجاح/بغداد
 ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠ م.
- ابن هشام: أبو محمد عبد الله بن هشام الحميري (ت ٢١٨ هـ)
 ٢٩٤- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وأخرون، دار إحياء التراث
 العربي/بيروت.
- هشام جعيط
- ٢٩٥- الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية دار الطليعة للطباعة
 والنشر/بيروت ١٩٩٣ م.
- الهمданی: أبو محمد الحسن بن احمد (ت ٣٣٤ هـ)
 ٢٩٦- الإكليل، دار العودة/بيروت ودار الكلمة/صنعاء.
- ٢٩٧- صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الاكوع دار الشؤون
 الثقافية العامة/بغداد ١٩٨٩ م.
- الهمدانی: رشید الدين فضل الله

٢٩٨- جامع التواریخ، ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون دار إحياء الكتب العربية.

الواقدی: أبو محمد عبد الله محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ)

٢٩٩- المغازي، تحقيق الدكتور مارسون جونسون، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات/بيروت.

الورد: باقر أمين

٣٠٠- أعلام العراق الحدیث قاموس تراجم ١٨٦٩-١٩٦٩م مطبعة اوڤست المیناء/بغداد ١٩٧٨م.

ابن الوردي: زین الدین عمر بن المظفر (ت ٧٤٩هـ)

٣٠١- التاریخ، المطبعة الحیدریة/النجف الاشرف، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

الوشاء: أبو الطیب محمد بن إسحاق بن یحیی

٣٠٢- الظرف والظرفاء، مطبعة التقدم/مصر، الطبعة الثانية ١٣٢٤هـ.

ولیس بدرج

٣٠٣- رحلات إلى العراق، ترجمة فؤاد جميل، مطابع دار الزمان وشفیق/بغداد ١٩٦٦-١٩٦٨م.

الیازجي: ناصيف

٣٠٤- العرف الطیب في شرح دیوان أبي الطیب، دار صادر/بيروت، للطباعة والنشر ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

آل یاسین: محمد مفید (الدكتور)

٣٠٥- الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، بغداد ١٩٧٥م.

الیافی: أبو محمد عبد الله بن اسعد المکی (ت ٧٧٨هـ)

٣٠٦- مرآة الجنان وعبرة اليقظان مطبعة دائرة المعارف النظامية/حیدر آباد الدکن، الطبعة الأولى ١٣٣٨هـ.

- يجي بن معين: أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي (ت ٢٣٣ هـ)
- ٣٠٧- التاريخ، تحقيق الدكتور احمد محمد نور سيف، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- اليعقوبي: احمد بن أبي يعقوب (ت ٢٩٢ هـ)
- ٣٠٨- البدان، المطبعة الخيدرية/ النجف الاشرف الطبعة الثالثة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م.
- ٣٠٩- التاريخ، المطبعة الخيدرية، النجف الاشرف، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- اليعقوبي: محمد علي
- ٣١٠- البابليات، مطبعة الزهراء/ النجف الاشرف ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م.
- أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢ هـ)
- ٣١١- الخراج، المطبعة السلفية/ القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ .
- يوسف خليف (الدكتور)
- ٣١٢- حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر/ القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

ثالثاً: البحوث والدراسات:

- حسين أمين (الدكتور)
- ٣١٣- الصحابة الكرام في الكوفة، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد (٢٨) لسنة ١٣٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ٣١٤- مسجد الكوفة في التاريخ، مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول، لسنة ٢٠٠١م.
- المحديسي: نزار عبد اللطيف (الدكتور)
- ٣١٥- ملاحظات أولية عن مدرسة العلم في الكوفة، مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول، لسنة ٢٠٠١م.
- الحكيم: حسن (الدكتور)
- ٣١٦- تمثيل الكوفة بين الإنسان والأرض، مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد

الأول، لسنة ٢٠٠١م.

٣١٧- الشوية موقعها وتاريخها، مجلة كلية الفقه، العدد الثاني لسنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٣١٨- حكومة الإمام المتنظر، مجلة الانتظار العدد الثامن، السنة الثالثة ١٤٢٨هـ.

٣١٩- الخورنق والسدير، مجلة كلية الفقه، العدد الثالث ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٣٢٠- كيف صيرت النجف قائمة مقامها شاعراً، مجلة الذكوات، العدد الأول لسنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الحمداني: طارق (الدكتور)

٣٢١- نشأة مدينة الكوفة الحديثة وتطورها حتى الحرب العالمية الأولى، مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول لسنة ٢٠٠١م.

جواد علي (الدكتور)

٣٢٢- موارد الطبرى، مجلد المجمع العلمي العراقي/بغداد المجلد الثامن.

الشيبى: محمد رضا

٣٢٣- مذكراته (شذرات من مذكرات العلامة الفقید محمد رضا الشيبى) مجلة البلاغ، السنة الرابعة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

شلاش، عبد المحسن

٣٢٤- فيصل والعتبات المقدسة، مجلة الاعتدال، العدد التاسع، السنة الأولى.
محفوظ، حسين (الدكتور)

٣٢٥- تاريخ الكوفة تعريف مقتضب وتلخيص سريع، مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول، لسنة ٢٠٠١م.

المخزومي، مهدي (الدكتور)

٣٢٦- النجف والرأي العام، مجلة البيان، العدد الأول، السنة الأولى ١٩٦٤م.

الهاشمي: طه

٣٢٧- خالد بن الوليد في العراق، مجلة المجمع العلمي العراقي / الجزء الأول، المجلد الثالث ١٩٥٤م.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٧	الكوفة والأمانة العلمية
١٧	الكوفة والعمق التاريخي والحضاري
١٩	الكوفة في اللغة والاشتقاق
٢٢	اختيار الإمام علي <small>عليه السلام</small> مدينة الكوفة عاصمة للعالم الإسلامي
٢٥	خطط الكوفة
٢٧	تخطيط المدينة العربية الإسلامية مدينة الكوفة أنموذجاً
٤٢	تمصير الكوفة بين الإنسان والأرض
٥٣	خطط الكوفة في فكر الإمام الصادق <small>عليه السلام</small>
٥٧	خندق الكوفة في التاريخ
٦٦	موقع منازل الصحابة والتابعين من خطط الكوفة
٧٠	الثوية مقبرة الكوفة الكبرى
٧٧	قصور الكوفة في الإسلام
٨٣	درب زبيدة أو طريق الحاج من الكوفة إلى مكة المكرمة
٩٠	ملامح خططية في مرويات الطبرى عن مدينة الكوفة
٩٣	خطط الكوفة في شعر المتنبى
٩٨	مساجد الكوفة ومكاناتها العبادية والعلمية
١٠٤	الكوفة في كتاب (الرجال) للشيخ النجاشي
١٠٧	الحياة الاجتماعية والاقتصادية
١٠٩	دور القبائل اليمنية في مدينة الكوفة في الحياة السياسية
١١٨	قبيلة مذحج في حاضرة الكوفة

١٣٢	النجف الاشرف والكوفة في رحلة ابن بطوطة
١٤٨	التاريخ الصناعي في منطقة المثلث الحضاري (الحيرة والكوفة والنجف)
١٥٥	الكوفة في الفكر الاستشرافي
١٧٥	آثار الكوفة في دراسات المستشرقين
١٥٨	المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون وكتابه خطط الكوفة
١٦٢	موقف المستشرق فلهوزن من مرويات أبي مخنف
١٦٧	آراء استشرافية في تحليل حركة المختار الثقفي
١٧٣	الكوفة والحياة العلمية والفكرية
١٧٥	الكوفة من الجامع إلى الجامعة
١٩٣	الطب في الكوفة بين موروث الحيرة وأصالة الفكر الإسلامي
٢٠٢	علماء الكوفة في المدرسة المستنصرية في بغداد
٢٠٨	مدينة الكوفة بين التواريخ المحلية والحركة الإخبارية
٢١٣	الكوفة في الندوات الأدبية النجفية
٢١٧	إسهامات الفيلسوف الكوفي في تطوير الفكر العربي والإسلامي
٢٢٠	الريادة العلمية في فكر جابر بن حيان
٢٢٥	إخباريون ومؤرخون
٢٢٧	إسماعيل بن عبد الرحمن السدي
٢٢٩	أبو النصر محمد بن السائب الكلبي
٢٣٣	أبو مخنف لوط بن يحيى الازدي
٢٤١	عوانة بن الحكم
٢٥٠	سيف بن عمر الأسد التميمي
٢٥٤	نصر بن مزاحم المنقري
٢٥٧	الهيثم بن عدي
٢٦٣	أبو إسحاق الثقفي مؤرخ الأمامية في القرن الثالث الهجري

٢٦٩	احمد بن عبد الله بن قتيبة
٢٧٦	مؤرخ الكوفة السيد حسين البراقى النجفى وموارد كتابه
٢٩٢	الشيخ علي البازى الشاعر الذى أرخ لمدينتي النجف والكوفة
٢٩٥	القرامطة في حاضرة الكوفة
٣٠١	فقهاء ومحدثون
٣٠٣	كميل بن زياد النخعى وأضواء كاشفة على مروياته
٣٠٨	أبو حنيفة النعمان بن ثابت
٣١٠	سفيان بن عيينة
٣١٢	الفقيه سعيد بن جبير
٣١٤	الحسن الوشاء
٣١٦	حميد بن زياد الدهقان
٣١٧	محمد بن علي الدهقان
٣١٩	ابن عقدة الهمданى
٣٢٣	قضاء الكوفة في بغداد
٣٢٧	قادة وثوار
٣٢٩	مالك الاشتراخى
٣٣٣	ميشم بن يحيى التمار
٣٣٥	سليمان بن صرد الخزاعي
٣٤١	نقابة العلوين في الكوفة في العصر العباسى
٣٤٧	الخاتمة
٣٥١	المصادر والمراجع
٣٨٦	الفهرست